كتاب
الأَثَرِ الآفِل وَالْكفيل الغَافِلِ
بعدٌ ثقافي وتواصل إنساني
- فِي حُلَى أَرْضِ - القَعْدَة - من بادية امهاجة

تأليف
أ. الدكتور قدور ابراهيم عمار المهاجي

الإهداء

فـي خُشُوعِ البُنُوَّةِ الصَّادِقَةِ،

وفي رحاب الاعتراف بفضل شيوخ أرض القَعْدَةِ من بادية امهاجة، من العُلَمَاءِ العاملينَ، وصلحائها الأخيار، وشيوخ الذكرِ، وحفظةِ القرآن الكريمِ، وشهداء ومجاهدين،

أهدي ثمرةَ هذا الكتاب وثوابَهُ إلى روحهم الطاهرة في رحاب الله،

عمار المهاجي

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
1442هـ 2021م

الأَثر الآفِل وَالْكَفِيل الغَافِل

بُعْدٌ ثقافي وتَوَاصُلٌ إنساني

دار القرآن الكريم
لتعليمه ومعرفة علومه

- القعدة ، ولاية معسكر -

تجمع هذه الصورة كلا من

الدكتور شعلال محمود عمر رئيس الإتحاد العالمي للتصوف، والأستاذ محمد الشحومي المرشد العام للإتحاد العالمي للتصوف من ليبيا، يتوسطهم الأستاذ الدكتور قدور ابراهيم عمار المهاجي رئيسا للمجلس العلمي للإتحاد العالمي للتصوف والمؤسس لدار القرآن الكريم لتعليمه ومعرفة علومه، بأرض القعدة، من بادية امهاجة، من عام 2007 للميلاد

دار القرآن الكريم

لتعليمه ومعرفة علومه

تمثل هذه الصورة جانبا من استقبال الوفود يوم افتتاح دار القرآن الكريم لتعليمه ومعرفة علومه بأرض القعدة صبيحة يوم الخميس 17 من شهر شعبان 1435 هـ، الموافق ليوم: 11 جوان 2014 للميلاد، يقدمهم في ذلك مؤسسها الأستاذ الدكتور قدور ابراهيم

عمار المهاجي الإدريسي رئيس المجلس العلمي للإتحاد العالمي للتصوف، رفقة كل من الدكتور محمد الشحومي المرشد العام للإتحاد العالمي للتصوف، من ليبيا الشقيقة، والدكتور محمد عباس من جامعة تلمسان، والشيخ أحمد الإدريسي رئيس الرابطة العالمية للأشراف الأدارسة من مصر العربية، والدكتور شعلال محمود عمر رئيس الإتحاد العالمي للتصوف، والأستاذ الدكتور الذاكر نائب شيخ الأزهر للعلاقات الخارجية، وآخرون ممن شرفونا في هذا الافتتاح التاريخي، جزاهم الله عنا خيرا،

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى القارئ الكريم

وسيلي هذا الجزء بحوله تعالى وحسن عونه الموسوم بـ: (كتاب الأثر الآفل والكفيل الغافل بعد ثقافي وتواصل إنساني) - جزء ثاني مزيد ومنقح - من أصالته التي لا زالت تنبعث مع عقود من الزمن، نظرا لمادته العلمية المتمثلة في هذا المجموع من المخطوطات التي تدخل ضمن دائرة ثقافتها الفكرية وروحها الدينية والوطنية، لعلها تكشف عن جوانب غامضة، وزوايا مهملة من التي لم تنل حظها من إضاءات هذا البحث، الذي عالجت فيها صلابة النص وصعوبة الخبر والرواية بماضيها البعيد، وعراقتها الأصيلة، واتساع آفاقها من التي لا زالت تنشد طريق الخلود، من التي لم تتوقف يوما العطاء فيها، لأن الإنسان مهما أوتي من وسائل البحث العلمي، لا يمكنه أن يزعم أنه قد أتى على جميع جوانبه المترامية الأطراف، التي هي في غاية من الأداء وحسن الصواب، لعله يكون يوما مصدرا للأجيال، في بعض ما يُتَوَّقُون إليه من معارف ومعلومات، تسد ثغرة ما في بنيان اختصاصهم، وهي جزء يسير مما أتوافر عليه من مادة تراثية، تحصَّلتْ لي إما عن طريق رحلاتي الدراسية كطالب معرفة، أو زيارات علمية من التي كانت لي

عبر العديد من الملتقيات الفكرية، أو الجامعات العربية الإسلامية، في إطار التبادل الثقافي للجامعة الجزائرية،

وقد وجدت رغبة التطلع إلى البعيد عن طريق تملكي لهذه المخطوطات[1] باعتبارها سجلا يخدم بحثنا في كثير من أبعاده التي لم يسبق لأحد أن تناولها وفق هذا المنهج التاريخي، الذي سأصل به القارئ الكريم، عن طريق نشر هذا الجزء الغير اليسير في أواخر هذا الكتاب من عناوين لمجموع هذا الموروث الذي لا أزال أتوافر عليه في مكتبتي الخاصة، الكائنة ـ بدار القرآن الكريم لتعليمه ومعرفة علومه من أرض القعدة ، والتي عملت على جمعها أكثر من خمسين عاما أو يزيد، حيث باتت اليوم تمثل عندي أثرا نفيسا، كون أن مادتها لا تزال عند الكثير غامضة مبهمة، ما يجعلني أشعر وبكثير من الفخر والاعتزاز لما هداني الله إليه من الاهتمام بجمعها، حيث كان الزاد يومها قليلا، والمعرفة تضيق عندها التجربة، والحال كذلك درسا وتحصيلا، ولكن الفضل كل الفضل يعود إلى أيام هجرتي الأولى لأرض المغرب الأقصى من مدينة فاس[2]، وأنا طالب علم، التي كانت لي يومئذ بمثابة منابع ثقافتي وأولى تعليمي،

وها هي اليوم والحمد لله تحقق لي مادة عظيمة في كثير من أبعادها، تعينني على إعادة المفقود من تراث هذه الأمة العربية الإسلامية، وبخاصة منها القعدة التي هي موطن آبائي وأجدادي، حيث كنا فيها أحسن إيمانا ودينا، العامرة بما أبقاه منها علماؤها الإخباريون منهم، والكتبة المؤرخون من مجد قديم، وموروث مؤثل من الذي ظل يتساقط من صدور سادتها الأفاضل، وعلمائها الأجلة

---

[1] أنظر ص: 360 من هذا التأليف،

[2] أنظر كتاب بقايا من عهود الزمن وجذور المحن، ص: 124 وما بعدها، طبع ديوان المطبوعات الجامعية 1428 هـ 2007 للميلاد،

الأخيار، لأتخذ من بطونها اليوم دليلا أو وسيلة إلى غاية علمية يلين لها القارئ والكاتب والباحث،

وهي عندي والحمد لله محفوظة حفظ الصدور للقلوب، منظمة تنظيما محكما، مرتبة ترتيبا أبجديا، في فهارس نافعة، تحفظ لها ميزتها التصنيفية، من التي يقتضيها الترتيب المكتبي، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل،

الأستاذ الدكتور/

قدور ابراهيم عمار المهاجي

في رحاب أرض القعدة

تقديم:

لا زلت أشعر بكثير من سمو القول في معانيه العميقة، وصفاته الجليلة، ومبادئه الرفيعة، في جد ونشاط، وأنا أقدم على تدوين هذا الكتاب في فضائل أرض القعدة من بادية امحاجة، التي طال عهدي بها موقوفا على زمنها البعيد، وهي تنتظر مني البحث والتحقيق والتدوين في كثير من القيم من أجل الأحياء والانبعاث وتسجيل لمآثر من تاريخ وعادات وتقاليد وأعراف، حيث لا زال قلبي يعي الكثير مما سمعته من مشايخ متفرقا في هذا الباب، ممن تعايشوا مع مساجدها ومقاماتها الدينية وكتاتيبها القرآنية، ومن دفاتر ومحابر وكتب من المخطوط المدون، والمطبوع المنشور، من الذين امتلأت بهم أسماء رجال اتسعت بها الآفاق مداركهم، وتنوعت فيها جوانب ثقافاتهم، وسمت بالفكرة عقولهم، ومن علماء وفقهاء وحفظة القرآن الكريم تعليما وتعلما، ومن أهل الكفاية العلمية والدراية الدينية واللغوية، من التي كانت أبين عندها من غيرها مما جاورها من المدن والقرى والمداشر والأرياف،

ومما جمعته في محيطها الاجتماعي التاريخي والجغرافي، في بيوتات صنعت لنفسها وبطول زمن من جوارها صلات قربى في نسب وحسب، والتي كان لها

الأثر الكبير في نشر نوع من الثقافة العربية الإسلامية فيما بينها، تمثلت في تدريس قواعد الإسلام وأولية علومه من نحو وصرف ولغة ودين، في كتاتيب قرآنية ومساجد وبيوتات هي في غاية من العلم والآداب والتربية والتكوين، وقد تفنن مشايخها في كل ما اتسع عندهم من معارف تنوعت موضوعاتها بتنوع مرافق حياتها، في نشر العلم والعمل به،

فالفقيه أو المحدث أو المفسر، تراه لا يتسع أفقه العلمي إلا في مسائل تعد من صميم اختصاصه، كأولية علوم اللغة والشريعة وأصول الدين، وكذا الأمر عند حفظة للقرآن الكريم لا تتعدى معارفهم إلى أكثر من حفظهم الجيد، في نطق حسن، ومعرفة رسم، وشئ من قواعده العامة من التي جاء بها أئمة الأعلام في القراءات القرآنية، من مد ووصل وقطع، أو تضخيم وترقيق، وما إلى ذلك من معرفة السور أو ترتيب الأحزاب،

وسآتي إن أمد الله في عمري على ترجمة الكثير ممن كانوا على قدر كبير من علوم المعرفة والدين، كل وما منحه الله من دقة نظر وحسن حفظ وأداء درس وتحصيل، وبما كان عليه من مأثور الأولين، وتجارب الآخرين، مما صح من أقوال المغمورين من أهل الحديث والسنة النبوية الشريفة، ومن شعر ونثر ولغة وآداب، أو ممن أسهموا في الحياة السياسية والجهادية، أو ممن كانوا على سداد رأي وحسن تدبير في كياسة وحكمة ، أو من ذوي الأمانة والأخلاق، أو ممن كانوا أكثر إلماما بتاريخ الإسلام وحضارته، وينسجون كلامهم بالفصيح، لقد أمد الله سبحانه وتعالى أرض القعدة من بادية امهاجة، بكثير من أسباب الثقافة العربية الإسلامية، في فضائل مذكورة، ومآثر مأثورة، ومن معين اللغة العربية وعلومها وآدابها، ما جعلها أعز جانبا، وأوسع علما وجاها، وأقوى منطقة في تعاطي العلم والمعرفة، وسداد رأي، في حكمة بليغة، و ثقافة عربية إسلامية، وروح

ودين، وذلك بما أعطاها الله سبحانه وتعالى من أسباب الكتابة والقراءة في فهم العلوم الدينية خاصة،

لقد أدت الحياة الثقافية والفكرية دورا كبيرا في حياتها من حيث ما ظل يتلقاه أبناؤها في رحاب العلم، من مثل في القول الطيب، الموجه بالنصح والإرشاد، أو درس بلغة القرآن الكريم للصبية والكبار، وما هو عليه من أسرار في بلاغة وبيان، أو كل ما هو مطواع لقرائحهم من قصة وحكاية وفخر من مآثر ترويها القرون، ومحامد تتناقلها الأجيال، ما جعلها خالية من كثير من البدع والخرافات من التي ابتليت بها العديد من مجتمعاتنا العربية الإسلامية في عصرنا الحاضر، جاءت عندها في تفسيرات ميثولوجية واتجاهات مغرقة في الغيبية والقدم، من التي ظلت تعزى إلى مخلوقات غيبية عريقة في القدم لا أول لها ولا آخر، طابعها حكايات من القصص الأسطوري من الذي يغلب عليه الانتحال والصنعة والضعف، كونها لا تخلو من تمحل فكري، أو طابع التكلف، في كثير من حواراتها، من التي لا يطمئن إليها البال ولا تهدأ لها النفس، في تصديق رواية أو توثيق نص فيما هي عليه من مضامين وأشكال، كل هذه المسائل كان يتناولها أهل العلم والمعرف بكثير من الوعي والفهم،

كما أنها لا تخلو من سلوكات غير طبيعية تتخللها شطحات ذهنية غامضة المقاصد، في أعمال جماعية تارة، وأخرى فردية، وفي نمط من عادات واتجاهات مجهولة الأسس، فيها من المشاهد الكونية الخارقة ذات التخلف والقصور، ما فيها من السبحات الذهنية المليئة بكثير من الضلالات المستحدثة في دنيا الحياة إلى غير ما حدود، المملوءة بمستحدثات البدع والخرافات، وكثير من العبادات الوافدة الطارئة على قيمنا العربية الإسلامية الأصيلة،

فلمثل هذه الأمور وغيرها كثير، تراني اليوم أعمل جاهدا في البحث عن كل مادة تقربني من عملي، وتنير لي السبيل الأرشد، والمنهج الصحيح، من غير تزيين للقول أو تمنيق للكلمات، أو رواية ترشدني إلى منابعه الأولى الواردة في كتاب الآثار، أو رأي يهديني إلى صواب قوامه الوقوف على أسرار هذه الفترة الزمنية الحاوية لحياة هذه القرى المكونة لأرض القعدة من بادية امهاجة، ويبعدني عن كل عمل ما من شاته أن يضع عملي موضع الشك والريب، في مزايدة أو نقصان من التي جاءت في معرض هذا الحديث أو ذاك،

وهذا كله آت بسبب تاريخها الذي لم يتوفر له الظرف الملائم ليعرف طريقه إلى الرواية الشفوية أو التدوينية يومئذ، وهذا أمر طبيعي، فكثير من المعالم التاريخية أو المآثر ذات الطابع التاريخي الاجتماعي تحتجب عن بصير الأمة وتتوارى عن بصيرتها، في طول زمن، لسبب عامل واحد وهو الاندثار الذي تقصده الاستعمار الفرنسي عن روح حاقدة ومنتقمة من أصالة الجزائر في عمق وجودها،

وهذا ما جعلني أشعر دائما بإحساس دفين وحوار داخلي، بوجود شيء ما لا يزال مركونا مدفونا في رفوف خزائن كتب من التي حجبها أصحابها عن النظر والمطالعة، وقد علاها غبار الزمن في كثير من صفحاتها من التي أتت عليها الأرضة، وقد وقفت على نماذج منها تعود لخواص تملكوها بطريقة أو بأخرى دون ما معرفة، وقد وقع نظري على مخطوط يحمل عنوانا ليس مذكورا عند أهل المعرفة الموسوم بـ: (كتاب تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في ذكر المشايخ الثقات والعلماء الأثبات)[3] وقد وجدته يحمل من هذا العلم غرائب، لا يأتي بها إلا من كانت له مرتبة أرباب النظر والاجتهاد، ونظرا لوقوفه إلى جانبي واستعجاله لي في كلمات

[3] كتاب تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في ذكر المشايخ الثقات والعلماء الأثبات،

أخذ يرددها دون معنى، بعد أن رأى مني استعدادا لتدوين بعض ما جاء في هذا المخطوط من وصف عجيب لمشايخ كانوا على قدر كبير من تقييد الفوائد المشرقية والمغربية، محليا حديثه عنهم بكثير من الأبيات الشعرية الفريدة، والأقوال المأثورة، الأمر الذي أقلقه وطلب مني هذا الرجل صراحة عدم ذكر اسمه وضرب لي موعدا غير محدد بزمن لزيارة ثانية يكون فيها الوقت لديه كافيا لمثل هذه القراءة، فطويت المخطوط على عجل بما فيه دون أن أقف له على اسم لصاحبه،

وقد ظهرت على وجهه علامات تدل على الرفض وعدم الرضا، فكان الأمر مني كذلك، وودعني بابتسامة عريضة هي غايته في حسن النية وجميل الطوية، وانتهت الزيارة التي لم تدم أكثر من أربعين دقيقة أو أقل من ذلك بكثير،

ومن يومه ذاك تغيرت نظرتي نحوه بعد أن كنت أرى فيه شخصية ثابتة دينا ودنيا، وقد أصبح عندي اليوم ليس كما كان يدعي أنه من أهل الجلالة والشهرة في هذا الشأن، وإنما جلالته وشهرته في التباهي والتفاخر على أنه يمتلك مخطوطا فيه من الفوائد التاريخية والدينية والعلمية ما ليس لأحد سواه، ونحن هنا لا نكذب ولا نقر،

ولكنني والحمد لله لا زلت أملك الشيء الكثير من هذه المادة، منها الموروث المدون، ومنها ما جاء عندي في نمط من آثار مجهولة ثابتة المعالم، مما يفسح لي مجالا واسعا، حول زوايا عديدة، ومآثر مشهودة من التي ترجح أمرا على آخر للكشف عن تاريخ لواقع مجهول، أو توثيق لحدث مروي، أو ظاهرة هي في غاية الإغلاق، ما يجعلها حافزا لي عن تبيان مدى غير بعيد، أكثر عطاء في مضامينه، وأوضح بيانا في واقعه البدائي منه والغامض، لأتخذ منه نواتَ دراسةٍ في ضوء معالم جديدة أكثر قراءة وأشد صوابا،

هذه أمور لا تزال أسبابها تعيش معي وفي أعماق ذاكرتي في كثير من خواطر في مبادئ وعقائد ضاربة في التاريخ وبأسهم وافرة من التي حملتها إلينا الأيام في مجالاتها المختلفة، وكأني به قصص تروى، أو أخبار تحكى بواقع من التاريخ،

وكلي يقين من أن هذا العمل لا يخلو من نقد سواء أكان سلبا أم إيجابا، لما فيه من مواقف تاريخية، تبحث ولأول مرة بشيء من التواصل الثقافي في أثر مبين، هو في حاجة إلى ترميم وإعادة ترتيب، محمود الآثار، من الذي رددناه إلى كثير من مصادره الشفوية، أو إلى روايات كان أصحابها على جانب كبير من الثقة مما يطمئن إليها القارئ أو السامع، الوافدة أخبارها من مصادر موثقة، وبصور من القول متوالية، وألوان من الأساليب متباينة، عن هذه المرحلة التاريخية من أرض القعدة من بادية امهاجة التي نقف عندها اليوم، بحثا عن مادة علمية طالما أثرت تراثنا، وأغنت أدبنا، وأمتعت عقولنا، لإزالة كل لبس وإبهام مما يعد ربطا لهذه الظاهرة أو تلك في بعدها التاريخي والثقافي، المتمثلة في أكثر من عادات وتقاليد وأعراف وما يترتب على كل شعيرة من هذه الشعائر التي انتهت بها إلى زمن بعيد، وتعود في أصلها إلى نسب ثقافي معين،

ومهما يكن من أمر فإننا نعمل جاهدين في هذا التأليف الذي بين أيدينا لجمع أشـــتات هذا الموروث الثقافي المتواجد هنا وهناك في كثير من بطون المخطوطات والأوراق، وصـدور أهل الأذواق الصـافية الواعية، وبمواعد العناية والاعتبار وافية، لإخراجه إلى النور من زوايا الإهمال والنســيان، التي قضىـ فيها زمانه حبيســا، آملين أن نقف له على الأصــول الصـحيحة والمســتندات الموثقة، لإثبات تاريخ أغفل، وترجيح رواية على أخرى تناقضـــها، تقديما يليق بمكانته العلمية، خاليا من النزوات الفكرية والأهواء النفسية، للجمهور الكريم،

وسـأعود لهذه الظاهرة ذات الطابع الديني والثقافي في كثير من أماكنها عبر الوطن، التي كانت تدعو في مجملها إلى نهضـة ثقافية علمية دينية أدبية صـادقة وإلى العكوف على الدرس والتحصـيل في تتبع وتفكير، وإني والحمد لله أمتلك الكثير من المعلومات والأوراق من التي لها صـلة بمثل هذه المواضـيع، من التي آثر الكثير بقاءها في زوايا الإهمال والنسـيان، بسـبب عدم نشر موروثها الثقافي والاسـتفادة منه، لا سامحهم الله، أدعو الله أن يلهمهم سداد العمل خدمة للعلم والعمل به،

نسأل الله تعالى أن ينفعنا ببركات أولئك الأقطاب، ويلبسـنا من أسرار أعمالهم أفضل لباس، وخير جلباب، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير من اهتدى، وقدوة من اقتدى به واقتدى، والرضا على آله البررة من أصحابه والتابعين إلى يوم الدين، والله من وراء القصد والهادي إلى سواء السبيل،

عمار المهاجي

الإدريسي

توطئة

هو موضوعُ بلديةٍ كبيرة في معناها، صغيرة في مبناها، تتوسط أرضها بادية امهاجة، ذات المحامد والمكارم، في حسب ونسب، عم محيطها علما وجاها، ميراثا واكتسابا، في أسلم عقيدة وأعمق إيمان، بفضل حباها الله سبحانه وتعالى من مشايخ وعلماء، في سمو فضل وعلو شأن، في كثير من علوم العربية وآدابها، والشريعة وأصولها،

فهي ذات بيئة عربية إسلامية أصيلة، ظلت مجالسها تتسع، وأفكارها تسود، وثمراتها تجوب الآفاق، وآدابها تزدهر، بفضل ما هي عليه من موروث ثقافي عربي أصيل، ظل يمتد إليها عبر أجيالها البعيدة، امتدادا طبيعيا لواقع أسبق منها، ما جعلها تواكب آفاق المعالم الإسلامية في كثير من جوانبها المتعددة، كان القرآن هُدَاها، علما وعملا،

حتى أنها غدت موضع اهتمام عند أفاضل العلم، ومعاهده الكبرى من التي ظلت تتسع آفاقها من بغداد إلى مراكش، وقد انتشر اسمها على مساحات واسعة من الأرض العربية الإسلامية عرضا وطولا، ما جعلها تعج بأسماء أعلام كانوا على صلة وثيقة ببعضهم البعض، حيث كانت الرحلة منها وإليها ضربا من التواصل الثقافي الديني والتعليمي،

وقد ظل الاتصال بين هذه العواصم العربية الإسلامية وأرض القعدة من بادية امهاجة، إلى عهد متقدم من زمن الأتراك أو قبله بكثير، الذين عمروا ثلاثة قرون

من الزمن أو يزيد[4]، حتى دخول الاستعمار الفرنسي وظهور مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري، من عام 1832 للميلاد، الذي عمد هو الآخر على طمس الهوية العربية الإسلامية بأرض الجزائر، وذلك بإسكات كل صوت ما من شأنه الدعوة إلى المحافظة على وحدة الأمة العربية الإسلامية الجزائرية في بعدها التعليمي الديني والثقافي والاجتماعي، محاولا إبعاد كل وطني مخلص غيور على وطنه ونفيه خارج الوطن حتى يتخلص من كل تآمر يثير الجزع ويسبب له القلق وعدم الاستقرار، فعمل على إحداث تباعد اجتماعي ثقافي في خطاب مملوء بالكراهية والمكائد والضغائن في تفريق تلك اللحمة الطيبة التي كانت تجمع القرى والمدن والأرياف بكثير من أواسر المحبة والوئام، وسخر له أعوانا من الذين أيدوه وفتحوا له أبواب التصديق والطاعة وهيأهم على طريقته في تنفيذ أوامره بإلقاء الرعب في قلوب الفئة القليلة من العلماء والفقهاء وحفظة كتاب الله أمام الفئة الكبيرة من عامة الناس وقد أفلح في ذلك على حد ما، فازدادت بها قوته ونفوذه وأوقد نيران الفتنة بين بني العمومة حتى توصل إلى هدفه المنشود وهو إثارة الفتنة وبث سموم الحقد والكراهية التي انتهت بالكثير إلى نعرات طائفية عرقية منها واجتماعية، من حيث التنافس والتباهي والتفاخر، وظلت قوته الفاعلة التي اعتمدها كواجهة ماثلة في واقع الأمر من الذين جعلوا للطبية وللمرح مكانهما في الدين، فأخذ يوجههم بكل ريبة كل ما من شأنه ملأ النفوس بكثير من الخرافات الساذجة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، وما إن شعرت بالاستقرار واستتباب الأمن حتى شرعت في تثبيت القرى وتدوين نسبها وحسبها الذي بهما أصبح للمجتمع

---

[4] أنظر الجزء الثالث من المخطوط من كتاب (تاريخ الجزائر الثقافي الديني السياسي والاجتماعي)، ص: 81 وما بعدها،

الجزائري مرجعية وكأني بها تعود إلى ماضيه البعيد بجذوره الأولى في التحري لواقعه التاريخي، منها ألقاب وأسماء ما أنزل الله بها من سلطان، كونها لم تختر لسوء حظ أناسيها من أجل أهمتها التاريخية فحسب، بل جاءت هكذا عفوية بحكم جهل أصحابها بما حمله هذا العمل من عاقبة سوء على الكثير ممن تجاهلت حقيقتها التاريخية، فكانت منها هذه الأسامي من التي باتت لا تليق وبطول زمن بكثير من بيوتات كونها أصبحت صفة لازمة لها في كثير من واقعها الديني الثقافي والاجتماعي، ولا زالت الأيام تتناقلها جيلا بعد جيل، مثيرة الكثير من الشكوك حول مروياتها من التي أصبح هذا الوصف أو ذاك علما لها، مما أصبحت تحمله هذه الأسرة أو تلك في طول زمن، ولكنه ونظرا لما كانت عليه الجزائر يومئذ من تمسك بمبادئها الإسلامية، وقيمها العربية، التي ظلت تتخذ منها سندا لمقاومة كل دخيل أجنبي غزا أرضها يوما،

ونتيجة لذلك ورغم ما أصابها من الشتات والضياع إلا أن هذه القرى ظلت وفية لمبادئها وقيمها العربية إسلامية، ما جعلها لا تتخلى يوما عن المطالبة بحقها في الحرية والاستقلال، وقد قدر لهذا الاستعمار أن يبلغ من القوة شأوا اعتقد من ورائه بأنه تمكن وإلى الأبد من القضاء على السيادة الوطنية الجزائرية، ما جعله يعمل في ثبات ورأي على تقسيمها إداريا واجتماعية وخصها بلقب من أحد أعيانها، أو تسمية لأحد من رجالاتها بعد الذي رآه من تعاظم قوته عليها واتساع سلطانه، حتى أنه لم يعد لغير أعوانه فيها كلمة، وواصل تعريبه لكثير منها مهددا بالأخطار ما بقيت هذه القرى عاصية عليه، وقد أخذت حملته تنجز مهمتها في غير مشقة أو عناء أو عسر، حتى حكم هو وأعوانه البلاد في سنين، وخص مناصب إدارتها المدنية فيها لأهله من المعمرين أو المتعاونين معه بالمقام الأول، وقد خلق هذا النوع من الحكم الجائر المتحيز حالة من القلق وعدم الاطمئنان

عند الأهالي، ظوالواقع أن هذه التقسيمات الإدارية والاجتماعية التي أصابت أرض الوطن كله والتي انتهت إلى غاية من الغنى والفحش لأفراد دخلاء بحكم ما منحت لهم من امتيازات في كثير من مجالات التجارة والفلاحة التي باتت تباع وتشترى بالإكراه تارة، وبقوانين جائرة تارة أخرى،

وهذه الأمور وغيرها كثير سعى الاستعمار إلى تحقيقها بواسطة ممثليه من الذين ظلوا يلتمسون الحماية في أكنافه،

ولئن كان الحكم الفرنسي قد أوقع أعظم الأذى بأهاليها خلال عهود متوالية من سوء المعاملة ونهب خيراتها، قد امسى واضحا للعيان في طول البلاد وعرضها، حتى إذا كانت سنة 1954 للميلاد اندلعت ثورة نوفمبر الكبرى وكللت بالاستقلال وطرد الاستعمار وأعوانه،

وظلت تلك القرى محتفظة بخصائص الاستعمار الفرنسي في كثير من عاداته وتقاليده، ولم تختف هذه الآثار إلا بعد إعادة الوطن سيادته كاملة على أرضه، وبإعادته لروحه المعنوية المتمثلة في لغته الوطنية وشعائرها الدينية والوطنية وفي كثير من عاداته وتقاليده وأعرافه وغيرها كثير من الوافدة والدخيلة عليه،

ولهذه البيوتات لها ما يبرر واقعها ، في كثير من أبعادها التاريخية الدينية والاجتماعية كونها كانت تسمى بأكبر الأسرة سنا أو جاها أو علما، ومما ينعقد على رأيه الاجماع، بما له من آراء فاضلة، وحكمة بالغة،

فجاء هذه الأسم عندها أو ذاك وحيدا في تسميتها دون غيره مما وجد، كونه استقر بأهله في هذه الديار وأقام فيها أسرة تمثلت في أقدم وأوسع كتَّابٍ لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم علومه، الذي أخذ به أهلها وساكنيها في طول درس وتحصيل مكانة اجتماعية، في تكوينهم لجمهرة غير قليلة من أهل القرآن تحت تأثير مؤسسها

الأول أمثال الشيخ الفقيه سيدي الطيب بالفريخ المهاجي[5] ، والشيخ الفقيه سيدي الحاج محمد بن عبد الله، والشيخ الفقيخ سيدي محمد الشيباني، والشيخ الفقيه سيدي الميلود بن ابراهيم، الذي كان له الفضل في مد قرية المصاطفة بنصيب غير قليل من التاريخ شأنها في ذلك شأن بقية القرى المجاورة لها،

لقد كان القرآن الكريم لهذه القرى من أعظم عناوين مجدها وسؤددها، التي كانت رعايتها له عونا لها في كثير من خصائصها التاريخية والدينية والاجتماعية، ويأتي في مقدمتهم رجالاتها المعدودين، وفقهائها المذكورين، وعلمائها المشهورين، ممن سنآتي على ذكرهم بكثير من ميراث علمائهم بما يفيد،

فهذا الشيخ الفقيه سيدي الطيب بالفريخ المهاجي بن سيدي المصطفى بن سيدي الفريخ بن سيدي محمد بن ابراهيم المهاجي رحمه الله الذي كان في العلم مقدما، وفي النفوس معظما، وفي مشكاة الأمور هاديا، حاز الفضل إرثا وتعصيبا، نعَّمَ الله تعالى ثراه، ومنحه السعادة في أُخراه، مما أكسب أهله تشريفا وتنويرا، فهو اليوم في وجهها غُرة، وفي عينها قُرة، وبكتاباته ممتدون، وببراكاته معتدون، وبأسبابه مشتدون، ومن خلقه مكتسبون، وإلى طريقه في العلم والشريعة وأصول الدين متسابقون،

ويخبرنا في إحدى مدوناته رحمه الله، بأنه قصد دمشق من أرض بادية الشام، أثناء أدائه فريضة الحج في جمع من أهله وبني عمومته، من الذين كانوا يمثلون صدارة العلم يومئذ بأرض القعدة من بادية امهاجة، وبدعوة من أهلها

---

[5] أنظر كتاب (الشيخ الطيب المهاجي وجهوده العلمية)، للدكتور قدور ابراهيم عمار المهاجي، ديوان المطبوعات الجامعية ، المطبعة الجامعية وهران 1418 هـ 1998 للميلاد)

الطيبين وأناسيها الخيرين نزلوا مقيمين في ضيافة أحد أعيانها علما وجاها، فكانوا عنده طيلة أيامهم في عز وكرم وجود،

وقد أسندوا إليه دروسا في علوم كثيرة، للتبرك به باعتباره علما من أعلام المغرب العربي الكبير الذين كانوا ينظرون إليه نظرة أهل الأندلس في كثير من تفوق علمائه فغها لغة وآدابا، وما هي إلا أيام حتى باتوا عنده بمنزلة القريب في صلة رحم أو قربى، فما تخلف يوما أ و قصر فيما انتدب إليه من درس في الحديث النبوي الشريف أو التفسير أو ما جاء عندهم من تقارب أو تباعد، في كثير من الشروح والتأويلات، وقد كان له ذلك في عرض واف من البلاغة والبيان، وظل معهم بعد عودته في تواد وتواصل، وقد أجازوه على ما سمعوه منه،

ومما ورد في ذكر هذه الرحلة قوله[6] (.. لقد كانت الرحلات بيننا وبين أهل العلم في المشرق العربي وبلاد المغرب والأندلس قائمة منذ زمن بعيد، في بادية امهاجة من أرض القعدة، عبر عهود مختلفة، فكثير من أبناء عمومتنا سبقوني إلى حواضر هذه البلاد العربية الإسلامية، ليسمعوا من علمائها وخطبائها ومحدثيها بما كانوا من الصدارة في علوم كثيرة، وظلوا إلى عهد متأخر في تواصل دائم، في شد الرحال إلى يلاد المشرق العربي من أرض الشام والعراق، والمدينة المنورة ومكة المكرمة في عدد من وجوه أكابر العلم من شيوخ آل امهاجة، مستمعين إليهم في كثير من روائع آدابهم، ووافر حفظهم وعلمهم، المستمدة من كتاب الله وسنة نبيه الكريم وأحاديث وأثار وأقوال صحابته رضوان الله عليهم، وظواهر

[6] أنظر كتاب الوصل في ذكر رجال العلم وأهل المقامات لأحمد بن يحي بن المهدي بن عبد الله الحرشاوي التلمساني المتوفى عام 1236 من الهجرة، الورقة: 32 من المخطوط،

أخرى مبنية على تأملات عقلية، في مناظرات طريفة كانت تجري بيننا وبين من يترفع عليهم بعلميته وآدابه.)

ويقول في رحلة له قادته ثانية إلى بلاد المشرق العربي، مرورا بكثير من عواصمه العلمية، ومراكزه التعليمية الكبرى، وبيوتاته الثقافية والفكرية معبرا عما تحمله بادية امهاجة من أرض القعدة، من صفة عربية أصيلة بجوانبها المتعددة ونواحيها المتشعبة، في محامد ومكارم ومن معاني سامية هي أكمل ما تكون عنده علما وجاها، المخلد لآثارها وأحسابها وأنسابها وأمجادها، قوله[7] :

(..لا تزال أرض القعدة من بادية امهاجة، أحسن مكان، وأشد عطاء علما وجاها، حسبا ونسبا، وقد بلغت بهم الغاية في المروءة والكرم والوفاء، حتى وصفت يوما عند أهل العلم بأنها ينابيع علم، ومحط حمل أحكام الله، وكتابه وسنة نبيه الكريم، بما كانت تشهده أيامها في كثير من حلقات الدرس والتحصيل، في جوامع ومساجد وبيوتات علم، يتحلق فيها طلبته على اختلاف مواد تحصيلهم العلمي، حول شيوخ نشأوا في حجور علماء مملوئين بكثير من حفظ متون اللغة والفقه والآداب، وقد بات لأهل العلم والآداب فيها شهرة، وللمؤرخين موضع بحث ودراية،..)

لقد كانت أرض القعدة تمثل عبر زمانها البعيد، نموذجا لكثير من الصفات المميزة للحياة العربية الإسلامية، التي من أهمها رابطة الحسب والنسب، ومروياته الثقافية والفكرية، من التي لا تزال تمتد عندها في أجيال بعيدة، من حيث التنافس على حفظ القرآن الكريم ومعرفة علومه التي كانت لأهلها أجمل حِلْية،

[7] *أنظر* كتاب الوصل في ذكر رجال العلم وأهل المقامات لأحمد بن يحي بن المهدي بن عبد الله الحرشاوي التلمساني المتوفى عام 1236 هـ الورقة: 28 وما بعدها، من المخطوط مصدر سابق،

وللعقل أشرف زينة، لما تفردت به من جوامع ومساجد وبيوتات علم لا زال الله يمدها بكثير من الأصول والفروع ممن تبوءوا المكانة الرفيعة، والمنزلة العالية، والحكم النافذ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد أفسح لهم التاريخ صدرا رحيبا بين صفحاته، بما يتفق وسمو درجاتهم في دين وجهاد وعلم وصلاح،

فهذه هي ديار القعدة من بادية امهاجة، في بعدها التاريخي الثقافي والديني، التي طهر الله فيها قلوب ساكنيها من كل سوء، بما أعطاها الله سبحانه وتعالى من رجالات علم ملمين بأيام العرب وآدابها وأشعارها ولغاتها، في كثير من عادات وتقاليد وأعراف، حتى أصبح يخيل لزائريها أن كل ما فيها، هو بمثابة راوية حجة لصدقه وتمكنه من سرد أحداث تمتد في جذورها إلى زمنها البعيد وإلى كثير من الروايات والأخبار، وقد كانوا فيها من القدرة من تحر الصدق في كل ما هو منحول منسوب من الذي امتلأت به بعض التصانيف،

لقد كان هؤلاء الشيوخ الفقهاء رحمهم الله، عونا لنا في توجيه وحرس شديدين على أخذ العلم والاستفادة من أخبار الأوائل من مثل سائر، أو موعظة بليغة، أو كلام منثور، أو شعر منظوم، وهم على الدوام موضوع يحثوننا على كثير من الجد والاجتهاد والمواظبة على الدرس قراءة وإقراء ومطالعة، حتى بات تأثيرهم علينا تأثيرا كبيرا، وقد تشبع الكل من أبنائها بكثير من توجيهاتهم وثقافتهم المتعددة الجوانب،

وقد كانوا رحمهم الله على درجة كبيرة من الثقافة الشفهية اللسانية المنقول منها والمروي، في بعدها البلاغي واللغوي الديني والروحي، وبما كانوا عليه من أملاءات تكون لنا استراحة وانتقالا وتنفي عتا الملل تارة، وأخرى تقربنا من التحصيل العلمي في حفظ ومواظبة ، حيث كانت عندهم هذه الطريقة عبارة عن أساليب متبعة،

فهذه أرض القعدة التي تراني أؤسس اليوم فيها هذه المدرسة القرآنية، التي ارتبط اسمها بالقرآن لا بغيره بـ : (دار القرآن الكريم لتعليمه ومعرفة علومه) كما كان يعنى غيري من أبنائها ممن كانوا يتنازعون فيها رئاسة العلم وحفظ القرآن الكريم وبما تركوه من آثار سائرة، وجهد بليغ، في مروءة وجود وعلم وعمل، فكنت بها أحد هؤلاء ممن غبطوا بميراث ورثه من الآباء والأجداد، المسمى بـ: قدور ابراهيم عمار بن محمد بن الحبيب بن محمد بن مصطفى بن سيدي قدور بن مصطفى بن سيدي الفريح المهاجي، داعيا الله العلي القدير أن تكون في يوم من الأيام هيئة علمية عالية السند، في نشاط تربوي ديني مقصود على أيدي شيوخ وأساتذة مربين مختصين، آملا أن تتوفر لها العناية الكبرى التي طالما توفرت لمساجدها وكتاتيبها القرآنية،

لقد كان الجهد كبيرا وشاقا في تأسيسها، التي لولا لطف الله ورعايته لتخليت عنها في منتصف عملي بها، لكثرة ما كان يحف طريقي من مفاوز وعراقيل ومضايقات ما أنزل الله بها من سلطان، تدفعني مرة إلى التخلي عنها تارة، وأخرى تدفعني إلى مواصلة العمل نحو تحقيق حلم جميل ظل يراودني طيلة أيامي في المهجر، وأنا لا أزال يومها طالب علم ومعرفة، قليل الزاد خاوي الجراب،

حتى أن الكثير من المقربين لي من صحبة كانت أو من بني العمومة كانوا يلحون علي بالابتعاد عن هذا المشروع الذي هو بعيد المنال ولن يكتب له النجاح، لا لشيء وإنما لانعدام مكوناته الأساسية وبخاصة المادية منها، وبما يجد فيها كل يوم من معوقات تكاد تزهدك عن مواصلة عملك، في مظاهر وأحداث غريبة من التي لا يقبلها العقل ولا العرف، ولا القانون، كونها معجزة للفكر والعقل، حيث لا تجد لها ما يبررها إلا الابتعاد عنها حتى لا يختل عقلك أو يذهب بصرك، وهذا أقل احتمال عند الكثير ممن ابتلي ما ابتليت به، لكن الله

أراد لهذا العمل أن يرى النور بطريقة أو بأخرى، بما سخره الله من أناس لم يبخلوا علي بكثير من النصح والإرشاد وجدت فيه خير العمل ليحل عندي محل ثقافة كادت أن تدخل الشؤم واليأس إلى قلبي،

ويكفيني فخرا اليوم أن أكون قد تحملت أعباء هذا المشروع القرآني الرباني في جد ونشاط، الذي تم بتوفيق من الله سبحانه وتعالى، في إخراجه إلى النور، وبهذه الدرجة التي استفرغت فيها جهدي في تقوى من الله ورغبة في ثوابه يوم الدار الآخرة،وقد هداني الله إليه صراطا مستقيما،

ويبقى على أهل هذه البيوتات من هذه الأرض الطيب أهلها وعلى المهتمين بشؤونها التربوية والدينية والثقافية، على مواصلة الجهد الذي أنشئت من أجله هذه الدار في غايتها، (دار القرآن الكريم لتعليمه ومعرفة علومه) في منهجها التربوي ودرسها الديني الثقافي والمحافظة الاجتماعية، على غرار منهج السلف الصالح من تعليم للقرآن الكريم ومدارسة علومه الدينية، وكل ما يتبعه من ثقافة في لغة وأدب وتاريخ ودين، وعونا ثقافيا ماديا واجتماعيا لأجيالها المتعاقبة، ومرفقا من مرافق أرضها الطيبة التي لا تقل عن غيرها من أرض الجزائر من التي لا زال لسانها لسان محاسن بداوتها في لغة ودين وعادات وتقاليد في ثقافات ممزوجة، وجداول علم مختلفة، بكل نواحيها، الممعنة في محاسنها فخرا واعتزازا،

فهي لا تزال وإلى اليوم تحتل في نفسي، الكثير من التقدير والاحترام ما يصل إلى الأعماق من حياتي، بعيدا في ماضيه والاستمساك بما غرسته في نفسي وإلى كثير من الأجيال من معارف علمية، في درس نافع، وتحصيل جيد، وتحفيظ للقرآن الكريم، الذي لا زال عند الكثير من أبنائها الخيرين، موضع بحث ومحل عناية واهتمام، لأنه كان ولا يزال يمثل صورة صادقة من حياتها الثقافية والفكرية يومئذ، ومرآة صادقة صافية تجلو ما انطوت عليه أيامها من مثل عالية،

وعواطف كريمة، وسماحة رضية، وكان ذلك من فضل الله على أبناء هذه الأرض الطيب أهلها ،

لقد شهدت هذه الديار عبر تاريخها المديد مساجد وكتاتيب قرآنية، لا تحصى ولا تعد، بها شيوخ حفاظ، وفقهاء أفاضل، زخرت بهم أرض القعدة عبر تاريخها المديد، كانوا أئمة علم وشيوخ ذكر وفقه ولغة وآداب، وحفظة كتاب الله، من الذين تعطرت بنفحاتهم أرجاؤها، في كثير من مناقب ومآثر، إتباعا لما كان عليه المتبوع وهو الرحمة المهداة محمد صلى الله عليه وسلم قولا وعملا، وقد عدوا يومها من نوابغ الفكر والثقافة ، وذلك لما تركوه من آثار من الذي لا يحدث فيه الخلاف، مما أبقى لهم ذكرا حسنا على مر السنين،

وقد بلغت بهم الحياة الدينية والثقافية والفكرية يومئذ درجة سَمَتْ بهم شهرةً في آداب وأخلاق وجهاد ومقاومة، وازدهت فيها العلوم العقلية والنقلية، وتكاملت فيها الدراسات الفقهية واللغوية المختلفة، كما نمت بها الحياة الصوفية والدراسات الدينية على اختلاف مواضيعها، من تفسير للقرآن الكريم ودراسات للحديث النبوي الشريف، وقد تسابقت العديد من بيوتاتها إلى إنشاء دور للعلم، وكتاتيب قرآنية في الإفادة من حفظ لكتاب الله وتعليم علومه،

فهي ذات بيئة عربية إسلامية أصيلة، جمعت بين الثقافة العربية الإسلامية، والشهرة الدينية، التي هي في نهجها الإسلامي على مذهب مالك، وقد نالت فيه المنزلة الرفيعة، والمراتب السنية، في كثير مما جمعه ودونه الإمام ملك في كتابه (الموطا) الذي اتخذت منه دول الشمال الأفريقي مصدرا تشريعيا لها، فمنه يأخذون وعليه يسيرون،

وقد كانوا ثبتا في علم الأنساب، الذي هو عندهم أهم منبع لتوثيقه وتدوينه، وظلت به مجالسها تتسع، وأفكارها تسود، وثمراتها تجنى وتجلب، وآدابها تزدهر،

بفضل ما هي عليه من فكر عربي إسلامي أصيل، من الذي ظل يمتد إليها عبر أجيالها البعيدة، امتدادا طبيعيا لواقع أسبق منها، ما جعلها تواكب آفاق الحضارة العربية الإسلامية بجوانبها المتعددة، كان القرآن هداها، عملا وتشريعا، دينا وعقيدة،

القعدة
بلدة طيبة، تتوفر على أراضي فلاحية خصبة،
ومناظر جميلة، تحيط بها من كل جانب،

امهاجة

في مدلولها اللغوي ورسوخها الجغرافيها وامتدادها التاريخي[8]

تعتبر ظاهرة النسب من أهم الظواهر بحثا وتعقيدا، فهي ذات مساحات واسعة في البعد التاريخي، لأنها تتعلق بالسلالة وجرثومة الحياة، فالنسب ليس فقط وثيقة تاريخية، أو روايات مروية، وإنما هو عالم يتردد صداه في أسماء الرجال، من الذين اتسموا بكثير من قيم الحلم والعفو والتسامح واتباع كل ما فيه من تعالم دينية ومثل عليا،

فهو عالم ينبض بالحياة، لما فيه من نزعة تدعو للاحتفاظ بكل ما يربط تاريخها بسلالة نسبها، ويدعم مركزها، ويعزز كيانها، في مصطلح لا زالت تأخذ به مجامع القلوب التي استقر الإسلام عليها في تاريخ وعقيدة ودين، من التي لا زالت كتب التاريخ والسير والتراجم والطبقات والبلدان، تعطي في افتتاحياتها بحوثا أولية لعلم النسب، باعتباره مادة تاريخية علمية موثقة، توارثتها الأجيال في سنين رواية وتدوينا، حتى بات مدرسة ذات اختصاص يستمد كيانه من خصوبة فكره، وأصالة وجوده وما يستوعبه من مآثر روحية ذات صبغة دينية، تضفي عليه صفة الجد في التتبع

والاستقراء[9]، إذ أنه ليس هناك أمة من الأمم في العالم تهتم بالأنساب كاهتمام العرب بها، فهذا فليب حتِّي يقول: (ليس في العالم قوم، غير البدو من العرب أنهم رفعوا معرفة الأنساب إلى مرتبة العلوم)[10]

---

[8] أنظر كتاب الوصل في ذكر رجال العلم وأهل المقامات لأحمد بن يحي بن المهدي بن عبد الله الحرشاوي التلمساني المتوفى عام 1236 هـ الورقة: 26 وما بعدها، من المخطوط مصدر سابق،

[9] أنظر مقالتنا بمجلة العربي العدد 32 من عام 1968، للميلاد ـ العراق ـ بغداد ـ تحت عنوان: ازدواجية المصطلح اللغوي بين قيم التغالب والعصبية)

[10] أنظر كتاب فليب حتِّي ص: 28 وما بعدها، دار العلوم للطباعة والنشر القاهرة،

فمعرفة الأنساب عند العرب لها وظيفة اجتماعية أخلاقية دينية، ظلت تتميز بها حياتها في كثير من خصوصيتها الاجتماعية والثقافية، وفي كل ما يدونون ويؤرخون حول موروثهم الثقافي ومنتوجهم الفكري، الذي ظل ممتدا عندهم بكامل أبعاده على درجة واحدة، حتى انتصر منها ما كان لها من ثقافة وعادات وتقاليد وأعراف، مما جعل ظاهرها وباطنها متقاربين، لما حمله هذا المورث من صدى عبر أجيال مختلفة، محمولا من قبيلة إلى أخرى[11] أو أسرة دون أسرة من التي أخذت ميراث أسلافها من عصور سابقة للإسلام أو قبله بكثير،

وقد جاء في الأثر، أن الناس مؤتمنون على أنسابهم، ويحرم أن ينتسب الواحد إلى غير أبيه، ففي الصحيحين عن سعد رضي الله قال: سمعت رسول النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه، فالجنة عليه حرام،

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كفر)

ويحرم الطعن في الأنساب، ففي الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اثنان في الناس هما بهم كفر، الطعن في النسب، والنياحة على الميت)

ونظرا لاهتمامهم الشديد بالأنساب، حرصوا على محافظة سلوك المرأة وعفتها، فالمرأة عندهم وعاء النسب، فإذا تلوث الوعاء تلوث محتواه به، ومن ثم

---

[11] أنظر كتاب دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ص: 57 وما بعدها للدكتور علي الوردي، بغداد 1965

جاء تفضيلهم لنسب المرأة على جمالها ، وقد جاء في أحد أمثالهم المأثورة قولهم: (إياكم وخضراء الدمن) ويقصدون به التحذير من التزوج بامرأة غير نسيبة،

وفي الحديث النبوي الشريف، تنكح المرأة لأربع: (لحسبها أو لجمالها أو لمالها أو لدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك)،

ونظرا لهذا التشدد وهذا الاهتمام بمثل هذا الاختيار من الزوجات، الذي بالغوا فيه إلى درجة الإفراط، فبه كانت تقاس المرأة عندهم بكثير من العفة والتستر والاعتكاف في البيت، حتى أنهم كانوا يطلقون على هذا النوع من الزوجات أنها ـ ربة بيت ـ ، وكانوا يقولون: (إن المرأة لا تخرج من دارها إلا مرتين طول حياتها، الأولى عندما تزف إلى زوجها، فتذهب من دار أهلها إلى دراه، وثانيها عندما تموت فتخرج جنازتها من البيت إلى القبر،)[12] ، إضافة إلى ما كانت عليه المرأة يومئذ من صدق وعفة وأمانة وهي فيها أقرب إلى الأخلاق الدينية التي جاء بها الإسلام،

ولكنه هيهات على ما نحن عليه اليوم من ذاك التاريخ، فالمرأة أصبحت تتقدم الرجل في كل شيء، سافرة تخالطه وتشاركه في كثير من أعماله السياسية والاجتماعية والثقافية دون إذن من أحد، ولم يقتصر هذا الحال على المدن الكبرى فحسب، بل تعداه إلى كثير من المدن الصغيرة وكذا القرى والأرياف والعروش والمداشر، من التي ظلت محافظة على بداوتها في فارق كبير، حيث كانت المرأة فيها أيا كانت لا تخرج إلا بعباءة تلف بها جسدها حتى أنها لا تكاد تبصر طريقها إلا من خلال ثقْبٍ صغير، أو من وراء نقاب، بينما هي الآن تعيش عصرا فيه

---

[12] أنظر كتاب (تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني) ، ص: 59 وما بعدها للأستاذ عبد الرزاق الهلالي، مطبعة المثنى ـ بغداد،

الكثير من الشبهات، حتى أنها قد ذهبت بها الحياة إلى أبعد الحدود، فمن الحجاب إلى التبرج دون قيد أو شرط، كاشفة عن شعرها متزينة بأشكال وأنواع من المساحيق من التي ما أنزل الله بها من سلطان، ولا عيب ولا رقيب ولا آمر ولا ناهي،

ولعل ذلك راجع إلى عوامل كثيرة، منها تفتحها على أبواب التعليم والتربية والتكوين دون قيد أو شرط، في مدارس عصرية بمختلف ثقافاتها التكوينية المتفتحة على كثير من أبواب العصر وأجوائه، ما جعلها تثور على الكثير من العادات والتقاليد من التي أخذت بعدها في مجتمعنا العربي الإسلامي، وهو شعور رافقها في سنين، إحساسا منها بأنها كانت مقيدة مكبلة، إما بدافع التعصب الاجتماعي، أو الديني والثقافي، وقد أخذ هذا المنحى بعده الزماني والمكاني عندها، على أنه بات أمر طبيعي لا يدعو إلى الاستغراب،

واليوم وقد ضاقت فيه فجوة الاختلاف بينها وبين الرجل في نزاع تارة، وفي تقارب وتفاهم تارة أخرى، وأصبح الكل ينظر إلى وجوده بمنظار يختلف عن منظار الآخر ثقافة، تربية وتكوينا، ونتيجة لذلك ظهر هذا الانفصام في شخصيتها التي أدى بها إلى كثير من مظاهر الغلو والتطرف، حيث لا يزال الجدال حول الكثير مما هي عليه من غير جدوى، ونتيجة لكل ذلك أصبح للمجتمع العربي الإسلامي الكثير من البدع والخرافات في طقوس وعادات وعقائد ما أنزل الله بها من سلطان، كل حسب مقتضيات ظروفه وحاجاته النفسية والاجتماعية مجد مجتهد، ومشتهيات أخرى كثيرة غلبت عليها زوائد الدين على أصوله، وبدعه على حقائقه،

ورغم كل ذلك فإننا نقول إن المجتمع العربي الإسلامي في أرض الجزائري والمغرب العربي عامة، لا زالت تربط بعضه بعضا الكثير من روابط دينية اجتماعية ثقافية، تبعث فيه روح الطمأنينة والتفاؤل، وتحميه من مخاطر العصر وأهواله،

وهذا لا يعني أن ما أصاب مجتمعنا من ظواهر اجتماعية دخيلة، من التي جعلت منه مصبا للبدع والخرافات، وما أحدثته من تفاعل وتلاقح بين كثير من الأفكار المختلفة في غير هدى من الله،

ولكننا نقول، والحمد لله أننا على يقين من أن أمتنا لا زالت من أكثر الأمم اتباعا لما جاء في الكتاب والسنة من تعاليم دينية ومثل عليا، وأصول أخرى نشأت عليها منذ طفولتها الأولى من التي لا زالت تمدها بكثير من المبادئ والقيم من التي كانت عليها في بداوتها الأولى للإسلام، ما جعلها تحافظ على الدوام على جذورها العميقة، من حيث تكوين شخصيتها وثقافتها الاجتماعية العربية الإسلامية ، في كثير من التماسك والترابط القويين،

ومن الظواهر الاجتماعية الأخرى من التي لا زالت تلفت النظر في كثير من مناهجها المتعددة، وآدابها الاجتماعية المختلفة، لما تحمله من ظواهر اجتماعية نلاحظها في ظاهرة (الوعدة)[13] التي هي صنيعة الاستعمار انسجاما مع تفكيرها الثقافي المظلل للفكر ولمبادئ الحرية والعقل معا، من حيث التأثر بنظامها الاجتماعي الدخيل، الذي لا زالت تفرضه على الشعوب التي استعمرتها حتى بات مقيدا فيه تحت عوامل تبعده بطريقة أو بأخرى عن المطالبة بأرضه المنهوبة، ووطنه المسلوب إلى حد كبير، حتى أصبحت ثقافته كامنة في أعماق اللاشعور

[13] أنظر ص: 188 وما بعدها من هذا التأليف،

عند العامة من الناس، تجري على كثير من الوجوه خضوعا، ومن الكآبة والتذمر والأنين تارة أخرى، ولا يشذ عنها إلا رافض أو عاص غير مطيع،

لكنه وبفضل رجال صلحاء وطنيين مخلصين، من الذين وهبهم الله من الوطنية ما وهبهم من الإيمان الخالص بوحدة الوطن وسلامة أراضيه، في أخوة صادقة ومحبة خالصة، بين بني الوطن الواحد، آمنين مطمئنين إليه جيلا بعد جيل في ثقافة وقيم وعقائد ظلت سائدة فيما بينهم في سنين، يدينون بولائها، ويحلون بها مشاكلهم ويفسرون بها غوامضهم من غير تشكيك ولا حيرة، هبوا إلى تخليص الوطن في وحدة موحدة، حتى أنهم كانوا نموذجا للمجتمع العربي الإسلامي الصالح في جاهد ومقاومة للعالم كله،

لقد كان لهؤلاء وبفضل الله وعقيدتهم الإسلامية الموحدة ، من التي لا زالت تدعو عندهم إلى التعاليم الفطرية الأولى من التي جاء بها الإسلام، كأعظم وسائل للترابط والتكاتف والتآلف تأثيرا في النفوس علما وعملا، آدابا وأخلاقا،

ونظرا للمكونات الاجتماعية التي زخرت بها أرض الجزائر، ولتأثيرها الديني الثقافي والاجتماعين أعطت للكثير منهم صورة واضحة المعالم لما اتسمت به بعض رجالاتها من عمل علمي تعليمي جاد عبر تاريخها، في إصلاح اجتماعي وتكوين فكري ثقافي، ديني وتربوي، بفضل ما كانت عليه هذه أسرها، من عادات وتقاليد في ثقافة مشتركة وتعايش سلمي، جعلها تذهب بعيدا في كثير مما كانت عليه معالم العلم ومراكزه، منها على سبيل المثال، اعتقاد البعض منهم أن تكريم شيخ فاضل نذر نفسه للدرس والتحصيل في سنين، وبما تركه من بعده من خلف طيب صالح، حمل بعده لواء العلم وحفظ القرآن الكريم، بإحياء ذكراه يوم وفاته أو ساعة ميلاده، هو جزء من وفائه اتجاه هذا الرجل الصالح ، أو ذاك العالم الفقيه الزاهد، عملا بما جاء في الأثر عن سيد البشر، أنه قال عليه

الصلاة والسلام: من ورَّخَ مؤمنا فكأنما أحياه، ومن قرأ تاريخه فكأنما زاره، ومن زاره استوجب رضوان الله، وحق على المزور أن يكرم زائره،

ومما جاء في كتاب الجواهر المضيئة[14] قوله: (...أن ذكر فضائل العلماء تعرض لنفحات الواهب من الله، فإن ذكرهم بالفضائل ذكر الله بالأنعام والأفضال، وثمرة ذكر الله طمأنينة القلب كما نطق الكتاب المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،

بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك بتأسيسهم لكثير من هؤلاء، مراقد في قبب ومنائر في شكل معالم تاريخية، يلتقي عندها الناس في جو روحاني مهيب يصل مداه إلى أعماق النفوس، ولها من الأتباع والمريدين ما يتحدثون عن سيرتها على قدر عقول الناس من الذين يرون في زيارتها شفاء أمراضهم وتطمين نفوسهم، متأثرين بإيحاء نفسي بما في داخل هذا المرقد قد يبعث فيهم الثقة بالنفس والطمأنينة في القلب قليلا أو كثيرا، وبخاصة عند أولئك الذين شهد لهم الناس بأن الله خصهم بطاعته وحسن عبادته،

وقد تبين لي في كثير من مصادري على حسب ما تلقيته من بعض مشايخ العلم، أو ممن تأخر من الأعيان من أهل التاريخ أو الرواية أو التدوين، أن النزيل من الأصيل في كثير من تلك المراقد من التي اشتهرت كمالاتها هم من العلماء والصلحاء، أسواء أكانوا جامعين للعلم من أهل هذه الديار أو من معارف من الغرباء الصلحاء النبهاء وأكابر الفضلاء ، ممن كانوا زينة دهر وأئمة الإسلام،

[14] تمام التسمية في طبقات الحنفية للشيخ عبد القادر بن أبي الوفاء محمد القرشي المصري المتوفى عام 770 من الهجرة ، طبعة الهند 1332، في مجلدين،

وقد انتشرت هذه الظاهرة في كل مكان من أرض الوطن[15]، حتى عادت مقامات اجتماعية تختلف في كثير من معالمها وخصائصها، باختلاف الزمان والمكان، وبخاصة عند من كانت له مكانة اجتماعية بالغة الأهمية عند قومه، أو من عرق هاشمي من الذين لا زالت تلتقي عندهم الكثير من البوتات في نسب وحسب، لآل بيت النبي محمد صلى الله عليه وسلم، المعروفون بـ : (الأشراف الأدارس)[16] من الذين شهدت هجرتهم بلاد المغرب العربي الكبير، وأرض مصر والسدان والحجاز من عام 770 للهجرة،

وهذا التواجد التاريخي لهؤلاء الأشراف الأدارسة بأرض الجزائر، جاءت أهميته بما سكنها من أعيان لآل امهاجة أو ممن دخلها من مشاهير صلحاء الرجال، في عقيدة ودين من أرض المغرب والأندلس، في بيوتات صنعت لنفسها حياة بهذه الأرض الطيب أهلها، وشملتها بقيمها ومركباتها وطابعها[17]الإنساني من التي اكتملت بها عندهم روح الأخوة والتسامح، حتى باتت صفة ملازمة لمدلولها المنهجي الديني واللغوي لهذه القبيلة أو تلك، كمصطلح اشتق من لفظ مدلولها النسبي أو العرقي، أو ما كان منه من أسماء وألقاب حتى تكاثر وتفرقت عندهم بمرور الأيام من غير رواية ولا تدوين ما جعلهم يتحررون من الارتباط إما عن طريق كفايتهم الشخصية أو لاختلاف ظروف أو سبب ضيق أو نزاع تعمق في صدور الذي ما من شأنه إضعاف نزعة التحاسد والتباغض،

---

15 أنظر مبحث (الوعدة في بعدها التاريخي والاجتماعي) ص: 188 وما بعدها من هذا التأليف ،

16 أنظر كتاب دولة الأدارسة ـ ملوك تلمسان وفاس وقرطبة، لإسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية،

17 أنظر (كتاب تاريخ امهاجة بين المدلول اللغوي والرسوخ الجغرافي والامتداد التاريخي)،ص: 91 وما بعدها، طبع ديوان المطبوعات الجامعية ، وهران، 2002 للميلاد،

وهذا أمر لم يصل في درجاته عند الكثير من القبائل إلى درجة التنافس والتحاسد إلا ما شذ، بل ما رأيناه في البداوة غير ذلك، كونها كانت سندا لبعضها البعض في كثير من أمورها، من حيث أنها أمة واحدة موحدة، الكل في داخل قبيلته يحس على أن جدهم واحد ونسبهم واحد، وليس هناك من ميزة لأحد منهم على غيره إلا بما تفرضه كفايته الشخصية من علم أو جاه أو شجاعة وما شابه ذلك، فلمثل هذه الأسباب وغيرها كثير استطاعت قبيلة امهاجة، أن تحافظ على وجودها بين قبائل بني عامر المعروفة بقيمها العربية البدوية، منذ بداية أمرها على أساس من النسب والحسب في ثقافة اجتماعية ونظام قبلي بكل ما يحمله من قيم ومركبات وطابع عام، حيث يولد المرء فيه ويصعب عليه التحول عنه صعودا أو نزولا لأي سبب من الأسباب،

ونظرا لما لحق هذه القبيلة عبر تاريخها المديد من التداول للفظة (امهاجة) الذي شاع استعماله بين المعنى العلمي تارة، وبين المعنى الشائع لهذا الاصطلاح، الذي له صلة وثيقة بما جاء به القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى:(.. لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)[18] كون أن منهج هذه القبيلة مستمد من كتاب الله وسنة نبيه الكريم، الذي ظل يربطها بجذورها الأولى أصالة نسب وحسب، في شرف وعز ومكانة، وقد جمعتها مسيرتها بغيرها من الأمم والشعوب من البوادي

[18] الآية : 48 من سورة المائدة، والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى جعل لكل أمة شريعة ومنهاجا، أوجب عليهم سلوكها، لتزكية أنفسهم، وإصلاح شرائعهم، فكان الأمر كذلك لآل امهاجة، باتباعهم شريعة الله وسنة نبيه الكريم، التي بها كانوا أهلا لهذه التسمية، بـ :(آل امهاجة الأدارسة الحسنيين)، أنظر كتاب الوصل، الورقة 26 من المخطوط، مصدر سابق،

والحواضر، بكثير من المبادئ والقيم[19] والأخلاق، وقد دونت أحوالها في مناقب ومفاخر شامخات، ولرجالاتها تراجم وسير وأخبار في تاريخ ولغة وعمل ودين، إلى أنه لم يجمع من تاريخها الكثير، نظرا لما أصاب حياتها من نزول وترحال في سنين، قبل أن يستقر بها المقام بمكانها المعروف بـ: (البطحاء) من أرض قبائل بني عامر بعد انهيار دولة الأدارسة بأرض المغرب الأقصى والأندلس، حيث أصبحت هجرتها مفتوحة في غير اتجاه نحو صحراء لا أول لها ولا آخر، خشية البطش بها أو التنكيل في سوء معاملة أو تقدير،

لقد كانت هجرتها الأولى اتجاه قبلة صحراوية، اسوطنتها الكثير من القبائل الوافدة أكثر مما كان لها من قبائلها الصحراوية، المعروفة عند أهل التاريخ بالساقية الحمراء وواد الذهب، حيث تفاعلت على أرضها الكثير من القبائل البدوية أسواء أكانت من القبائل العربية القادمة من أرض المغرب والأندلس وبلاد المشرق، أم كانت من القبائل الرحل من الذين لا يزالون يبحثون عن العشب أو الكلام استقرارا، أو من ساكنيها الأصليين الذين هم من بقايا الأقوام القديمة من حضر وبدو،

ونظرا لما كانت عليه قبيلة امهاجة بأرض فاس من بلاد المغرب الأقصى، من طبيعة ذات منفعة حضارية علمية ثقافية اجتماعية، لم تجد في طبيعة أرض الساقية الحمراء وواد الذهب، ما يلائمها من حياة اعتادت عليها أو طرق معيشة تناسبها، ما جعلها تتابع رحلتها إلى واقع أكثر أهمية في خصوبة أرض وحياة منتظمة،

---

[19] أنظر كتاب الأنوار السنية في نسب من بسلماسة من الأشراف المحمدية لأبي العباس العلوي ، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 1351 للهجرة صمن مجموع، وكتاب الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية لمحمد بن علي السنوسي طبع مصر 1349 هـ،

ويبدو أن طبيعة الرحلة التي عهدتها دون قصد أو توجيه، قادتها إلى أرض قبائل بني عامر العربية، من عام 770 للهجرة أو ما يقاربها[20]، لما وجدت فيها من حياة يتآلف فيها القريب والبعيد، في ما هم عليه من تفكير مثالي وسلوك واقعي ما جعلهم يرتفعون مكانة عند ساكني هذه الديار وسط من بني عامر، وتوالت عليهم التقديرات والاحترامات، بما أنشئوه من مجالس علم وبيوتات كتاب الله، من التي قد لا نجد لها ما يشابهها في تمثيل الدين تمثيلا حيا وواقعيا إلا نادرا وسط هذه البيوتات، لما احتوت عليه هذه القبيلة من فقهاء ووعاظ وخطباء ومربين في إرشاد الناس وتعليمهم كتاب الله وسنة نبيه الكريم، وبما تحمله تعاليمها من وقيم أخلاق مثلى من التي جاء بها الإسلام، بعيدا عن سلوكاتهم الاجتماعية ونزعاتهم النفسية،

وقد وجدت هذه القبيلة ـ قبيلة امهاجة ـ أرض بني عامر، أنسب مكانا لها أمنا وآمانا، وأنصارا مرحبين، وإخوانا سررا متقابلين، بعيدا كل منازعات طائفية أو عرقية أو نعرة قبلية، التي ما من شأنها الدعوة إلى عدم الاستقرار أو التشتت والتوزع، لسبب أو لآخر، كما هو الحال في كثير من القبائل العربية المتنافرة التي أكلتها الفتن والتناحر والتفاخر فيما بينها في سنين، وقد جمعت نفسها في حياة ظلت تجري بها على نفس الوتيرة التي اعتادت عليها في قديم زمانها، وسط قبائل بني عامر، حياة شبيهة بتلك التي كانت عليها أيامها بأرض المغرب الأقصى من دولة الأدارسة، ما جعلها تعيد لنفسها عالمها الواسع بكامل أبعاده الدينية

[20] أنظر كتاب السلسلة الوافية والياقوتة الصافية في أنساب أهل البيت المطهر، أهله بنص الكتاب، للإمام أحمد بن محمد العشماوي ثم المكي،ص: 146 وما بعدها، وكتاب الأنوار السنية في نسب من بسلماسة من الأشراف المحمدية لأبي العباس العلوي، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 1351 للهجرة ضمن مجموعة أوراق،

والروحية، الأمر الذي أسترجعت به مكانتها الرفيعة وسط هذه القبائل في عز وكرم ومفاخر ماضية، وبكل ما كان لديها من خصال قوية غالبة من التي ظلت محافظة عليها في أنفسها وأبنائها في سنين،

وبطول زمن كونت هذه القبيلة لنفسها مراكز علم وفقه ولغة ودين، اجتمع فيها أهل الفقه وطلاب العلم في نطاق حلقات دراسية،[21] ما جعلها تصبح أكثر مناطق أرض بني عامر، أهمية علما ودينا، في عقيدة إسلامية سمحاء، ومذهب مالكي سني صرف[22]، محافظة به على سجاياها الأصيلة، في منهج ديني موحد، ومزايا كريمة، وأعراف عريقة، ظلت تختلف عندها بين قبائل بني عامر اختلافا غير قليل من حيث التفاوت في قوة التماسك بأصالتها حسبا ونسبا، من التي لا زالت تنغرس عندها في أعماق نفوس أجيالها في ثقافة اجتماعية وروح عربية أصيلة[23]،

ولكنه وبالرغم ما أصاب حياتها من تقلبات سياسية وظروف اجتماعية إلا أنها ظلت متمسكة بما نشأت عليه في طفولتها الأولى متأثرة بطبيعة ثقافتها الاجتماعية الأصيلة، من التي ظلت تمدها بكثير من المقومات الدينية والأدبية، التاريخية والثقافية،

وواقع الحال أن هذه الدراسة التي أضعها بين يدي القارئ في هذا الكتاب الذي أسميته بـ (الأثر الآفل والكفيل الغافل بعدٌ ثقافي وتواصلٌ ثقافي، في حلى أرض القعدة من بادية امهاجة) حول هذه البيوتات من ساكنيها، ما هي إلا نتاج

---

[21] انظر كتاب (الدرة الوهاجة في نسب آل امهاجة من الأدارسة الحسنيين) ص: 251 وما بعدها،

[22] أنظر ص: 39 وما بعدها من هذا التأليف ،

[23] أنظر كتاب (تاريخ الجزائر الثقافي الديني التاريخي السياسي والاجتماعي) ص: 55 وما بعدها، وكتاب (تاريخ امهاجة بين الملول اللغوي والرسوخ الجغرافي والامتداد التاريخي) مصدر سابق،

عمل في سنين شاقة ومضنية، للبحث عن مادته الأولى التي لا تزال متناثرة هنا وهناك في كثير من الروايات الشفوية المنقولة منها والمدونة، كل فيها حسب اعتقاده الراسخ بمدى صحة مروياتها عنده، وكثيرها لا زالت الأجيال تتناقلها مشافهة في مجالس موثقة بصحتها وسلامة روايتها، إما تخليدا لمآثرها أو إشادة بذكراها،

ولعل ذلك كله آت من كونهم كانوا على درجة كبيرة من الاعتزاز بنسبهم الشريف، وحسبهم التليد الذي ظلوا به محافظين على صفاتهم الحسنة، ومزاياهم العربية الإسلامية الحميدة، في نطاق مجتمع كسبوا به فخارا بين القبائل البدوية منها والحضرية، لأن النسب في نظرهم يعين على صفات الفرد خلقا وأخلاقا، اعتقادا منهم أن الإنسان يرث صفاته كلها من أبويه شرفا عزا ومكانة،

وقد يصح القول أيضا، إن البعض من هذه البيوتات، من التي لا تزال محافظة على حالها الاجتماعي الخاص بها، وبكل ما كان لها من الخصال في أنفسها وأبنائها، ولم يضعفوه عن طريق دماء ضعيفة كما جاء في المثل العربي في قولهم : (العرق دساس)، وهو الأمر الذي دفع بالكثير منها إلى الاهتمام الشديد بصيانة المرأة ـ ذات الحسب والنسب ـ بالمحافظة على حسن سلوكها وعفتها، لأن المرأة عندهم وعاء النسب، فإذا تلوث الوعاء تلوث محتواه به،

وقد ظلت هذه القبيلة ـ قبيلة آل امهاجة ـ عالية الهمة، قوية الشكيمة حاملة معها أسباب ثقافتها بكثير من قيمها الروحية الدينية الأدبية والتاريخية، في كل مما يروى أو يكتب، عبر عقود من الزمن، رغم ما أصاب أيامها من نزول وارتحال في ظل دول عربية إسلامية من التي شهدتها أرض الجزائر وبلاد المغرب العربي الكبير، التي تشابهت بينها بكثير من وجوه التشابه والتقارب من سياسة وحكم وجاه،

إضافة إلى ما جاء في الأثر من أن قبائل بني عامر بن زغبة المعروفين بعروبتهم، كانوا قد انتجعوا من جزيرة العرب أوائل الفتح الإسلامي للمغرب، أو بعده بقليل ، وفيهم من يقال قريشيون كونهم كانوا يعرفون بين الناس بالأجواد، استوطنت هذه القبائل المغرب الأوسط، منازلهم صيفا وشتاء، يحدها غربا مدينة تلمسان وما حاذاها، وشرقا واد فكان الحاجز بينهم وبين قبائل الحشم الذين يقول عنهم المؤرخون أنهم أيضا من العرب، ويفصل بينهم وبين ثغر وهران شمالا قبائل الزمالة والدوائر، واشتهرت هذه القبائل العامرية بين الأوساط المجاورة لها بأسماء ظلت تمتاز بها وهي أولاد سليمان و .... [24]..،

ويعاشرهم في ذلك أخالط من البربر وبعض الأشراف الأدارسة منهم:

(أولاد سيدي علي بن يوب بقبيلة أولاد ابراهيم، وفروع من شرفاء المهاجة وهم أولاد سيدي الهاشمي، وأولاد أبي راس، وأولاد أبي قلمونة، وأولاد عبد الرزاق، وأولاد سحنون، وأولاد العربي، وأولاد بن ويس الساكن بعضهم بحاضرة فاس، ومنهم العلامة المفضال الشيخ الحبيب المهاجي من هيأة كبار علماء القرويين، وهذه الفروع كلها بقبيلة أولاد سليمان، ويوجد بقبيلة أولاد علي من شرفاء المهاجة، أولاد سيدي الفريح، وأولاد سيدي مفلح المعروفين بالعرايبة، وأولاد سيدي سعيد،...[25]

[24] أنظر كتاب (القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم) للشيخ الطيب بن المختار الأغريسي المختاري، ص: 335 وما بعدها، وكتاب (أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر) ص: 23 وما بعدها للشيخ الطيب المهاجي، الشركة الجزائرية للطبع والأوراق، وهران،

[25] المصدر نفسه ص: 23 وما بعدها،

وقد حصل لهذه البيوت والفروع من الأشراف الأدارسة ما حصل لغيرها من الشعوب والأمم التي فرضت عليها طبيعة الحياة البحث عن أرض تمتزج فيها الطبيعة الإلهية بفصولها المناخية، وحقولها المختلفة،

وطبيعي أن تكون لهذه البيوتات جذور تعود بها لأسماء برزت في أفق روايتها التي لا زال البحث عن واقعها التاريخي جاريا، وإلى مزيد من التتبع والاستقصاء،

لكنه وبالرغم ما جاء فيها من إضاءات بيانية في كثير من الكتب والأوراق النافعة، ومن التظابير والرقائق، إلا أنها لا زالت لم تأخذ حقها من العناية التاريخية التي تجعلها مرجع أهل الدراية والرواية، في مدون أو كتاب يضم شمائل أعيانها شمولا تتم به الفائدة، ما يشهد لكمال فضلها وارتفاع قدرها، كونها من آل البيت المطهر من الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا[26]، رغم أن الروايات التاريخية من التي لا زالت تحفها بكثير من الحقائق في علو مقام، واحترام وتقدير، لما كان لعلمائها ومشايخها من توجيهات تربوية وأعمال صالحة، في إعلاء كلمة الله علما وعملا، حتى غدت مناقبهم على صفحات الأعسر مجمع مفاخر وإجلال، منها ما جاء في كتاب[27] الشيخ الطيب[28] بن المختار الأغريسي المختاري صاحب(القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم) قوله:

[26] الآية رقم: 33 من سورة الأحزاب

[27] أنظر كتاب الأحكام في ذكر الأعلام من الشيوخ والفقهاء وأرباب الكلام للشيخ الجليل العلامة الهادي بن محمد بن عبد الله بن عبد القادر المكي الوازاني السني المتوفى عام 1317 هـ،

[28] أنظر كتاب (القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم) للشيخ الطيب بن المختار الأغريسي المختاري، ص: 335 وما بعدها،

(....... ومنهم امهاجة ونسب هذه القبيلة يتصل بمولانا إدريس رضي الله عنه، والأصل الذي يجمعهم سيدي (ميمون[29] وسيدي أيوب)[30] وإياهما عن الشيخ سيدي عيسى بن موسى في غوثياته المسماة بالبدور قوله:

وميمونُ أيــوبُ المهاجي شقيقُهُ من نورهما يبدوا كنوزَ الكواكب
وفي البهجة[31] الخضراء سرهما بدا وجاءهما يشكــوا هزبر الكواكب

وله في أخرى قول رحمه الله[32]:

فمنهم أبو موسى شريفٌ وماجدُ والأفضلُ ميمونُ مبينُ العجـــائب
من الغيب أبْدًا للضيوف مطاعما ووكل ضِرْغَامًا يحـرسُ المـــراكب
أيوب وميمـــون المهاجي شقيقه ضياؤهما في شرقها والمغـــــارب
فما هما في البطحــــاء إلا فريدةٌ حواها نظام المجد من كل جانب

وروي عن سيدي ميمون الأدريسي المذكور في هذه الغوثية، أنه كان على قدر كبير من الكرامات التي بات بها مشهودا، ومناقب وأحوال باهرة، وفضائل

---

[29] أنظر كتاب (أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر ص: 82 وما بعدها)

[30] أنظر كتاب (الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر) للدكتور قدور ابراهيم عمار المهاجي، طبع ديوان المطبوعات الجامعية - وهران - 1998 للميلاد، وكتاب تاريخ امهاجة بين المدلول اللغوي والرسوخ الجغرافي والامتداد التاريخي،ص: 91 وما بعدها،

[31] البهجة : وفي رواية أخرى (البطحاء) والمعنى واحد، وهو المكان الذي به أنشأ بت سيدي ميمون معلمه التاريخي ، وقد حدده بعض المؤرخين بهذه البادية التي سميت باسمه (بادية امهاجة)

[32] أنظر كتاب السلسلة الوافية والياقوتة الصافية في أنساب أهل البيت المطهر، أهله بنص الكتاب، للإمام أحمد بن محمد العشماوي ثم المكي،ص: 146 وما بعدها،وكتاب فتح الرحمان على عقد الجمان،

ظاهرة، من غير اختلاف على فضله في خلق ودين، ملازما للكتاب والسنة النبوية الشريفة، مخالفا لأهل البدع، فهو ممن اشتغل بالعلم ووصف به، حتى أنه كان رحمه الله من المستغيثين به في الأزمات، وفي قضاء الحاجات[33]، عالم صالح وورع زاهد،

وقد وصفه صاحب كتاب الأحكام[34] في ذكر الأعلام من الشيوخ والفقهاء وأرباب الكلام بقوله: (... كان سيدي ميمون رحمه الله جليل العلم، مثبت الإسلام، والذائد عن حرمة الدين، محبا للمكارم، محمود الخلائق، وفيه يصدق قول القائل:

عشق المكـــارم فهو مشتغـل بها والمكرمـــــات قليلـــة العشاق

بث الصنائع في العبـــاد فأصبحت تجبي إليـــه محامـــد الآفـــاق

فهو أول من بنى رحمه الله دار علم، وسط قبائل بني عامر، وقد أمها الناس من مختلف الأقوام والطرائق لأخذ العلم وتعلم علومه، حتى أنها باتت منارة علمية مؤثرة من المعالم الإسلامية أشد تأثير في علم نافع ودرس واسع، وعادات وقيم وأخلاق، وقد تناولها أهل التاريخ بكثير من الرعاية والعناية والاهتمام، بما سجلوه لها من أعمال علمية ظلت تنغرس في نفوس الأجيال، جيلا بعد جيل، ...)[35]

[33] أنظر كتاب السلسلة الوافية والياقوتة الصافية في أنساب أهل البيت المطهر، مصدر سابق،

[34] مصدر سابق،

[35] أنظر كتاب الوصل في ذكر رجال العلم وأهل المقامات لأحمد بن يحي بن المهدي بن عبد الله الحرشاوي التلمساني المتوفى عام 1236 من الهجرة الورقة: 16 من المخطوط، مصدر سابق،

[35] أنظر ص: 208 وما بعدها من هذا التأليف،

لقد نهج هذا الشيخ رحمه الله طريقة آبائه وأجداده في دين وخلق وأخلاق وآداب، تبعا لآل بيته المطهرين القائمين على نشر تعاليم الإسلام والحافظين لحدوده، في إيمان وصلاح،

وقد جاء في الأثر: (.. إن تاريخ العظماء عمر آخر للناظرين، يبث في القلوب عاطفة الخير والخضوع لصوت الواجب....)

فالحديث عن هذا الشيخ رحمه الله، وغيره كثير من الذين وهبهم الله وظيفة اجتماعية مهمة في الثقافة العربية الإسلامية القائمة على أساس من التربية الدينية والسلوك الاجتماعي القويم، وقد وصفه أحدهم[36] في قليل من الأبيات، وصفا يليق بمقامه من حيث الفهم الثاقب، والحفظ الغزير، وقال عنه بأن له من السلف الصالح علما وآدابا ما أعطاه من الشهرة في علوم اللغة والشريعة والدين، وهو في نظرنا ممن رافقه في رحلته نزولا وارتحالا، بعد أن أصاب موطنه الأصلي ما أصابه من تنازع سياسي[37] انتهى بهم إلى تفكيك دولتهم[38] إلى أصول وفروع في أسر وبيوتات، وقد أصابها الكثير من التشتت والضياع، بعد أن كانت لهم الغاية المثلى، واليد العليا في كامل تراب المغرب الأقصى والأندلس والجزائر من أرض تلمسان وبادية امهاجة والمسيد من أرض معسكر،

---

[36] أنظر ص: 39 وما بعدها من هذا التأليف، وقد وقفت على توجيه آخر في نسبتها والله أعلم،

[37] أنظر الأنوار السنية في نسب من بسلماسة من الأشراف المحمدية لأبي العباس العلوي ، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 1351 للهجرة ضمن مجموع، وكتاب الدرر السنية في أخبار السلالة الغدريسية لمحمد بن علي السنوسي طبع مصر 1349 هـ،

[38] إدريس الأكبر(مؤسس الدولة الإدريسية بالمغرب والأندلس وتلمسان) من عام 172 للهجرة 787 ميلادية[38] ،

ما جعل هذه القبيلة من آل امهاجة الأدارسة الحسنيين، أن تهاجر إلى ما هاجرت إليه في رحلة طويلة الأمد، بعد غروب دولتهم هروبا من البطش والتنكيل، الذي نهجه ابن أبي العافية في مطاردته للأدارسة وتقتيلهم جماعات وأفراد، حتى أطلق على نهر فاس اسم (النهر الأحمر) [39] وانتقلت البقية نحو الكثير من أماكن أرض المغرب والأندلس والصحراء الغربية التي كانت تعرف يومئذ بالساقية الحمراء ووادي الذهب وأرض الجزائر وبخاصة ما كان منها من أرض تلمسان ووهران وبادية امهاجة من أرض القعدة ووادي اغريس من أرض معسكر وما جاورها[40]،

وقد وقفت على أبيات كثيرة في كتاب الوصل[41] منها هذه المقطوعة على سبيل المثال، وهي غير منسوبة لقائل، يصف فيها صاحبها على ما كان عليه الأدارسة يومئذ بأرض المغرب والأندلس وتلمسان من أرض الجزائر، من نشر الإسلام والتآخي بين ساكني دولتهم على هدى وتقوى من الله، واعتمادهم المطلق في إدارة شؤون الدولة على أسس شرعية دينية قادتها علماء، وهبهم الله الخير كل الخير في دروسهم التشريعية العلمية منها والغوية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، إضافة دور القضاة والإفتاء وفضلاء الرجال من الحكماء وأهل الرأي والمشورة، ومما جاء فيها قول القائل:

---

[39] أنظر كتاب (دولة الأدارس ـ ملوك تلمسان وفاس وقرطبة ـ ص: 154 وما بعدها، لإسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983،

[40] أنظر كتاب الأنوار السنية في نسب من بسلماسة من الأشراف المحمدية لأبي العباس العلوي، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 1351 للهجرة صمن مجموع أوراق،

[41] وهي في كتاب الوصل الورقة 36 تصل في مجموعها إلى إحدى عشرة بيتا لكنني لم أستطع تحريك حروف بعض أبيات منها بسبب ما أصابها من طمس وضياع،

يا نخبةَ الدهْـــــرِ في الدرايـــــــةْ علما تعاضـــده الروايـــــــــــةْ
لا زلتَ بحْـــرًا بكـــــــــل فـنٍّ يروي به الطالبـون غايـــــــــةْ
لقد تصـــــــدرت في المعــــــالي كما تعاليت في العنايـــــــــــةْ
من فيــــــك تستنظم المعـــــاني بلغت في حسنها النهايـــــــــةْ
أعجوبــــــــةٌ ما لها نظيــــــــــــرٌ في الحفــظ والفهــــم والهدايـةْ

ومقطوعات أخرى ليست بالقليلة وردت في المخطوط، كلها تحتوي على نفثات صادقة كل الصدق، أصيلة كل الأصالة لما تحمله من أوصاف للأدارسة الحسنيين،[42] ولكنه وعلى الرغم مما جاء في هذه المقطوعات من معاني مكررة، وأفكار معادة، وخواطر مألوفة لكنها لا تخلو من تعبير صادق، ووفاء لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما قدموه في سنين من عمل صالح في ثقافة إسلامية وتربية وتكوين، لأرض المغرب وفتوحات الأندلس التي فقدتهم الكثير من الرجال الصلحاء والفقهاء العلماء، ناقلة لنا الكثير من أعمالهم الصالحات وصفاتهم الحميدة من التي حببتهم للنفوس، وأكسبتهم المنزلة السامية في علم وعمل، وكرم وحسن خلق،

[42] كتاب الدرر السنية في أخبار السلالة الادريسية لمحمد بن علي السنوسي طبع مصر 1349 هـ، وكتاب السلسلة الوافية والياقوتة الصافية في أنساب أهل البيت المطهر،ص: 146 وما بعدها، مصدر سابق، وكتاب (الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر) للدكتور قدور ابراهيم عمار المهاجي، طبع ديوان المطبوعات الجامعية ـ وهران ـ 1998 للميلاد، وكتاب (تاريخ امحاجة بين المدلول اللغوي والرسوخ الجغرافي والامتداد التاريخي)،ص: 91 وما بعدها، طبع ديوان المطبوعات الجامعية ، وهران، 2002 للميلاد

وقد أضاعوا كل ذلك وغيره كثير مما حققه مؤسسها الأول (ادريس الأكبر)[43] الذي اتخذ من أوليلي وتلمسان قاعدتين لبسط سلطانه في اتجاه الشرق والمغرب، بعد أن تنازل عن مملكة تلمسان في مرحلة تالية لأخيه سليمان بن عبد الله الكامل، بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي رضي الله عنه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم،

[43] أنظر الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية لمحمد بن علي السنوسي، طبع مصر1349 هـ، وكتاب دولة الإسلام في الأندلس لمحمد عبد الله عنان القاهرة 1943 للميلاد، مصدر سابق،

خا تمة المطاف

القعدة قرية من قرى بادية امهاجة، التي لا زالت تمثل الثقافة العربية الإسلامية الأصيلة نتيجة ما كانت تتوافر عليه من علماء أجلاء وشيوخ أفاضل، وحفاظ كتاب الله وسنة نبيه الكريم، حيث كانوا أكثر الناس شغفا باللغة العربية وعلومها، وقد ورثوا ذلك في سنين، درسا وتحصيلا، يتناقلون آثارها في مجالسهم، ويتدارسون أيامها بواقع بداوتها العربية الأصيلة، محافظين على خصالها في أنفسهم وأبنائهم، حتى باتوا من القدرة بمكان متأثرين بقيمها العربية الإسلامية،

ما جعلهم أكثر تعلقا وتأثرا بتاريخهم العربي الإسلامي، توسعا واطلاعا على كثرة ما جاء فيها من مراجع ومصادر، حتى باتوا قادرين على المجادلة بالحسنى التي توحي بها الثقافة الاجتماعية في علوم لغة وشريعة ودين، لقوله تعالى: (... ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن..)[44] وهي الطريقة المثلى التي أمر بها الإسلام عباده الصالحين من العلماء والفقهاء وشيوخ الذكر، باتباعهم لإصلاح عقائد الناس، في لطف ورحمة، ومجادلة بالتي هي أحسن، ما جعل هذه البيوتات التي تنتمي في جذورها الأولى لآل امهاجة أن تؤسس لنفسها مدارس دينية، وكتاتيب قرآنية، تحفيظا للقرآن الكريم وتدريسا لعلومه، تبعا للمذهب المالكي، الذي كانت عليه الكثرة الكثير من القبائل العربية التي هاجرت أرض المغرب من الأدارسة الحسنيين طلبا للأمن والاستقرار، بعيدا عن كل مطاردة أو حيف أو ظلم أو اضطهاد،

إلى هذه البقعة النائية من أرض الجزائر وسط قبائل بني عامر، الذين استطاعوا أن يتملكوا فيها أرضا، ويؤسسون فيها بيوتات ومرافق عامة من مساجد وكتاتيب قرآنية، ويعمرونها بكثير من الغراسة والحراثة وكثرة الغلاة والخيرات، بعد أن ركد ريحهم وذهبت دولتهم، بانتقال الأمر إلى المنصور بن أبي عامر الذي عمل على إخراج من بقي منهم على أرض المغرب، قهرا بطشا وتنكيلا، وتفرق جمعهم في كل أنحاء المغرب والأندلس مرورا بالساقية الحمراء وواد الذهب إلى أرض الجزائر[45]،

[44] الآية: 125 من سورة النحل،

[45] أنظر كتاب (دولة الأدارس ـ ملوك تلمسان وفاس وقرطبة ـ) ص: 154 وما بعدها، مصدر سابق،

وبهذه الأرض الطيب أهلها، التي بها نشأت نشأة حسنة في تربية وتكوين، وتلقين درس في قراءة وكتابة وحفظ للقرآن الكريم، الذي كان لي على يد شيوخ أجلاء، أورثونا الكثير مما كانوا به من صفات حميدة، وأخلاق فاضلة، من التي ظلت تتزين بها قرية أولاد سيدي الفريح المهاجي الأصيلة، العريقة الآفاق، حيث لا تزال وإلى اليوم أيامها تمثل عندي مضرب المثل، في جمال سيرة، وطهارة خلق، ووفرة علم وجاه، الأمر الذي مكنني من تحقيق حقائق كثيرة، بعضها ما كان لي منها في تعليم وتعلم ودرس وتحصيل وبحث وتأليف، ومنها ما كان لي وهو المهم عندي اليوم أكثر من أي شيء مضى، الذي به تحققت لي مناي بعد عمر طويل وجهد شاق، في حقيقة تذكر، وعمل كله بات عندي محل عز وفخر وامتنان، المتمثل في بنائي لمدرسة قرآنية دينية علمية، أسميتها:

(دار القرآن الكريم لتعليمه ومعرفة علومه)،

على هذه الأرض التي أضْفَتْ على وجودها عزتها ومجدها ومنزلتها السامية، وفي كثير من أماكن العلم ودور الثقافة بأرض الجزائر وأقطار أخرى عربية إسلامية، من التي تناقلت أخبارها عن طريف من حضر إليها من أعلام فقهاء، وشيوخ أجلاء يوم الافتتاح، الذي كان لها بتاريخ: 17 من شهر شعبان 1436 هـ، الموافق 11 جوان 2015 للميلاد، ولفرحتي وابتهاجي بهذا اليوم العظيم، قلت وأمام جمهور كريم هذه الكلمة التي باتت عندي محل ذكر وإلهام :

حين تبلغ النية مبتغاها، وتتحقق الآمال ويصبح المشروع إنجازا يكون اليوم حافلا بالمسرات والمفاخر، ويحق لصاحبها (الأستاذ الدكتور قدور ابراهيم عمار المهاجي الإدريسي الحسني) أن يحمد الله على ما أنعم عليه من فضله، ذلك هو يوم افتتاح دار القرآن الكريم الذي أنجزته بأرض القعدة وقد عمت الفرحة أرضها ببيوتاتها وقراها ومداشرها، استبشارا بالإحياء لمآثر الآباء والأجداد في ربوع امهاجة،

وقدْ قَدِمَ إلى هذا الاحتفال جَمْعٌ غفير من ربوع الوطن، جاؤُوا في كلِّ رَكْبٍ بهيج، من مختلف الأصناف من مشايخ زوايا، وأئمة وأعيان البلاد، وطلبة علم وحملة كتاب الله، وأساتذة جامعيين، وشباب البلدية وأطفالها، والكلُّ يحلم أن تكون دار القرآن الكريم منارةَ علم في الدرس والتحصيل، والتربية والتكوين، لهذه البلدية، وزيادة نهوضية في الجزائر عامة،

وكانت مراسيم الاستقبال تسير على خطة البرامج المسطر لها في التحضير الذي أعده مؤسسها الأستاذ الدكتور قدور ابراهيم عمار المهاجي الإدريسي بحضور ومشاركة السلطات المحلية، بعد إشعارها مَسبَّقاً، وقد هيأت السلطات المعنية بأرض القعدة كلَّ مرافق الاستقبال في ظروف طيبة ملائمةٍ،

وقد تزينت الطرقُ المؤديةُ إلى دار القرآن الكريم بالأعلام الوطنية، تعلوها صورة رئيس الجمهورية الجزائرية يومئذ، في مشهد كبير على جُدُران الدار،

وتم الاستقبال عل سبيل التدشين باستقبال ضيوف الدار بالتمر والحليب في ساحتها الكبرى التي تتربع على مساحات شاسعة، وفي فنائها تلاحقت الوفود التي جاءت من كل حدب وصوب ممثلة لولايات الوطن، واجتمعت الضيوف والأعيان وأبناء القرية ورجالاتها،

وبعدها دخلت الوفود إلى حرم الجامع الذي يتسع في طابقيه إلى ما يزيد على 900 (تسعمائة مصلِّي)،

وقد عرف الجامع زخارفَ ذاتَ بهاءٍ وجمالٍ، زَادَهَا النقش الأندلسي ألمغاربي أصالةً ورونقاً، وتعالت أصواتُ الطلبة وحفظت القرآن الكريم، بالقراءة الجماعية للقرآن الكريم، مُفْتَتِحِينَهُ بسورة الفاتحة، ثم سورة البقرة، ثم المواصلة بالحزب والحزب الذي يليه، حتى جاء وقت الافتتاح الرسمي الذي تضمن الجدولَ الآتي: افتتاح الملتقى، ب تلاوة آيات من القرآن الكريم، ثم كلمة مؤسسها الأستاذ الدكتور قدور ابراهيم عمار المهاجي الإدريسي، ثم كلمة السيد رئيس الاتحاد الو طني لزوايا الجزائرية للدكتور محمود شعلال، -كلمة السيد سي الطيب الحبيب مفتش التوجيه الديني والتعليم القرآني لولاية تلمسان، ثم كلمة السيد مدير الشؤون الدينية والأوقاف لولاية تلمسان، ثم الكلمة التوجيهية للدكتور محمد عباس من جامعة تلمسان،

وفي هذا اليوم وبهذا الافتتاح لدار القرآن الكريم تكون الفرحة قد تمت بكاملها عندي، وكثير من الأهل والأقارب وبني قومي بأرض القعدة، إيمانا بأنها ستكون وإلى الأبد إن شاء الله تعالى، بمثابة حاضرة علم وتعليم علومه وتحفيظ للقرآن الكريم، ودار قرار لي عند الممات إن شاء الله تعالى،

وبهذا الإنجاز العظيم الذي كان لي بتوفيق من الله سبحانه وتعالى الذي كان لي على الدوام محل آمال وفي كثير من مشاعر فياضة، وعواطف وأحاسيس وانفعالات، استقر عندي المقام ثانية بهذه القرية التي عاشت أيامها في جلسات علمية، ومناظرات بين رجالات الفكر والثقافة والتربية والتكوين، وعددا غير يسير من شيوخ العلم وفقهاء الشريعة وأصول الدين، في حوارات مستملحة ونوادر مستظرفة، وكانت عند الجميع موضع القبول والرضا في سنين،

لقد شهدت هذه الديار طفولتي وأيام شبيبتي، في أسرة كانت لي موضع إعجاب وتقدير، في رغد عيش وجمال سعادات، وصلابة عود وقوة جلد وشعلة عزيمة، في طلب العلم وحفظ القرآن الكريم، الذي كان لي في أعم درس وأتم فائدة،، حاملا معي رضا والداي بكامل أبعادهما وآفاقهما،

وقد غادرتها في سنين، طلبا للعلم داخل الوطن وخارجه، في سفر ورحلات طويلة، وسط مشاكل ومشاغل وأيام شاقة ومضنية، حاولت تسجيلها بعد عمر في خواطر وانطباعات في كتاب أسميته (بقايا من عهود الزمن وجذور المحن) [46] خشية أن تغيب أيامها عن ناظري، ويبتعد بها عهدي، لتصبح لي يوما ضربا من الخيال، وقد أوجزت أيامها أيم إيجاز في وقفات قريبة بعيدة، من التي أشرقت بها شبيبتي وعز بها نشاطي، في معاني دقيقة، وألفاظ رقيقة، ونصائح جامعة، وعواطف أبوية غالية، بعيدا عن كل زيادة أو مبالغة أو ما يجري مجراهما،

وقد استوفيتها بترجمة وافية عن سيرتي في الحفظ والدرس والتحصيل، وأعمالها الصغيرة التي يسرت لي الاستعانة بما يفيد منها على طلب العلم، وترجمت

---

[46] أنظر كتاب (بقايا من عهود الزمن وجذور المحن)، ص 49 وما بعدها) ديوان المطبوعات الجامعية وهران، 1428 هـ ، 2007 للميلاد

لبعض أساتذتى من شيوخ العلم وحفظة كتاب الله ولوادي رحمه الله، الذي كان أكبر مناصر لي طلبا للعلم، بل كاد أن يفرضه علي فرضا، ولولاه لتوقفت الدراسة عندي في إطارها التعليمي المتعارف عليه يومئذ، ألا وهو حفظ القرآن وتعليم علومه، وعوامل أخرى كثيرة كانت سببا لي في هذه العودة الميمونة إلى أرض الآباء والأجداد، التي سر بها خاطري وقر بها ناظري، ولكنه ولضروف قاهرة تأجل الأمر عندي في العودة إليها مرات ومرات في سنين، بسبب دخول البلاد في فوضى من القتال والاقتتال، فهذا دم بريء مسفوك بلا ذنب ولا حكم ولا شرع، وذاك صوت ينادي بتغيير أوضاع لا أول لها ولا آخر، يهدد ويتوعد الجميع بالخراب وبالموت والدمار لكل من علا صوته بكلمة تخالف رأيه وتهدد مقصده،

وأمور أخرى كثيرة أدخلت البلاد والعباد، في إثارة الأحقاد، إما تعصبا لعقائد بالية، أو ما استحدث منها حديثا بعيدا عن إطار قيمها ومعالمها البدوية الأصيلة، وقد أخذت كلا منها بعدا كلاميا بات في تزايد في كثير من الفتن والخوف والرعب،

وآخرون كانوا فيها دعاة متربصين، تارة لوأد كل أمل ما من شأنه إخماد نار الفتنة وإصلاح ذات البين من التي أصابت الوطن في عمقه الأخلاقي الديني والاجتماعي،

وفيهم من اكتفى بصمت خافت غير معلن ولا ظاهر، في اعتقاد كاذب وتوجيه خاطئ دون سعي أو جهد أو إشارة تذكر، وهم على ما هم عليه بعيدين كل البعد عن دعوتهم للحق، أو نهيهم للباطل[47]،

ففي هذا الجو المشحون الذي تشعبت خيوطه، وامتدت فصوله، وقويت شوكته، وقد باتت مقاطعه غامضة لا نهاية لها، وسط أسباب مجهولة، منها ما كان يحتاج إلى ترميم وإعادة ترتيب، ومنها ما كان يحتاج إلى صوت ينادي بالتعقل، وكثير من الصبر والتحلي باليقظة وروح المسؤولية، ومنها ما كان يسير من تلقاء نفسه، دون حاجة لتوجيه من هذا أو الاستعانة بذاك، وقد بلغت المقاصد عند الجميع حد التوتر وعدم التلاؤم اتجاه أي أمر كان، وبات الرأي عندهم طالبا لا مطلوبا، معتديا لا معتدى عليه، في كثير من مداه كراهية بغضا وعداوة،

والكل حائر قلق بين كر وفر وجيئة وذهاب، وقعقعة السلاح التي لا زالت تصدع[48] هنا وهناك، بالثأر تارة، وبالوعد والوعيد تارة أخرى، حتى أنه لم ينج من وعيدها أحد كان، وقد تحول الوطن بتاريخه المجيد، وببعده الديني والثقافي وقيمه الأخلاقية وروحه الوطنية في المقاومة والجهادية، إلى بلد شبه مرهون بين هذه النزعة أو تلك، وقد امتدت خيوطها في سنين، وضاع من البشر منها ما ضاع في غبن وقهر وعذاب وتشريد، ومنشآت صناعية عمرانية متطورة أصابها الكثير من الصدأ والخراب والضياع ، وأراضي فلاحية شاسعة تركت، ومداشر وقرى وبيوتات هجرت، وبهذا أو ذاك ضاع الوطن أو كاد أن

---

[47] أنظر كتاب (تاريخ الجزائر الثقافي الديني السياسي والاجتماعي) ص: 46 وما بعدها الجزء الثاني من المخطوط، مصدر سابق،

[48] أنظر كتاب (تاريخ الجزائر الثقافي الديني السياسي والاجتماعي) ص: 52 وما بعدها الجزء الأول من المخطوط، مصدر سابق،

يذهب ركنه المتين، الذي به تقوت على زمانها في سنين، كأمة واحدة موحدة لا تختلف فيها عقيدة ولا ثقافة ولا عادات وتقاليد، عن غيرها من الأمم المتحضرة من التي أتت عليها الأحداث في كثير مما أصابها من نكوص أو تطور وتقدم والازدهار، في نهضة ذات قواعد وأصول متينة، إلى أن بعث الله لهذه الأرض المسقاة بدماء الشهداء، نفوسا خيرة من أبنائها[49]، وطنيين مخلصين، مجاهدين أوفياء، ومن أهل العلم والدراية وأكابر الفكر والثقافة والغيرة الوطنية، كانوا لها من أهل السداد والرأي والمشورة،

وقد عشت زمانها الذي كان أكثر ضررا وأقوى فتنة، وبكل ما كان له من صفات عدوانية من تخريب ووحشية وخشونة وما أشبه ذلك، حتى باتت عن الناس حالة فريدة بما حملته من نقائض وأخطار، تنحط تارة وتضعف أخرى بحسب ما ينالها من أثر في أوسع حال وأعمق وجود، ومعالم في أصول وأسس باتت عند الجميع مبهمة غير واضحة،

ورأي آخر هو الأقوى والأشد هو ذاك الذي تجده عند البعض من عقلاء التاريخ السياسي والاجتماعي، على أن ما أصاب الجزائر من سنين عجاف كان مظهرا من مظاهر ثقافته الفكرية التوسعية ليس إلا،

وما إن انطفأت نار الفتنة، وهدأ روعها، وذهب حزنها، ورجعت مياهها إلى مجاريها، وعاد الصواب إلى أناسيها، وقد أخذ الكل يردد ويقول ما قاله الأوائل انطلاقا من إيمانهم بالله سبحانه وتعالى، من أن نارها لم تكن تنطفئ

---

[49] أنظر الجزء الثاني من كتاب تاريخ الجزائر الثقافي الديني السياسي والاجتماعي ص: 63 وما بعدها الجزء الثاني من المخطوط) مصدر سابق،

ويعود إليها السلم والأمن والاستقرار هكذا، لولا لطف الله ورعايته لما أصاب هذه الأمة عبر تاريخها المديد من تضحيات جسام فقدت فيه كل غال ونفيس،

وبعد أن عم السلم أرجاء الوطن، وبات وجوده أكثر قربا إلى روح الانفراج والتآلف والتسامح، بعيدا عن كل تطرف أو نزاع حزبي أو عرقي أو إيديولوجي، وزالت عنه كل أسباب الخوف والرعب، وذهبت ظروفها وعواملها النفسية المساعدة لها، وعاد الناس إلى أماكنهم كل في عمله، دون النظر إلى ما مضى من عهد قريب لا زالت أيامه راسخة بملء فيها في عقول الناس كبيرهم وصغيرهم، من حيث ما تركته هذه الفتنة من مآسي وكبت وحزن وآلام وضياع، حتى أنهم أصبحوا غير قادرين على بدء الحياة من جديد، ولكنهم عادوا من جديد بفضل قدرة القادر المعين،

حينها عاد لي الأمل من جديد، وعادت لي معه كل ما كان لهذا الأمل البعيد من مقومات اجتماعية، وأبعاد دينية روحية ووطنية، وأمور أخرى كثيرة من التي ظلت تحفزني إلى العودة لأرض القعدة، في أمر لا يعلم سرها إلا الله،

ولسائل يسأل ما سر هذا القرار الذي بات أمره يقينا بحق، فيكون الجواب تلقائيا ، هو حبي القوي المكين لهذا المكان الذي شهد يوم مولدي ليس إلا، وآثار أخرى كثيرة كانت لي ولا تزال على الدوام موقع قبول ورضا النفس، الكثير منها من أعانني على فهم حقائق كادت أن تحف طريقي في كثير من حدودها في مآثر ومقاصد ثقافية اجتماعية كانت لي موضع قبول وعطف كونها لا تزال محل فخر واعتزاز تقع ذكراها في النفس كل وقت وحين، بكامل جذورها العميقة، وثقافتها الاجتماعية الضرورية منها والوافية، كتلك التي أوصلتني إلى هذه النتائج المجزية ،

واليوم والحمد لله وبعد هذا العمر الطويل الذي قضيته في العمل العلمي الجاد، والدرس الديني والتربوي، بإحدى جامعات الوطن الكبرى لغرب البلاد، وأماكن أخرى من أرض الوطن، وبما مُنِحْتُ فيه من رتب علمية عالية السند بلغت منتهاها، ومناصب أخرى لا تقل أهمية عنها رتبة ومكانة، من التي أسديت بهما خدمتي في أعوام فاقت العدد المطلوب للتقاعد،

وبكثير من الطموح وبعمق من المشاعر طابت لها النفس بما رضيت، فكان لها هذا القرار وكانت لها هذه العودة، في شجاعة وبعد إيمان إلى ما كنت أطمح إليه منذ سنين، ألا وهو بناء مدرسة قرآنية أستقبل بها وجه الله سبحانه وتعالى في كثير من التقى ورضاه، لقوله صلى الله عليه وسلم (من بنى بيتا يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتا في الجنة) هكذا كانت نيتي في هذا العمل الصالح الذي وهبني الله التفكير فيه والقدرة على إنجازه،

وما إن شاع الخبر بين الناس حتى امتلأ ذهن الكثير بأفكار اختلفت فيما بينها اختلاف طبيعيا، منها ما كان لها عوامل نفسية مليئة بالدعاء الخالص لي وبالتوفيق والنجاح لإنجاز هذا المشروع الخير، ومنها ما كان مناقضا معارضا من باب التحاسد والتباغض وقليل ما هم،

وقد أخذوا في كثير من أبعادها الدينية والاجتماعية سبلا على سبيل المعارضة ليس إلا، وأما المجاهر بعدم تحقيق هذا المشروع ما زادني إلا تمسكا وإسرارا بتحقيقه مهما بلغ الأمر بي لسبب من الأسباب،

ولكنه وللحقيقة أقول: إن ما وجدته من قبول واستعداد في رضا لهذه الفكرة عند أهلي من آل بيتي كان أشد وقعا وأبعد أثرا في نفسي، كونهم كانوا أشد مني حرسا واهتماما لتحقيق هذا المنى الذي رأوا فيه على أنه هداية ورضا من الله سبحانه وتعالى،

وبات هذا العمل بحق مرهونا عندي بالحصول على قطعة أرض ملائمة تناسب مقام هذا المعلم التاريخي، لأن ماكان عندي منها غير مهيأ ولا ملائم لمثل هذا الإنجاز كونه بعيدا عن محيط البلدية من جهة، وخاليا من مقوماته الأساسية، وظللت أقنع النفس في كثير من واقعية هذا المشروع، مخاطبا النفس في كثير من شواردها النفسية، وآمالها المنشودة عل أن أي نجاح في أي مجال كان من مجالات الحياة، لا بد أن تتوافر لصاحبه عوامل غير قليلة تساعده على إنجاز هذا العمل من عدمه،

وبات سلاحي أذكره عند كل عارض يحف طريقي، تراني أكرر النظر فيه وبإيمان قوي وتفاؤل شديد واطمئنان كبير، ورضا ما بعده رضا،

وفي أول خطوة بدأت تظهر لي أشياء كثيرة لم تكن في الحسبان أبدا، منها الغير مطمئنة على الإطلاق، ولا يستريح لها الحال، الأمر الذي يجعلك أن تقف حائرا بين إقناع قنع النفس بما امتلأت من وسواس في التخلي عن هذا الأمل ولو لحين، وبين طموح بات الأمل فيه ضعيفا، لكنه بين هذا وذاك هناك أمل عند الله كبير،

وأنا لا أزال أخاطب النفس في كل وقت وحين وعند كل عثرة تعترض سبيلي أو تقف حائلا مانعا بيني وبين هذا الأمل، لأذكرها بإيمان الأولين من أن الإنسان بوجه عام إذا فشل في أمر فهو لا يحب أن يعزو فشله إلى نفسه فحسب، بل تراه يميل إلى البحث عن سبب خارجي ليعزو الفشل إليه، ومن هنا وجدت أن الإنسان المؤمن هو الذي يؤمن بمبدأ العمل، فالعمل وحده هو اليقين لتحقيق أي هدف منشود، وقد حضرني حينها قول القائل

الجِدُّ في الجَـدِّ والحرمانُ في الكسلِ

فانْصبْ تُصِبْ عن قريبِ غايـةَ الأملِ

وبهذا القول وما يحمله من معنى استرجعت النفس قواها وآمالها لتصبح أكثر استعدادا من ذي قبل جدا ومثابرة، في إنجاز هذا العمل، بعيدا عن ذاك التفكير الذي كاد أن يضعني تحت تأثير دافعين متناقضين، أحدهما يمثل الحقيقة والآخر يمثل نقيضها بملء فيها،

ومن الطبيعي أن يكثر في النفس مثل هذا التساؤل وذاك التطلع، لأن كليهما بات عندي حافزا يدفعني إلى تحقيق هذا الهدف المنشود مهما كثير فيه من القليل أو الكثير، لأن الإرادة فيه هي الأساس لكل منطلق أو هدف ناجح، وقد وجدت أنه لا حيلة مع النفس بين هذا التساؤل أو ذاك التطلع، إلا التوكل على الله وحده لا شريك له، ولكنني والحمد لله لقد هداني الله اليوم قطعة أرض لم تكون بالحسبان أبدا[50] ودون طلب مني، كانت لي عن طريق ابن عم المدعو السيد (سي توفيق) حفظه الله ورعاه، العزيز النفس العالي الهمة دون مقابل، ولي فيها حكاية عجيبة لا تزال ذكراها تذكي في النفس أعماق آثارها، تعيش معي في كل وقت وحين، وبكثير من التهامس في فرح وسرور، والتحدث دون إفصاح لأحد كان، إلا لمن أراد الحقيقة، فيكون الأمر عندي غير ذلك، حتى أن الكثير ممن يسمعون القول عنها في حقيقة، لم يستطيعوا أن يقتنعوا في قرارة أنفسهم بما سمعوا أو يسمعون، لا لشيء وإنما لما تعلق بأذهانهم من كلام في خرافات لا صحة له على الإطلاق،

وفي يوم من الأيام جاءتني منه مكالمة هاتفية على عجل يريد لقائي، فكان الأمر عندي كذلك، وكان اللقاء بأرض القعدة وعلى مقربة من هذا المكان تم

---

[50] أنظر المزيد من سيرته في كتاب (تاريخ امهاجة بين المدلول اللغوي والرسوخ الجغرافي والامتداد التارخي)، ص: 319 وما بعدها، مصدر سابق،

الإفصاح لي عن فحوى هذا اللقاء وكانت الفرحة الكبرى ساعتها مسحوبة بكثير من الصدق والإخلاص لما كان بيننا من قديم زمان من محبة وتعاطف وتآلف، في واقع ثابت لم تغيره الأحداث ولم تناقضه الأيام، ولي في هذا اللقاء سر سأذكره في حينه إن شاء الله تعالى، بكامل تفاصيله وأبعاده الدينية والروحية،

ومن يومه تغيرت رؤيتي حول كل ما كان يجري من حولي من أصوات فيها الرياء والنفاق، وفيها الولاء والمحبة والإخلاص، وهو أن الأمر عندما يكون أقرب إلى الله أكثر منه إلي شيء آخر، إنما يجري مجراه على نمط ما أوحى إليه مجتمعه بأمر من الله، الذي نشأ وعاش وترعرع فيه حتى بات من صنيع ظروفه الاجتماعية في ثقافة وتربية وتكوين،

وبدأت العمل فيه على ضوء ما أحمله من نضوج عقلي وسلامة فكر وبصيرة، فكان التخطيط والتصميم عل شكل ما كانت عليه مساجد الأندلس يومئذ، لكنه أقل اتساعا، وأبسط منزلة، كونها محصورة في نطاق مجتمع متوسط الحال أهلا أرضا ومكانا، ظلت تعاليمه تدعو إلى الإسلام عن طريق التعليم والتلقين، في شريعة ولغة ودين وتحفيظ للقرآن الكريم، محاطا بكثير من عوامل نفسية واجتماعية من التي لا تزال محيطة به زمانا ومكانا،

واليوم وقد رزقني الله سبحانه وتعالى فيها بيتا للتعليم والتربية والتكوين، وقد أسميتها : (دار القرآن الكريم لتعليمه ومعرفة علومه، بعد ثقافي وتواصل إنساني) وسط أهلي وبين أناسي وأقاربي حفظهم الله جميعا، إيمانا مني بأن أتولى أمرها بنفسي فيما تبقى لي من العمر ولو بعد حين، وفاء لما قطعته على النفس من عهد بات عندي يقينا، وعند العام والخاص مذكورا ، متوجها به إلى الله سبحانه وتعالى الكريم الجواد، الذي يعطي كل غال بلا سؤال ولا مطال، أن يرزقني الله من الصحة والقوة والإيمان في إرادة صلبة ومتينة لإتمام هذا العمل المطلوب وفق

الآمال المنشودة التي اقتفيت فيها آثار من مضى من السلف الصالح وما ينبغي أن ينهج عل سبيله من وفق من الخلف،

وقد صرفت فيه ما في العمر من فعل وقول ما يزيد عن عقد كامل أو يزيد، فكيف لا والتعلق به عندي هو أرجى ما كنت أرجوه من الله أن يحققه لي،مرددا الأمل فيه كل وقت وحين،متخذا منه سبيلا آخر عما كان لي من عمل علمي تعليمي في كثير من جامعات الوطن قرابة الأربعين عاما أو يزيد، قضيتها في وفاء وإخلاص، منهاجا في سلوك تام وعمل جاد، إلى أن أستوفيت ما هو مطلوب مني من السنين لبلوغ سن التقاعد،

وتم لي بناء هذا البيت الرباني الفريد بأرض القعدة ومحيطها، بفضل الله وحسن عونه لعله يكون لي عند الممات دار قرار، من جهة، ولهذه الديار من جهة ثانية غيثا مدرارا تتفتق به أرضها لتعود لها زينتها مرة أخرى في حفظ القرآن الكريم وتعليمه ومعرفة علومه، وتزدهر بها ازدهارا مثل ما كانت عليه في عهودها السابقة، التي كانت فيها على الدوام، أرضا شديدة الاهتمام باستقبال العلماء والفقهاء ومشايخ الذكر وحفظة كتاب الله وسنة نبيه الكريم،

لقد كان الغرض عندي من تأسيس هذه المدرسة بهذه الديار من أرض القعدة من بادية امهاجة، هو متابعة ما كان عليه الأسلاف من منهج قويم وطريقة واضحة وبينة، يكون العمل فيها على ما كانت عليه أُصُولِ الأَوَّلِينَ مِنْ وَرَثَةِ العِلْمِ والمَعْرِفَةِ عبر تَارِيخِها المديد الذي احْتَفَى به الآباءُ والأجْدَادُ لِتَعْلِيمِ القرآنِ الكريمِ وَتَحْفِيظِهِ وَمَعْرِفَةِ عُلُومِهِ عَلَى مَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، الذي هداني الله إِلَى أحياها بَعْدَ جِيلٍ عَـاشَ حِقبًا زمنيةً عَرَفَتْ هِجْـرَةً لِلْعُلَمَاءِ وَالْعَامِلِينَ،لَبَعَثَ فيها هِمَّةَ الأَوَّلِينَ، بُغْيَةَ أَنْ تَكُونَ عَمَارَةً زَاهِرَةً لِهَذِهِ الدّيَارِ، وَآثَـرَت أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الرُّبُـوعُ التي هي مكانُ مَوْلِدِي ونشْأَتِي على غيْرِهَا مِمَّا وُجِدَ،

لقد كانَ مَشْرُوعُ الانْطِلَاقَـةِ بتاريخ: السادس (06) من شعبانَ 1428 للهجرة، الموافق 20 أوت 2007 للميلاد، عَسَى اللهُ أنْ يَنْفَـعَ بها العِبَادَ وَالْبِلَادَ، واللهُ مِنْ وَرَاءِ القَصْـدِ والْهَادِي إلى سَوَاءِ السَّبِيـلِ، القعدة في: 20 / 01 / 2007 للميلاد،

لقد ظلت هذه الديار محافظة على منهجها الديني الذي كان عليه سلفها الصالح في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتصدي للضالين من أصحاب النحل الفاسدة والبدع المنكرة، من التي ظل يسعى إليها الاستعمار أثناء احتلاله للجزائر في منهجية له اتبع فيها سياسة التدرج والرضا في كل ما يتعلق بالحياة الاجتماعية،

وقد سخر لنفسه يومئذ أعوانا من الجواسيس، تغلغلوا وسط المجتمع الجزائري من أقصاه إلى أقصاه، للبحث عمن يناقش أمرها ويتكلم عنها في سوء أخلاق، أو من يتآمر ضدها في دسيسة تدعو إلى إيقاظ الشعب الجزائري من سباته ونسيانه لوطنه المسلوب، في مقاومة أو ثورة أو جهاد، ما جعل الشعب الجزائري يزداد نفورا لها يوما بعد يوم، نتيجة تصرفاتها العدوانية في استحداث تبدلات جوهرية في حياة الناس، وبخاصة ما كان منها من تغييره بالضرورة، من قيم اجتماعية، في كثير من العادات والتقاليد والأعراف، وهو الأمر الذي ظل يدعو له المتعاطفون من دعاتها من الذين كانوا أكثر ظلما وأشد لؤما وعدوانا منها،

وقد عمدوا على نشر الكثير من الروايات الكاذبة والأخبار المنقولة في أقوال وخطب تدعو إلى تبييض وجه الاستعمار على أن ما جاء به حق لما فيه من مصلحة البلاد والعباد،

واختلف عندها الرأي بكثير من الأفكار ذات التوجهات المبطنة، والأقاويل ذات الاستهانة والاستضعاف حتى ضاق الأمر بأناسيها الطيبين ورجالاتها

الصلحاء الطاهرين، وباتوا فيه متفرقين غير متباعدين ولا متقاربين، وفي غير هدى من الله سائرين، وبلا رقيب ولا حسيب يهدي عقولهم للصواب، أو واعظ أو مرشد يعود بهم إلى جادة الصواب، في تسامح وتآلف وتكاتف وتآزر، والدعوة إلى الحق المبين، والسير على ما جاء به الكتاب والسنة النبوية الشريفة،

وأشياء أخرى كثيرة تعود أسبابها إلى ما أصاب جيلها الجديد من بعد تاريخي، وانفصام ثقافي، من الذي باتوا فيه من أكثر الناس بعدا عن مفاهيمه الوطنية والاجتماعية، من التي كانت تتزين بها أرضها في كبير مجد وفخر وسؤدد، مما كان لها رجال فصحاء بلغاء، مجاهدين أتقياء صلحاء ودعاء مستجاب، يقضون ليلهم ونهارهم بمطالعة كتب التراث ومحاورة العلماء ومطارحة أهل الفكر وبعد النظر، في بيوتات تذكر، ومجالس علم وذكر عليها تستدار، يستعرضون فيها من الأسئلة المتنوعة ما فيها من التقارب والتباعد، على طبقات من فقهاء العلم وأعلامه،

وأمور أخرى كثير سآتي عليها في مكانها من هذا التأليف إن شاء الله تعالى من التي لا تقل أهمية عن سابقيها مما ذكر في فقرات خلت من هذا المدون، كونها لا زالت تحمل بداخلها الكثير من العقد الدفينة، ذات التقلبات الاجتماعية والنفسية،

وللحقيقة أقول إن أول ما صادفني بعد الافتتاح، هو صعوبة استقدام المعلمين الأكفاء، لما لمسته فيهم من تفاوت وتباعد في المنهج والرؤيا وكذا الدرس أو التلقين، من التي عرفت بها مشايخ أهل القرآن الكريم في قديم زمان، وهم في ذلك أصنافا، منهم من تلمس فيه حبا ورغبة، ومنهم من تلمس فيه استعدادا لكنه دون خبرة تذكر أو طريق معلوم، ومنهم من جاءت به الحاجة للعيش أو كسب قوة يومه ليس إلا، وكثير آخرون يحملون فكرا خرافيا متأصلا

فيهم دون مبادئ أو قيم أو أخلاق تذكر، ما لهم من الطموح الدنيوي وقد ألبستهم دنياهم فيها الكثير من زخاريف القول في خداع ومكر ونفاق،

وقد أحدثت لي هذه الأمور وغيرها كثير متاعب لم تكن تخطر على البال يوما، حتى أنني لم أجد في هذا الأمر أو ذاك مجالا للاختيار أو التفاضل، حتى بدا لي أن البحث فيها عبارة عن مضيعة للوقت الذي لا فائدة من ورائه، فالبحث عن أدنى الشروط المطلوبة لمثل هذا العمل باتت شبه مستحيلة، فالكل سواسية حتى أنك لا تستطيع أن تقف لأحد منهم على كلمة صادقة، أو نية تهديك للاطمئنان إلى ما تسمعه منه ، وأخيرا تركت الأمر لله وحده لعله يرزقني بخيرهم صدقا وعملا وما ذلك على الله بعزيز،

ويحضرني في هذا الباب ما ورد في كتب التراث في قول أحدهم ما نصه: (...سمعت أعرابيا يقول إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر كيف تحننه إلى أوطانه وتشوقه إلى إخوانه وبكاؤه إلى ما مضى من زمانه)،

ومما جاء في معناه أيضا، عند غيره من رواية الأصمعي في باب المقاصد الحسنة: (.. أن للعرب ثلاث خصال من الحيوان: (الإبل تحن إلى أوطانها وإن كان عهدها بها بعيد، والطير إلى وكره وإن كان موضعه مجدبا، والإنسان إلى وطنه وإن كان غيره أكثر نفعا)[51]

وفي خاتمة هذا المبحث لا يسعني إلا أن أقول: إن عودتي لهذه الديار، وبعد سنين من الغياب، أجد نفسي وسط ثقافة اجتماعية تكاد تكون منجرفة مع تيارات لا تزال تنبش من المجتمع ما كان مدفون منها غداة الاستعمار أو قبله بكثير موضحة ما كان غامضا ليس إلا، ما جعلهم لا يعرفون من حياتهم غير ما اعتادوا

[51] أنظر باب المقاصد الحسنة للسيوطي،

عليه واطمأنوا إليه جيلا بعد جيل، في تقاليد وقيم سائدة، سائرين خلفها دون تدبر أو اختلاف أو حيرة، من هذا الأمر أو ذاك، حتى باتوا لا يختلفون عن العوام إلا من حيث الظاهر الخارجي للحياة،

ولعل ذلك آت من كونهم لا يزالون يعانون داخل أنفسهم تنازعا قبليا، القائم على أساس من العصبية القروية أو البلدية أو الطائفية أو ما أشبه ذلك، والظاهر أن فترة الاستقلال لم تكن كافية لأن ينسى الشعب بها تنازعه القديم، الذي لا زال يعطينا الكثير من الدروس بمقدار ما أخذ منا من الضحايا أثناء الثورة التحريرية الجزائرية الكبرى من عام 1954 للميلاد، من شهداء ومجاهدين وضحايا مدنيين من الذين تألفت منهم أكثرية الشعب الجزائري في سنين،

وهناك عوامل أخرى غير قليلة لا زالت تدفع بالكثير، ممن دفعت بهم الحياة إلى إخفاء حالاتهم الاجتماعية عبر توجهات مختلفة، وآمال دنيوية في شيء من التباهي والتفاخر تارة، والتحايل والتحاسد والتباغض تارة أخرى، وفي آفات لا تزال تحمل في طياتها أنمطه كثيرة من الحياة من التي لا تعرف لها مداها الإنساني أو بعدها الثقافي إلا ما ظهر منها،

وآخرون لا يزالوا يعيشون على ما تحملهم نفوسهم من أن الحياة في طبيعتها تحمل الصدق والكذب، كما تحمل أشياء أخرى ظاهرها حق وباطنها باطل، وبخاصة عند من أغرقتهم المبالغة المفروضة، التي بها يبيعون ويشترون أعراض الناس، بعقد مكبوتة وأعراض دفينة، لا تزال تزداد عندهم استفحالا كلما استمرت كامنة في أعماق نفوسهم وسط ظواهر أو مشاكل اجتماعية، لأن الحقيقة عندهم هو كل ما يتفق مع الحياة ولو كان على غير هدى من الله،

هذه نماذج من مجتمعها الأصيل، ممن كان نافعا يوما غير ضارة، كونه لم يخضع يوما لمستعمر ولا لجبار ، ولا لمستبد كان، كونها كانت عبر تاريخها المديد، تتربع على

رأس زعامة أرباب العلوم اللغوية والدينية، في ثقافة واسعة، وتربية وتكوين عالي السند في أكثر من منابعه، وبخاصة ماكان منها في حبهم للدرس والانكباب على طلب العلم وحفظ القرآن الكريم، إلى جانب كرم في الطبع ونبل في الأخلاق، وصدْرِ رحب يتسع للجميع في كثير من الصفات الحميد، في كرم وعز وخلق قويم،

وهناك أبعاد أخرى كثيرة لا تقل أهمية عن سابقيها مما ذكر في هذا المدون، كونها لا تزال تحمل بداخلها الكثير من العوامل المحلية وعصبيتها الموروثة، ذات المركبات النفسية الدخيلة منها والمكتسبة،

ووسط هذه الظروف الاجتماعية، التي لا زال يسير عليها مجتمعها منذ سنن بعيدة، وأخلاق علمية فاضلة، من التي لا تختلف كثيرا في طريقتها ومنهجها عن تلك التي كان عليها الأسلاف، غير مخالفين لأمر الله ورسوله،

وقد ظلت هذه الفكرة الرائدة، ومنذ طفولتي الباكرة، وشباب لا زال يفرض علي الجد في كل شيء، وقد دخل وجودها في صميم وجداني، حتى أصبحت لا أستطيع منها خلاصا، يسير واقعها معي في كثير من نمو وازدياد، حتى صرت أنظر إليها بمنظار الحقيقة الواعدة، لأن التاريخ بطبيعته يسير بخطوات متتابعة، لذلك وجدت أنه لا بد من البدء بالخطوة الأولى لتعقبها خطوات أخرى إن شاء الله تعالى، وتوالي الأجيال من غير توقف ولا انفصال، لأعيد لهذه الأرض الطيبة نبتتها العلمية والتعليمية التي ليست في حاجة إلى تربة صالحة لنموها كما لو وضعت في تربة غير ملائمة، فهي لا تستطيع أن تعيش أو تنمو هكذا، نظرا لما كان عليه زمانها عبر تاريخها المديد، والمتمثل في ببنائي لهذا المعلم التاريخي، التعليمي الديني والثقافي، الذي أختم به نهاية عملي العلمي الجامعي الذي دام عندي الخمسين عاما (50) أو يزيد، درسا وتوجيها بحثا وتأليفا، تربية وتكوينا، داخل

مؤسسات علمية تعليمية كبرى داخل الوطن وخارجه، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل،

مآثر اجتماعية

هي أرض لا زال ساكنوها يرتبطون ببعضهم البعض، بروابط متعددة، في كثير من عادات وتقاليد وأعراف ، وذلك بما لساكنيها من حياة تكاد تكون مشتركة في كثير من أيامها، كالأفراح في زواج، أو ختان أو زيادة مولد، أو مناسبات دينية وتظاهرات ثقافية، أو وفيات، وما شابه ذلك، حيث الكل ملتزم بالمشاركة في أي نشاط اجتماعي كان، وبخاصة منه في المناسبة العامة، التي هي أمر يقترب منها الجميع في كثير من أبعادها الاجتماعية والوطنية، لما فيها من روابط أسرية يجتمع حولها الجميع، ولا يغتفر لمن غاب أو تجاهل حضورها لسبب أو لآخر، من خلاف أو تنافر أو تهاون، ما جعلها تنفرد بهذه الفضيلة في كثير من معانيها شكلا ومضمونا ، وظواهر أخرى اجتماعية من التي لا تزال تحمل طابع التآخي والتآزر، في كثير من أبعادها المادية والمعنوية، في محبة صادقة، ووفاء خالص، وبخاصة ما كان منها عند ذوي الحاجة من الذين لا يستطيعون إعالة أنفسهم، كالجار المحتاج وكذا أولي القربى واليتامى والمساكين، من الذين يتساوون في الحاجة إلى مثل هذه الإعانة،

وعادات أخرى كثيرة تجتمع عندها الكثير من الأسر والبيوتات في حكايات غريبة، وشواهد وملح طري فيها من الشاهد الموثق المدون منه والمروي، حتى باتت ظاهرة اجتماعية تلفت النظر في كثير من معانيها وأبعادها الدينية والروحية، محافظة بذلك على سجاياها العربية الأصيلة،

وآخرون كثيرون، لا يزالون يربطون الصلة في كثير من عاداتها ومزاياها الكريمة القديمة، من جراء اتصالها بما جاورها من مدن وقرى وأرياف، عن طريق

ما كان لها من تفاوت أهل العلم وحفظة القرآن الكريم وقوة تمسكها بكتاب الله وسنة نبيه الكريم،

وكثير ما هم من لا يذكرون من الخبر أو الرواية إلا ما علق بأذهانهم من حكايات غريبة، وقد بلغت من الإحسان عند من يحسن غاية توسعها روحا وجمالا، وبعد نظر حسا وخيالا، ظل يجرى مجرى ثقافتها الاجتماعية حتى صار فيها خلقا وملكة وعادة، لا زالت تنزل عندهم من العامة في صواب،

وقد أشار الكثير من أهلها على أنها كانت تتفاخر دوما بكونها أكثر حمية وأشد تماسكا فيما بينها من قبائل بني عامر العربية وقد سميت آنذاك بآل المهاجة الأدارسة الحسنيين[52]، وبأسامي أخرى كثيرة منها على سبيل المثال، المرابطين، أو بيت العلم والقرآن، أو أهل السنة، وظلت هذه الصفات تجمع قراها وتوحد بيوتاتها في كثير من أبعادها الروحية والدينية، حتى أنها شملت كل من سكن ديارها،

وهي قرية جامعة لكثير من البيوتات والمداشر والأرياف، تنتشر على مساحات شاسعة ضمن أراضيها الفلاحية التي تحيط بها الكثير من الجبال والوديان، حيث يحدها من الشرق مدينة سيق التابعة في تكوينها الإداري لولاية معسكر، ومن الغرب مدينة سيدي بلعباس، ومن الشمال مدينة وهران وضواحيها الكبرى، ومن الجنوب مدينة ازفيزف وسلاسة جبلية مختلفة الارتفاع، تحيط بها كسوار من كل جانب، ووديان وأنهر غير ذات فعالية في كثير من أيامها، إلا ما كان لها من الأمطار الموسمية أيام الشتاء،

---

[52] أنظر كتاب (دولة الأدارس ـ ملوك تلمسان وفاس وقرطبة ـ) ص: 154 وما بعدها، مصدر سابق،

فهي بادية فلاحية من أرض مهاجة، ذات تربة خصبة، تتميز بمنتوجها الموسمي لكثير من أنواع الحبوب الجافة، كالقمح اللين والصلب والشعير وما شابه ذلك من المنتوج الفلاحي، وتكثر فيها التربية الحيوانية بمختلف أنواعها، نظرا لما تمتلكه من أراضي شاسعة، صالحة للرعي ولكل منتوج فلاحي، يشترك فيها الجميع من أهاليها في مصادر مياهها الجوفية، المتمثلة في كثير من الآبار الخاصة منها والعامة،

واليوم وقد اتسعت عمارتها في طلب عيش وتزايد سكان، بفضل تمسك أهاليها بقيمهم الروحية البدوية الأصيلة، كونها كانت عامرة بأهل الخير والفضل، من علماء عاملين، وحفظة كتاب الله وأولياء صالحين، من الذين لا زلنا نجهل عنهم الكثير مما كانوا من اهتمام بتشييد المساجد والتكايا والربط حماية للإسلام واندفاعا في الجهاد من أجله، ، وذلك لشرود وفيات ومواليد من التي رتبها الزمان على الاستقصاء في سنين،

وقد كرمها الله سبحانه وتعالى بكثير من حفظة كتاب الله وسنة نبيه الكريم، وبمجاهدين وشهداء قادوا الثورة التحريرية الكبرى من عام 1954 للميلاد[53]، ما جعلها تظل عصية على الدوام عن كل دخيل أعجمي غريب، ولها من التاريخ في كثير مما شهده الوطن من مقاومة بدءا من الغزو الأسباني لوهران، ثم العثماني الذي حكم البلاد ما يزيد عن ثلاثة قرون من الزمن، ثم الاحتلال الفرنسي[54]

[53] أنظر كتاب (تاريخ الجزائر الثقافي الديني السياسي والاجتماعي) الجزء الثاني ص: 32 وما بعدها من المخطوط، مصدر سابق،

[54] أنظر كتاب (الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر)

وكتاب(أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر للشيخ الطيب المهاجي رحمه الله، مصدر سابق،

الذي عمر احتلاله قرنا وربع القرن من الزمن، حتى نالت بذلك الجزائر استقلالها وحريتها في سنين من المقاومة والجهاد،

وها هي اليوم تشهد أرضها فراغا في كثير من جوانب حياتها، من بقايا آثار لعادات وتقاليد، ووثائق متناثرة هنا وهناك، من التي لا تعكس حقيقة ما كانت عليه هذه الأمة، من أسماء رجال وقادة سادة عظام، وشيوخ فقهاء علماء أجلاء، ومن ذوي الإحاطة والمعرفة الواسعة، فهي بحق بيوتات وأسر بارزة، كان خلقها القرآن، وعلمها النافع، وفضائلها السمحاء، في تقوى وصلاح وفضيلة وأخلاق،

فأين لها اليوم تلك الرعاية التي كانت تتمتع بها عبر أزمانها البعيدة، من التي استطاعت أن تترك لجيلها الوافد ظلا وارفا من العناية التاريخية ، في نماذج غير قليلة تجمعت عندها في دفاتر وكراريس، من التي لا تزال تعين الباحث والقارئ على اجتلاء الصورة الحقيقية لموروثها الثقافي في شكله وموضوعه،

غير أن ما تبقى منها عند بيوتات لها من الذكر ما لها من التاريخ، أصبحت غير ذات بال لما أصابها من تلف جراء رحلتها الطويلة، إذا ما قورنت بسيرتها العلمية التاريخية، وأخبار شيوخ كانوا لها أعلام في الدرس والتحصيل[55]، والخبر والرواية، وما قيل عنها من أخبار، أنها كانت تمتلك فيضا غزيرا من المدونات، المتعددة الأغراض، الحافلة ببعض فنون علوم الفقه واللغة والتاريخ وتراجم الرجال، وإضافات فكرية وتعليقات في غاية من القوة والأصالة،

إضافة إلى ما أصاب أرضها من حروب واحتلال، هي الأخرى ساهمت من قريب أو بعيد في طمس هذه الكنوز التي بات البحث عنها طيفا من الخيال،

---

[55] أنظر كتاب الأحكام في ذكر الأعلام من الشيوخ والفقهاء وأرباب الكلام للشيخ الجليل العلامة الهادي بن محمد بن عبد الله بن عبد القادر المكي الوازاني السني المتوفى عام 1317 من الهجرة،

أو أنه من المحال أو كالمحال، ولكن الأمل في العثور عليه لا زال يبعث الطمأنينة عند الكثير من أناسيه الخيرين الطيبين، راجين من الله تعالى العون على بلوغ الغاية من الوصول إليه وتحقيقه ونشره،

ولكن أيامها لا تزال تحمل آثار الاستعمار الفرنسي الذي طالها اضطرابا في ثورات ومقاومة، بؤسا وشقاء، قهرا وتشريدا، حتى كانت هجرة ساكنيها إلى ما هاجرت إليه[56] دون عودة، كونها باتت تعكس عنده اليوم حالات غير ملائمة للاستقرار أو مشجعة للعودة إليها،

وقد أصبحوا متفرقين في كثير من المدن التي هاجروا إليها، ولم يرحلوا عنها في سنين، إلى أن ماتوا فيها تاركين وراءهم مواليد لا يعرفون عن الأصول شيئا من الذي شرفه الله سبحانه وتعالى بالعز والمكانة، وجعل أهلها أصلح الناس مذهبا، وأكثرهم علما ودينا، بما ملأ الله صدورهم من جلالة حفظ وعلم ولغة ودين،

ولكن تاريخها الذي لا زال المؤرخون يمرون به مرا خفيفا دون أن يولوه العناية الكافية، كونها كانت تحمل بذور مدرسة مالكية، التي كانت تتمتع بمرجعية علمية واسعة الأفق عالة السند، في كثير من أبوابه وفصوله، ما جعلها تعمل في سنين على تأسيس مساجد وكتاتيب قرآنية في أسلوب كانت فيه على الطريقة التقليدية تسير، تكتيبا وتعليما وتحفيظا، حيث كانوا أشد الناس حماسا واندفاعا من أجله، حتى شملت العديد من أسرها وبواديها وبخاصة منها ما كانت عليه من جهل ونسيان،

[56] أنظر كتاب (أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر) ص: 82 وما بعدها) للشيخ الطيب المهاجي، الشركة الجزائرية للطبع والأوراق، وهران،

استدراك

القعدة هي قرى غير قليلة تتوزعها أرضها، في كثير من نفاسة وأصالة، بما وهبها الله سبحانه وتعالى من الخلال الطيبة، والمزايا الرفيعة، في كثير من تربيتها البدوية العربية الإسلامية، في أعمال وأفعال صالحات، وبين هذا وذاك باحث أو مؤرخ لا يأخذ من الأخبار إلا ما يلائم عمله في خبر صحيح أو رواية موثوقة يستعين بها من أجل الوصول إلى كشف جوانب منها من التي لا زال الجاهل يهوى إليها في غير علم، متجاوزا حدودها في ضعف من العقول،

وقد تهادت إليها النفوس بأزمنتها المتعاقبة، في تواصل يقتضيه التشاكل والتآلف، ونهج يستدعيه التعاقد والتحالف، في اندماج وامتزاج، وقد أخذت بها الحياة في كثير من أمورها، وهي لا تزال في حوض الدنيا ناهلة،

وقد وجدت لنفسها من الخيرات في هذه الأرض الطيبة ما منحتها البقاء وحسن الاستقرار في سهول خصبة، وجبال ووديان وهضاب شاسعة، صالحة للرعي وتربية المواشي،

وحسب الروايات التاريخية لساكني هذه الديار، أن جل هذه الألقاب التي لحقتها بعيدة عن الآباء والأجداد ترجع في أساسها إلى عمل

الاستعمار الفرنسي يومئذ، أثناء قيامه بعملية الإحصاء في أول تسجيل تاريخي له من عام 1886 للميلاد أو قبله بقليل أو كثير، ، الذي شمل عنده كامل التراب الوطني بغية تعداد سكانه، (اسما صحيحا لمن كان له تدوين، أو في كنية أو لقب من عنده) والذي جاءت عنده في كثير منها بشيء من العبث واللامبالاة وقد أصاب هذه الأسرة ما أصابها من ضرر أو غبن من حيث ما لحق بأهليتها من التحريف أو التبديل أو تثبيت نسب ليس لها في شيء، صارفا النظر عن البحث في عمودها النسبي الذي انحدرت منه حسبا ونسبا، والتي كانت عنده في تسامي ما أنزل الله بها من سلطان، من التي لم تلاق بُعْدَ صداها

التاريخي، في كثير من تحدراته الثقافية من التي عرفها الإنسان عبر عصوره المحمولة إليه في عقود من الزمن،

حتى باتت في حقيقتها وراثة طبيعية تحت أي اسم كان من الذي أصبحت لا تعرف إلا به حتى اليوم، في واقع تاريخي متواتر الذي لا غير سواه، من الذي أصبحت به الوثائق تقرأ، والتاريخ به يدون،

وليس لنا اليوم في هذه التسامي رأي ثاني، أو دليل في أصوله المتشابهة، غير ما أتي عليه الاستعمار الفرنسي الجائر الذي طال حكمه أرض الوطن في سنين دامت قرنا من الزمن أو يزيد، حتى نالت الجزائر حريتها وعادت إلى نهجها العربي الإسلامي في كثير من أبعاده الدينية والروحية والوطنية،

ولا زال وجود هذه التسامي وإلى اليوم يدل على بعد أيامها بهذه الأرض ما يدعو إلى عمق الصلة في مدى المعاشرة الوثيقة بمذهبها التاريخي وبعدها الوطني الديني والاجتماعي،

وعليه فإنني أقول إن ما انفردت به أرض القعدة عبر تاريخها المديد، من مكونات اجتماعية وثقافية، من التي تعددت عندها باختلاف ما جاء فيها من تعدد في التسامي والكنى والألقاب[57]، ولعل ذلك راجع إلى القالب الذي صنعته تركيباتها الاجتماعية المختلفة، الخالية من التوترات الاجتماعية والنزعات الطائفية، لما شهدته أيامها من هجرات وتنقلات في أفراد وجماعات، من التي لا تحمل روح الترابط أو التآلف أو الجماعة، كغيرها مما شهدته مواطن عديدة من أرض الوطن في قرى وقبائل وعروش التي ليست من التقارب أو التناسل النسبي في شيء،

---

[57] أنظر كتاب (الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر) للدكتور قدور ابراهيم عمار المهاجي، طبع ديوان المطبوعات الجامعية ـ وهران ـ 1998 للميلاد،

وقد أصابها من التكاثر بمرور الأيام الذي ما من شأنه أن يؤثر في أي مجتمع قروي بدوي قليل أو كثير، من حيث ما تحمله هذه التنقلات أو تلك من صراع داخلي اجتماعي تبعا لاختلاف ظروف طبيعتها الاجتماعية، من التي كانت لها على توالي الأجيال، لأن المجتمعات البدوية العربية بطبيعتها تتميز عن غيرها من المجتمعات الإنسانية الأخرى، باعتزازها كل الاعتزاز بحسبها ونسبها، الذي ترى فيه سبب بقائها وموئل كرامتها،

وما نلمسه اليوم من امتداد تاريخي لهذه الديار، من حيث ما هي عليه من مكونات اجتماعية تكاد تكون أكثر استعدادا عملا بالتعاليم الخلقية التي جاء بها الإسلام، كعقيدة أخذت به استقرارها تحت سلطة واحدة موحدة، حتى أنهم كانوا فيها أقرب إلى الفطرة الإنسانية من التي كانت عليها الأمم منذ أقدم عصورها التاريخية الأولى للإسلام،

لقد شهدت أرض القعدة من بادية امهاجة، الكثير من الهجرات في كثرة تارة أو ضعف وقلة تارة أخرى، عبر أزمنة مختلفة من تاريخها، تبعا لحاجة هذا الفرد أو ذاك، في مناقب وقيم فيها من التنافر والتعاكس ما فيها من التناقض المبني على أساس كثرة التنقل وقلة الاستقرار في الأرض،، ولعل السبب في ذلك واضح وبين، كون أن الاسم فيها يكاد ينقطع عند الأقرب لها من الآباء، دون امتداد تاريخي أو انتماء أدبي، يعود بصاحبه إلى عهود قديمة، في بدوية بعيدة، أو مدنية أصيلة، من التي واكبت سيرتها الشخصية من حيث ما هي عليه من ظواهر عامة من التي لا زالت تشترك فيها كل المجتمعات البشرية، التي كانت ولا زالت من أكثر المجتمعات تمسكا بقيمها ووحدها الترابية والوطنية، في نظام اجتماعي لا يتبدل ولا يتغير، ما دامت باقية فيه، عكس التجمعات الكبرى للمدن وما

شابهها في كثافتها السكانية، حيث يكون التغير والتطور فيها أقوى أثرا، وأشد تغلغلا، في الحياة الاجتماعية،

لذلك يمكننا القول بأن ما تتوافر عليه اليوم هذه القرى من تجمعات من التي أتاحت لها وبطول زمن امتدادا تاريخيا، لا زال يعكس قيمها الاجتماعية بكامل جوانبها الثقافية ،

ومن الجدير بالذكر هنا أن أرض القعدة شهدت عبر فترات مختلفة من تاريخها وسط بني عامر، حياة اجتماعية دينية ثقافية، ظلت تعمل بها في سنين، بفضل ما كانت عليه من بيوتات ظلت محافظة على كثير من معالمها الثقافية، من حيث تعدد كتاتيبها القرآنية ودور العلم والتربية والتكوين، حتى باتت من أعظم البيوتات شهرة في كثير من خصائص ذات معرفة ودين، في تكوين علمي ونضج تربوي عالي السند، من الذي شاع استعماله في كثير من مصادره، حتى صاروا بذلك من أشد الناس إيمانا به علما وعملا،

وعلى ضوء ما سبق ذكره من شرح وتحليل أو ذكر بيان، من حيث تمسكهم بقيمهم البدوية العربية الإسلامية من جهة، وشدة تمسكهم بعقيدتهم الإسلامية التي لا زالت تتعمق في نفوسهم تربية تكوينا درسا وتحصيلا، وذلك لما كانوا عليه من لغة وبيان، في شرح وتدوين، أو إسناد في خبر أو رواية، من التي كانوا فيها أقرب للحقيقة فيها اطلاعا في اجتهاد وتوسع، إما باعتبار ما كان لها من تداول في هذا المجال[58]،

---

[58] أنظر كتاب الأحكام في ذكر الأعلام من الشيوخ والفقهاء وأرباب الكلام للشيخ الجليل العلامة الهادي بن محمد بن عبد الله بن عبد القادر المكي الوازاني السني المتوفى عام 1317 من الهجرة،

أما ما جاء حول تسميتها بأرض القعدة من تعدد في التسامي والكنى والألقاب، في أخبار وروايات من التي لا زالت تحدث التباسا أو غموضا لدى القارئ أو الباحث الكريم،

وقد وجدت أن الخوض في دراستها له جوانب كثيرة ومتعددة قد تصح فرضيتها أو لا تصح، لأن اليقين فيها غير ثابت والحديث عنها سوف لا ينال رضا الكثيرين من أهلها، من التي باتت تعيش حياة هي من صنيعة ثقافتها الاجتماعية التي لا زالت تنشأ عليها الإنسانية في كثير من أبعاد قيمها وعاداتها وتقاليدها وأعرافها،

وقد ذهب الكثير من فضلاء العلم والخبر والرواية، من أن تسميتها بأرض القعدة جاءت ولأول مرة على لسان الشيخ محي الدين بن مصطفى بن محمد بن المختار والد الأمير عبد القادر الجزائري رحمه الله، الذي أنطقه الحق عن تسميتها بقوله: (ما أحلى القعدة في أرض القعدة)[59] التي أصبحت بها ذكرا على الدوام، كونها تتوافر على قعدات علمية[60] نورانية، قل لها النظير والشبيه، وهذا ما يؤكده لنا صاحب كتاب الأحكام في ذكر الأعلام في قوله[61]:

---

[59] لقد ذهب بعض الباحثين المعاصرين، إلى تأويلات عدة من حيث اللفظ أو المعنى لكثير منهذه الكلمات، لكنني لم أر من متصدري هؤلاء شيئا يستحق الوقوف عنده أو الاستدلال به، - والله أعلم،

[60] هو عبارة عن مكان مفضل لديهم يجتمعون فيه أهل الصفوة من العلماء ومشايخ الذكر وحفظة القرآن الكريم من آل امحاجة أو الوافدين إليها،

[61] أنظر كتاب الأحكام في ذكر الأعلام من الشيوخ والفقهاء وأرباب الكلام للشيخ الجليل العلامة الهادي بن محمد بن عبد الله بن عبد القادر المكي الوازاني السني المتوفى عام 1317

(... لقد كانت أرض امهاجة منذ قديم زمانها أرضا حافلة بأهل العلم ورجالاته، حاملة معها لواء مذهب مالك لأهل السنة والجماعة، في كثير من مبادئ وقيم ومثل عربية إسلامية، في نماذج مثالية عالية السند، حتى باتوا جميعا منطلقين من إطار فكري واحد، وفي ظروف متشابهة يعيشون عليها في بيوتاتهم ويتداولونها في كثير من مجالسهم، وقد كان فيها الشيخ سيدي الطيب[62] بالفريح المهاجي رحمه الله العالم الجليل، والفقيه النبيه، الذي ترجم له الشيخ الطيب المهاجي في كتابه (أنفس الذخائر) قوله: (نعم للشيخ الطيب بالفريح الذي نترجم له فتاوى ووثائق وتقريرات عن بعض المدونات النقلية منها والعقلية، كانت محفوظة عند آل بيته إلى أن اشتعلت نار الفتن بين ربوع القبائل أواخر عهد الأتراك وأوائل الاحتلال الفرنسي للجزائر ، فضاعت تلك المحفوظات بسبب إجفال الناس وكثرة انتقالهم فرارا من الانغماس في أمواج الفتن معتصمين بالجبال والشواهق،)

ويواصل الشيخ الطيب المهاجي الحديث عن هذا الشيخ رحمه الله ويقول، ومما ثبت عنه أنه ترك وثيقة خطية عن نسبه من آل امهاجة الأدارسة الحسنيين، وكان فيها من بين الذين امضوا على ثبوت النسب المذكور ونص إمضاءه بالحرف[63] قوله: (.. وقد عثرت على كراسة بها إمضاءات جماعة من العلماء يشهدون فيها بثبوت النسب الحسني أو الحسيني لبعض الفروع، وعلى تلك الكراسة طوابع بعض الأمراء في أوقات مختلفة التاريخ، ومما جاء فيها قوله: (الحمد لله وحده

---

[62] أنظر كتاب (أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر ص: 120 وما بعدها) مصدر سابق،

[63] أنظر نص الوثيقة كاملة ص: 120 وما بعدها، في كتاب (أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر) ، مصدر سابق،

وصل اللهم على من لا نبي بعده، ليعلم الواقف على هذا الرسم من الأمة المهتدين وفقنا الله وإياهم إلى إتباع سنة سيد المرسلين، إني موافق موافقة تامة شرعية لأولئك السالكين سنن الصالحين الواقفين بباب السنة القائمين بحدود الله على ما رقموه بخطوط أيديهم من ثبوت نسب الماسكين للرسم المذكور، وهم ...)

لقد كان هذا الشيخ رحمه الله رضي الخلق في قومه، رؤوفا عطوفا على أهله وبني قومه، شديد اللين والرحمة محبا لذوي قرباه.

وفيها الشيخ سيدي المصطفى بالفريخ المهاجي الذي كان علما من أعلام الهدى والرشاد والمنزلة الرفيعة، والشيخ سيدي محمد الشيباني بن مصطفى بن سيدي قدور بن مصطفى بالفريخ المهاجي الذي ساد قومه بكثير من الكلمة الطيبة، والحكمة البليغة، في قول مبين، وشرح متين، لما له من باع طويل، في تاريخ امتد به في سنين درسا وتحصيلا تربية وتكوينا[64]،

وآخرون ممن كانوا لها سادة كراما، وكبار قوم عظام، من الذين أصبح بهم الدين قويا، والقرآن فيها مذكورا، والعلم بينها منشورا، في عقيدة راسخة مرضية، عمت سلوكها قلوب الجميع، في صبية صغارا وكبارا، كهولة، وشيخوخة ..) ما جعلها تأخذ سبيل امتداد تاريخها في كثير من جوانب حياتها[65]،

وقد عزها الله بكثير من رجالات كانوا لها في العبادة والتقى والصلاح عدة تعتمد، في مهابة كبيرة ، وعز ورفعة وقدر مكانة، يقدمهم في ذلك الولي الصالح سيدي (سيدي سليمان) رحمه الله الذي كان من أهل الولاية والعرفان حيث لا

---

[64] أنظر كتاب(تاريخ امهاجة بين المدلول اللغوي والرسوخ الجغرافي والامتداد التاريخي)،ص: 91 وما بعدها، مصدر سابق،

[65] وهي االرواية الأصح عندنا في تسميتها، استنادا لما ورد على ألسنة ساكنيها من عامة الناس، شيوخا وفقهاء،

زال الناس يرفعون أيديهم عند كل زيارة لقبره، طالبين له الرحمة والمغفرة، الذي استقر به الرحيل أرضها في سنين، مكونا لنفسه بيت علم ودار قرار، قصده الناس من آفاق بعيدة، وشدوا له الرحال من النواحي الشاسعة، طلبا للعلم وعلوم المعرفة، وكانت له بها بركة ظاهرة في كل شيء، حتى أصبح مقامه محل اجتماع وإجماع على أنه كان رحمه الله من أهل الخير والبركة والفلاح، وقد عده أهل زمانه في كثير من رواياتهم، على أنه كان من لشد الفقهاء الصلحاء إيمانا وتقي، تأثيرا وتأثرا بالقرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة،

ولم يزل بها[66] قائما في سنين، معظما لأهل الحسب والنسب من هذه الديار، إلى أن توفي رحمه الله، ودفن بمكانه الذي لا زال به يعرف، ما جعل الناس بعد موته يقيمون حول مكانه مناسبات متفرقة يجتمعون حولها في خصائل ذات منفعة ودين، من التي كان يريح بها قلوب محبيه ومريديه، في سيرة حميدة ونزاهة وطهر،

لقد ثبت يقينا أن مقامه هذا كان بيت علم وجاه، من الذي كان عليه المدار يومئذ، في كثير من علوم اللغة والشريعة وأصول الدين، وقد ترك رحمه الله جيلا من الأتباع فيهم الفقيه الحافظ، والمربي والمحب والمريد، والحامل لكتاب الله، ما جعل مقامه وبطول زمن يصبح ملجأ أمينا ينسون فيه خلافاتهم ومتاعبهم اليومية، وكل ما يصيبهم من بقايا هموم وترسبات دفينة استفحلت فيها أمراض نفسية وتراكمات اجتماعية،

فلا زالت الزيارة إليه تتم عند الكثير من محبيه من باب هذا المقصد أو ذاك، لا لشيء وإنما لما كان يدار حول محيطه من أحاديث ربانية كانت له فيها

[66] أي بأرض القعدة،

روايات وأخبار اشتملت على بدائع أيامه في حِلم راسخ بالهيبة والوقار، وسيرة عَطِرة لا زالت تحتفظ بها قلوب أهل هذه الديار، وشواهد أخرى موفورة وعليه موقوفة، منها ما أخذت جلالتها عنه بالإسماع، ومنها ما تحققت عن طريق أفراد ممن علا قدرهم وارتفع شأنهم، من الفقهاء الصالحين والعلماء العاملين[67]،

وبخاصة عند من كانت له دراية بأحقية ما أعطى لشيخها الفاضل (سيدي سليمان) رحمه الله الفقيه المتكلم، والناسك العابد، والزاهد الواعظ، من سر جمع عنده مكاسب ومسائل، في نصائح ومواعظ يسديها للمسترشدين في أبرز معانيها من التي كانت تدور عنده حول التبرك والالتزام بالكتاب والسنة النبوية الشريفة، والحث على التقوى والخوف من الله، والنصيحة لله وللمسلمين، وكل هذا وغيره كثير جعل من تسميتها بـ: (عين فرض) تأخذ بعدها الاجتماعي ومداها الشعبي في مفهوم أن التعريف بها جاء من باب ما تحمله هذا العين من ميزة عند أهلي هذه الديار من بعد تاريخي

وبذلك نستطيع القول أنها كانت تحمل أبعادا تاريخية ومفهومات ثقافية اجتماعية غنية، ما جعل صورتها تكون عند أهل العلم هامة ومفيدة، كونها كانت عبارة عن تجمع عام لما جاورها من بيوتات ومداشر وأرياف، في أسماء مختلفة وألقاب متباينة، وقد حماها الله سبحانه وتعالى من كل نزاع قبلي أو طائفي أو عرقي أو لأي وجه من وجوه الزعامة القبلية التي تدعو إلى الثأر بحكم الانتماء الطائفي أو العرقي أو ما شابه ذلك، عدا بعض البيوتات التي نجد فيها التضامن والتماسك

---

[67] لقد كان هذا الشيخ رحمه الله يضرب به المثل عند ذكر مشايخ أهل العلم من أرض القعدة ، كونه كانت تشد إليه الرحال لفضائله ، وهو ممن طلعت شموس علمه في سماء أرض القعدة من بادية امهاجة،

[68] شيمة من شيمها الأصيلة أكثر منه شيئا آخر، على الرغم من قلة تعاشرها واجتماعها في بيت واحد، بل هي عبارة عن بيوتات تعيش في جوار بعضها البعض، ولكن هذا التماسك والتضامن الاجتماعي أخذ عندها وبطول زمن يضعف اتجاه النزعة الفردية التي جاء بها الاستعمار الفرنسي يومئذ من حيث التأثير أو التأثر،

ومن التعريفات المتقاربة لاسمها الحالي بـ (القعدة) تعريف موثق جاء به صاحب كتاب الأحكام[69] الذي جاء على لسان أحد الشيوخ الوافدين الغرباء، من بلاد المشرق جاء مقاربا لما لأصابها من تعريفات عبر أزمانها المختلفة فيما يرضي أهلها وما لا يرضيهم في مفاهيم متضاربة، قوله: (من أن شيخا من أهل الفضل والعلم من بلاد المشرق كان يتردد على أهل هذه الديار من بادية امهاجة، التي عرفت بمساجدها الدينية وكتاتيبها القرآنية، في مجالس روحانية وقعدات اجتماعية إنسانية، ليجدها أرضا خصبة، كثيرة العطاء الديني والثقافي، وأداء العبادات في إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبما تَتَّبِعُهُ من السنن المشروعة، ونبذ البدع والخرافات، ما جعلها أهلا للعلم والعلماء من رفيعي الدرجات وعلو الهمة في الإدراك، يتسابقون إليها في رحلات، من مشارق الأرض ومغاربها، رغبة في الاستمتاع برياض مجالسها في قعدات،

[68] أنظر ص: 15 وما بعدها من كتاب (الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر،) مصدر سابق،

[69] أنظر كتاب الأحكام في ذكر الأعلام من الشيوخ والفقهاء وأرباب الكلام للشيخ الجليل العلامة الهادي بن محمد بن عبد الله بن عبد القادر المكي الوازاني السني المتوفى عام 1317، مصدر سابق،

علمية كثيرة، وقليل من الشعر والنثر في حسن استماع وإسماع، التي ألْفَتْ بها همتها البعيدة،)[70]

وفي حديث آخر لمن كان يتردد على مجالسها في وصف منه تقديرا وإعجابا لما كان عند علمائها من استفسار روحي أو تكشف باطني قوله:[71]، (ما أحلاها بجلساتها المفيدة، وقعداتها المريحة، وأنا الآن مقيم على أرضها لا أقدر على جزاء ما أسمعه غير الثناء، لما أعطى الله أهلها من مكانة كانوا فيها الأقدر مني على أن أستعمل جهدي وأستفرغ طاقتي، فيما كان لي من أداء عن بعض ما أتيت به من مقاصد في شرح بيان، لعلني أكون معدودا عندهم من ذوي النباهة وحسن الاطلاع، وقد وصلني الشكر على ما أسديته مما حسن لي من علم نافع جزاهم الله خير الجزاء،)

وعليه يمكننا القول وعلى ضوء قراءتنا لهذه الشهادات، بأن أرضها ظلت تمثل عبر زمانها البعيد، نهضة علمية أدبية عالية السند في كثير من أبعادها الدينية والروحية، لما نبغ فيها من أعاظم الفقهاء والمحدثين المفسرين، العاملين على استظهار آياته من القرآن الكريم وسنة نبيه الكريم، وقد تجلى ذلك عندي في كثير من مآثرها العلمية ونصوصها التاريخية والأدبية، من التي ظلت تجتمع عندي في كثير من الأخبار والروايات وأحاديث متفرقة،

ما جعلني استخلص منها ما كان بالإمكان استخلاصه عن كل من كانت له قيمة تاريخية في هذا الشأن من جمال السيرة ووفرة العلم، وضَمَّنْتُ أصحابه تراجم وسير ، إضافة إلى ما كان لي من موروث ثقافي من الذي لا زالت تتداوله

70 أنظر كتاب الأحكام في ذكر الأعلام من الشيوخ والفقهاء وأرباب الكلام ، الورقة: 18 من المخطوط، مصدر سابق،

71 المصدر نفسه،

الألسن وتناقلته الأفواه، وقد أخذت منها ما هو جدير بالقبول، ورفضت منها ما هو جدير بالرفض، وفي ظني أنه لا تزال هناك جهود أخرى يجب أن تبذل في سبيل إحياء موروثها الثقافي من الذي يجب أن ينشر أو يدرس،

ومما جاء في شهادة أحد الشيوخ المعاصرين ممن توارثوا أخبار الأوائل عن آثارها البعيدة، وبرواياتها المختلفة التي وجدت مجموعها يكاد يتقارب فيما بينها نصا وروحا، لما لها من النفاسة والأصالة وذلك لما كانوا من أخلاق ربانية وسلوكيات عرفانية ما جعلهم يبلغون شأوا بعيدا في كثير من علوم الدنيا والدين، وبما كونوا لأنفسهم من مراكز علمية انتهت بهم إلى الصدارة في علم وحسب ونسب ، كانوا فيها مضرب المثل في التقى والصلاح والورع والدين القويم، فهذا على سبيل المثال الشيخ الطيب[72] بن المختار الأغريسي المختاري صاحب(القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم) يقول في وصف أحد أئمة امهاجة الكبار ممن حافظوا على تعاليم الإسلام الأولى، في تقوية عزيمة وروح ودين،

(....... ومنهم امهاجة ونسب هذه القبيلة يتصل بمولانا ادريس رضي الله عنه، والأصل الذي يجمعهم سيدي (ميمون[73] وسيدي أيوب)[74] وإياهما عن الشيخ سيدي عيسى بن موسى في غوثياته المسماة بالبدور:

وميمونُ أيــوبُ المهاجي شقيقُهُ　　　من نورهما يبدوا كنوزَ الكواكب

[72] أنظر كتاب (القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم) للشيخ الطيب بن المختار الأغريسي المختاري، ص: 335 وما بعدها، مصدر سابق،

[73] أنظر كتاب (أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر ص: 82 وما بعدها) مصدر سابق،

[74] أنظر كتاب (الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر) ، مصدر سابق، وكتاب تاريخ امهاجة بين المدلول اللغوي والرسوخ الجغرافي والامتداد التريخي،ص: 91 وما بعدها، مصدر سابق،

وفي البهجة[75] الخضراء سرهما بدا وجاءهما يشكــوا هزبر الكواكب

وله في أخرى قول رحمه الله[76]:

فمنهم أبو موسى شريفٌ وماجدُ والأفضلُ ميمونُ مبينُ العجــائب

من الغيب أبْدًا للضيوف مطاعما ووكل ضِرْغَامًا يحـرسُ المــراكب

أيوب وميمـــون المهاجي شقيقه ضياؤهما في شرقها والمغــــارب

فما هما في البطحــــاء إلا فريدةٌ حواها نظام المجد من كل جانب

وروي عن سيدي ميمون المهاجي الأدريسي المذكور في هذه الغوثية، أنه كان رحمه الله عالما صالحا ورعا زاهدا، وعلى قدر كبير من الكرامات التي بات بها مشهورا، ومناقب وأحوال باهرة، وفضائل ظاهرة، من غير اختلاف على فضله، مخالفا لأهل البدع، ملازما للكتاب والسنة النبوية الشريفة، فهو ممن اشتغل بالعلم ووصف به، حتى أنه كان من المستغيثين به في الأزمات، وفي قضاء الحاجات[77]،

وقد وصفه صاحب كتاب الأحكام[78] في ذكر الأعلام من الشيوخ والفقهاء وأرباب الكلام بقوله: (... كان سيدي ميمون رحمه الله جليل العلم، مثبت

---

[75] البهجة : وفي رواية أخرى (البطحاء) والمعنى واحد، وهو المكان الذي به أنشأ به سيدي ميمون معلمه التاريخي ، وقد حدده بعض المؤرخين بهذه البادية التي سميت باسمهم (بادية امهاجة)

[76] أنظر كتاب السلسلة الوافية والياقوتة الصافية في أنساب أهل البيت المطهر، أهله بنص الكتاب، للإمام أحمد بن محمد العشماوي ثم المكي،ص: 146 وما بعدها، مصدر سابق،
وكتاب فتح الرحمان على عقد الجمان، مصدر سابق،

[77] أنظر كتاب السلسلة الوافية والياقوتة الصافية في أنساب أهل البيت المطهر، أهله بنص الكتاب، للإمام أحمد بن محمد العشماوي ثم المكي،ص: 146 وما بعدها، وكتاب فتح الرحمان على عقد الجمان،

[78] مصدر سابق،

الإسلام، والذائد عن حرمة الدين، محبا للمكارم، محمود الخلائق، وفيه يصدق قول القائل:

عشق المكارم فهو مشتغل بها والمكرمـــــات قليلة العشاق

بث الصنائع في العباد فأصبحت تجبي إليه محامـــد الآفـــاق

فهو ممن نهج طريق آبائه وأجداده من آل بيته المطهرين القائمين على نشر تعاليم الإسلام والحافظين لحدوده، في إيمان وصلاح،

فهو أول من بنى مدرسة علم وجاه، وسط قبائل بني عامر، من التي لا يوجد لها مثيل في أي مكان آخر على أرضهم ، وأخذ الناس بها يتعلمون علوم اللغة والدين، وقد أمها الناس من مختلف الأقوام والطرائق لأخذ العلم وتعليم علومه، ولكن أهل التاريخ لم يسجلوا من أعمالها إلا نادرا، ...)

وقد وجدت في هذا النص الكثير من الحقائق من التي لا يمكن عزلها عن فصول هذا العمل، ولعل ما يأتي به الزمن في قادم الأيام ما يكشف لنا عن حقائق تقربنا من عناصر هذه الأمة في عمقها التاريخي في كثير من أبعادها ومعانيها بطريقة مباشرة وغير مباشرة، لأنها بحق أرضا ذات خير وبركة، حلوة الشمائل، جليلة الفضائل، في سماح وجود، حازت بها ما كان لسلفها الصالح من آثار كريمة،..) والله الموفق،

من تاريخها الثوري

فإني لا أريد في هذه العجالة من الكلمات أن أستعرض جميع أحداث الثورة الجزائرية التحريرية الكبرى من عام 1954 للميلاد عبر تاريخها المديد، من التي شهدها الوطن يومئذ في سنوات الاحتلال، بقدر ما أريد أن أستوضح جزءا من أحداثها من التي عرفتها أرض القعدة في مداشرها وقراها وبكثير من

صروفها وصدورها، من التي أغْبَرَتْ دنياها وأظلمت آفاقها، فكان أبرزها عام 1957 للميلاد، حيث شهدت أرضها بكامل قراها ومداشرها وبيوتاتها، يوما كان الأكبر في حياتها، بما لحقها من دمار وخراب وتغيير لكثير من معالمها التراثية التاريخية والدينية، وآثار أخرى من التي أشاد بها الزمن في سنين، وسقط بسقوطها بشر كثير، حتى بات ترابها لا يعلم ما ضم من أب فاضل، أو أخ كريم عزيز، لأسرة كانت في الحسب والنسب أو العلم والجاه صدرا، أو ابن بار، أو شيخ عالم بليغ، أو صالح حكيم من أولي المقامات، أو فقيه حافظ لكتاب الله وسنة نبيه الكريم، حتى غدت أرضا تعطل الشرع فيها والدين ، فلا صلاة تجمع، ولا منبر يرفع، والكل ذاهل فيما آل إليه حالها، وظلت المحن بها تنساق في انقياد واتباع، بعد أن كانت أرضا تجمع فيها المحاسن والخلال ومن أشد الناس ثبتا للكتاب والسنة النبوية الشريفة، حتى بات إليها الإيماء في علم الصادر والوارد من فقه ولغة وشريعة ودين، في صفاء مشرب مالك ، وفي كل ما أتي عليه الحق من بيان،

وقد استقر بها الحال في اتساع زمان، بعد أن أطالها الفقر في تنقل وتشريد وغبن وقهر، تحت إمرة استعمار عدو غادر، في سنين حتى صرف الله كيده في نحره، وأذاقه وبال أمره، وانكشفت سريرته وبات تاريخه وراءه ينبئ عن دهر صار للتاريخ جامعا لكثير من قبيح فعاله، وعظائم جرمه،

واليوم والحمد لله على نعمة الاستقلال، والتخلص من كيده وأيامه السود، التي سادتها الكثير من التعقيدات العقائدية والطقوس البالية الدفينة، ذات التناثر الاجتماعي والتباعد الثقافي، الذي ما من شأنه الدعوة إلى الابتعاد عن قيمه العربية البدوية الأصيلة، من التي لا تزال تذكرها فخرا واعتزازا،

وظلت هذه القرية تعيش أيامها في سنين تمد الحركات الثورية الجزائرية بكثير من أبعادها، منها ما كان لأبنائها من الالتحاق بصفوفها في سر وعلانية على مدى عهودها من الزمن، ومنها ما كان لها في مدها بكثير من أسباب الحياة من التي تعينها على المقاومة والجهاد، ماديا ومعنويا، حتى أصبح لها من الذكر الثوري وفي المقاومة والجهاد، ما يبقيها للزمان رسما للتاريخ، بسبب ما أمدته من شهداء بما يرضي الله والوطن في سنين، ومجاهدين رابطوا وصابروا في مقاومة وجهاد حتى النصر،

فهذا (أحمد زبانة) رحمه الله، على سبيل المثال لا الحصر، الذي أقف عنده اليوم كنموذج في هذه العجالة من تاريخها الثوري والجهادي، الذي هو جزء من غرضي وشرط من هذا التأليف، الذي اعتمدته في كثير من حقولها الثورية، وسلوكياتها الاجتماعية والسياسية والوطنية، في ظاهرة تاريخية لها من يوم اعتقاله إلى يوم استشهاده رحمه الله، التي ملأت الأنظار ضوءها عليه، وكأنه ذاك البطل المنقذ المحرك للهمم، لاسترداد ما سلب، وتقوية ما ضعف، وتأكيد العزائم في نفوس أهل هذه الديار ديار أرض القعدة من بادية مهاجة والوطن عامة، لحملهم على المقاومة ودفعهم إلى خوض المعركة مع العدو المحتل بكامل قدراته العالية، ومعنوياته المشدودة، حيث لم يجد الشعب الجزائري يومها وسيلة أقرب وأشد على العدو من دعوتها للجهاد والتضحية في ثورة شعبية عارمة حتى النصر، لأنها السبيل الوحيد لاستثارة الهمم، وتحريك المشاعر، حتى تأخذ المقاومة مكانتها في النفوس، وتستقطب الأمة بكاملها، التي بدأت تقف على حقيقة الاستعمار بأوجاعه وأهواله وتتفحص الأبعاد المظللة التي ظل متماديا في نشر فظائعها، مغاليا في انتهاك الحرمات طيلة قرن وربع القرن من الزمن،

لقد ظل الشعب الجزائري وفيا في التعبير عن قدرته التي استمدها من تاريخه الطويل الحافل بالانتفاضات الشعبية، والمقاومة الوطنية، التي ظل يستعجل بها الأحداث ويبني بها المواقف المطلوبة باستمرار الكفاح المسلح ضد كل عدو محتل غاصب حتى تتحرّرَ الأرضُ، ويستعيد حريته واستقراره وأمنه ومكانته بين الأمم،

وقد كان له ذلك والحمد لله، ولعل الأيام التي سجلتها ثورة نوفمبر الخالدة من عام 1954 للميلاد خير مثال في التعبير عن اللوحة البطولية التي ظل يمتلكها الشعب الجزائري من أقصاه إلى أقصاه، كقيم له للحق والخير والوطن، وقد أخذت بعدها الوطني على خوض المعركة، صامدة موقنة بالنصر والانتصار، رغم ما أثقل أيامها من صرامة الانتقام التي بلورتها عملية التحدي عند رجال الثورة وقادتها السياسيين، وروعتها شراسة الهجمة الوحشية الظالمة التي ظل يتعرض لها هذا الوطن، والاستباحة الدموية المفجعة التي أبداها العدو في قهر إرادة الشعب وفل عزيمته الوطنية، طيلة قرن من الزمن وما يزيد عن الثلث قرن، وهو يقاتل وينتصر ويصمد فوق أرضه وعلى كل رابية من روابيه، وإلى جوار كل وادي أو قرية أو مدينة استباحتها جنوده، دون كلل أو تعب أو تراجع، لما له من دور حماسي ووطني ظل يدفع به الجموع ويثير في النفوس الاندفاع، ويرسم لهم طريق النضال الخالد، ويستشهد أمامهم بمظاهر البطولة والاستشهاد، وهو يرتل أناشيد الثورة والقتال حتى النصر،

فبهذا المنظور ومن هذا المنطلق أقول: إنه لا يستطيع أحد منا اليوم أن يتحدث عن الثورة التحريرية الجزائرية الكبرى، دون أن يأتي على ذكر شهدائها الأبرار من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وما منا اليوم أن يذكر تاريخها دون أن يأتي على عظمة رجالها ومقاوميها ومحاربيها من قادة ثوار، ومجاهدين

أحرار، من الذين عاشوا أيامها في الجبال والسهول والوديان رافعين على كاهلهم أثقل الأعباء، شاقين طريقهم إلى النصر إلى الجهاد، وإخوة لهم كانوا هناك في المدن والقرى مناضلين مسبلين، وفي السجون مهددين معذبين، وغير بعيد من هنا وهناك ما وراء البحار أبناء في المهجر منفيون منسيون، يواكبون مسيرة التحرير من موقع إلى موقع، يتقدمون الصفوف في مظاهرات عارمة في تمجيد للثورة حتى النصر،

وبصوت واحد يهتفون، يرددون، لاستعادة أرضهم المغتصبة وتحريرها وطرد الأعداء منها، وفي موقف واحد كانوا يهيئون الأذهان ويشاركون في دفع أبناء هذه الأمة لتقف الموقف الموحد، لتعيد وحدتها وحريتها وكرامتها وتكشف عن غشاوة الواقع الأليم الذي ما فتئ يخلفه الاستعمار يومئذ، وما ظلت تقوم به عناصر التمزق وهي تسجل انخذال الفضيلة والاستهانة بالإنسانية،

لكنه وحتى يدوم هذا التواصل، وحتى يزداد هذا التقارب، وحتى يظل تاريخنا محفوظا في ذاكرة الأجيال، لا بد لنا أن نضع من ذكراها نقطة تلاقي من كل سنة، نؤكد بها ضرورة هذا الالتزام وهذا التواصل لتظل هذه الأصول حية دافقة، ترفد الحركات الوطنية، وشباب هذه الأمة، بروافد الوحدة الوطنية، وبكل ما تمده لها نسق الحياة، من زاد نقي طاهر أخوي لأبنائها في وحدة واحدة، وترابط ووئام، وتدفعها إلى أن تحيط نفسها بكل ما يقيها من التخلف والتفرقة وروح التمزق، وحتى لا تصير يوما إلى السقوط والاندثار، عن كل تقدم حضاري وازدهار،

وحتى نحمي أنفسنا وجيلنا من كل ما هو آت، يجب علينا أن نترك للأجيال صورة واضحة لعصر ثورتنا المجيدة، وببطولاتها الخالدة والإشادة بوقائعها وأحداثها، والتفاخر والتباهي بأيامها حتى يوم النصر،

وحتى يكون لنا ذلك يجب علينا أن نعيد قراءتها للأجيال، في صدق وأمان، ما دامت مادتها لا تزال بيننا حية محفوظة في الذاكرة ، محفورة كتجاعيد عند الكثير ممن هم كانوا قادة لها، وهم لا يزالون إلى اليوم يمثلون عصرها شاهدين، ذاكرين لأيامها، حافظين الرواية فيها، بمدوناتها القتالية، وروحهم الجهادية، وعواملها الحربية النفسية منها والقتالية، وبكثير من مجلاتها المختلفة،

فشهاداتهم تلك وهم على قيد الحياة، وخزيهم ذاك وهم بيننا أحياء، يجعلنا على ثقة مما نؤرخ وندون، وبأسمى المعاني والكلمات ننقل صوت هذا الشهيد الذي اغتالتْ فرنسا كبرياءه يوما، والمقاتل والمجاهد الذي ظل يتحرك وفق التصور الذي يرسمه لنفسه كبطل وهو يعُدُّ خطته للهجوم، ويوجه رفاقه للقتال، مقدرا موقف خصمه من هذا اللقاء المصيري أو ذاك، صامدا مضحيا مقاتلا محاربا ، مسبلا مستشهدا، وبهذه المعاني وبكثير من الصور الحية الخالدة نكون قد أضفينا علي تاريخ ثورتنا المجيدة حلل الفخر والتباهي، وبكثير من موروثها البطولي الفكري والثقافي الديني والاجتماعي، وبشيء من الأمانة من حيث ما يجب أن يكون تحقيقا لمقصدنا وغايتنا الوطنية في إطلاع هذا الجيل - جيل الاستقلال - بمدوناتها ومكنوناتها التاريخية، وبكثير من التحقيق والتوثيق واليقين والإثبات، نسمع صوتنا لمن يمتلك القدرة على تبليغ رسالتنا الثورية في كثير من مراحلها التاريخية في مقاومتها الباسلة، في ثورة وجهاد، كغاية أساسية، وفي أسمى معانيها من أجل التحرير، ودفع الظلم، ونشر العدالة الإنسانية في وحدتنا الوطنية، لبعث الثقة بالنفس وتأكيد القدرة على المجابهة الحقة في كل وقت وحين، وتثبيت صورة التمكن لدى أجيالها الطالعة من الوقوف والتحدي ساعة التحدي، حيث قبور الشهداء، حيث اليتامى والأرامل، حيث الشهيد الرقيب الذي نشأ على ترابها، وعاش وترعرع على لهيبها، وتحت عواصف ثورةٍ عارمةٍ قادتها أمته

كان له فيها شرف الاستشهاد في سبيلها، وآخرون كانوا من الذين انساقت روحهم في روح القتال يرسمون الوقائع، ويجددون معالم الانتصار والصمود، في وجه عدو لدود ظلت أطماعه تتكالب على تمزيق هذه الأمة في وحدتها الترابية، وثقافاتها الاجتماعية، وعلاقاتها الروحية والوطنية والإنسانية،

فبوقوف هذه الديار- ديار القعدة - لإحياء هذا اليوم من كل سنة، وبذكرها لهذا الشهيد (" أحمد زبانة") وفي إعادة قراءةٍ تاريخيةٍ لهذا الابن البار الثائر الشهيد لهذه البلدية بخاصة وللجزائر بعامة، نكون قد عملنا مرة ومرة، على فتح باب جديد من أبواب تاريخنا الوطني ونضاله المديد، في هذه المكان الطيب أهله - القعدة - في كلمة نافعة منها، وذكر صادق من أبنائها، في قول فيه كثير المعنى، كثير الحياة والتاريخية في دين وثقافة ومقاومة وجهاد، لما فيه من نموذج كفاحي متميز، أكسبها هذه الشهرة، وأنساها أحداثا لا زالت تترك في نفوس أهلها ألوانا من المآسي، وصورا لا تزل خالدة لصدق التعبير وعمق المأساة، وقسوة الهجمة الاستعمارية التي تعرضت لها أرض القعدة، أسوة بما كان عليه الوطن يومئذ من أقصاه إلى أقصاه، وبفضل شهدائها ومجاهديها في المقاومة والتضحية ما جعلها تزكي نفسها بعدد من الشهداء لا يستهان بهم، كانوا خيرة رجالاتها عزا ومكانة وشرفا، البالغ عددهم: (86) شهيدا شاركت في تعدادهم الكثير من قراها كل قراها وبدون استثناء، وهي على التوالي:

دوار البغاديد، دوار المصاطفة، - دوار الرمايسية، دوار القدادرة، دوار الضيبيات، دوار أولاد سيدي الفريح المهاجي، دوار الزوادرة، دوار القواسم، دوار اسكارنة، دوار أولاد سيدي اعمر ، ، دوار الحمايدة، دوار العرايبة، دوار الشناتفة، دوار المخاشيس، اسوايحية ،

وبهذه الديار التي عاش ساكنوها ثورة الأمير عبد القادر الجزائري[79] وما كان لفرنسا يومها من استنفار جميع أبناء الوطن لمحاربتها والتفافهم حول أميرهم الحامل للواء السيف والقلم، على أحسن المهيآت في عدد وعدة، بكامل تضحية وإخلاص[80]، حيث وقع لأهلها ما وقع لهم زمن الثورة التحريرية الكبرى[81] من عام 1954 للميلاد، من تقتيل وتنكيل وتشريد وهجر ما بعده هجر، لا لشيء وإنما لما كان عليه محيطها في بعد زمان من آثار جهادي ديني ووطني، امتدت أيامه إلى أجيال وأجيال، ومنذ عشرات السنين حيث كانت هذه البيوتات مملوءة بشيوخ الدرس وطلبة العلم والتحصيل، وحفظة القرآن الكريم، وما كانوا عليه من وعظ وإرشاد، وحث على الصبر والثبات في المقاومة والجهاد، وجوانب أخرى كثيرة ارتبطت بها مقدمات النهضة العربية الحديثة[82]، التي لا زالت تعبر عنها عوامل كثيرة، المتمثلة في تراثها الأصيل وامتداد مجدها العريق، آملا أن يمتد عمر هذه الذكرى عند أهل هذه البلدية بكامل بيوتاتها ومداشرها وقراها، إلى سنوات وسنوات قادمة إن شاء الله تعالى،

---

79 أنظر كتاب (أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر) ص: 82 وما بعدها) مصدر سابق،

80 أنظر كتاب (التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري) بجزءيه الأول والثاني، للدكتور أديب حرب، طبع دار الرائد للكتاب ، الجزائر، 1983 للميلاد،

81 أنظر كتاب (أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر) ص: 103 وما بعدها) مصدر سابق،

82 أنظر كتاب (الشيخ الطيب المهاجي سيرة وجهاد) ص: 39 وما بعدها، طبع دار الغرب للنشر والتوزيع 2003،

وكتاب الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر، مصدر سابق،

فهذه قصيدة أثرية جادت بها قريحة أحدَ أبناء قرية ـ أولاد سيدي الفريح المهاجي ـ من الذين عاشوا أيامها وسجلوا أحداثها وهي تدافع ببسالة عن أرضها ووطنها في أرض المعركة مع الأمير عبد القادر، وفد عرض فيها صاحبها أحداثا ووقائع كانت لهم في مجد وخلود، ولرجالاتها من الذين كانت لهم وقفات مع الأمير عبد القادر رحمه الله، ووقفتهم مع الثورة الجزائرية التحريرية الكبرى من عام 1954 للميلاد، ووقفات أخرى كانت لها في عبر تاريخها المشهود، في روح وجهاد وتضحية وتفان، وقد أشاد فيها صاحبها بجوهر أصالتها، وطبيعة أهلها، في العلم والوطنية والجاه، وتسيير وقائع أيامها بأبعادها الدينية وروحها القتالية، قوله[83]:

لسائــــلِ العلمِ عن امهاجةَ أخْبَـارُ

فما وُقُوفُــــكَ والأحـْــرَارُ قد سَارُوا

يا زائرين لامهاجــــــةَ لا تَفِـــدُوا

فما بِذَاكَ الحِمَى والـــــــــــدّارُ دارُ

تَاجُ الخلافــــــــةِ فيها والأميـرُ

عبدُ القـــــــــــادِرِ قدْ أتاهُ النّصْرُ

إن الجهادَ في امهاجــــــــةَ قدْ وُجِدْ

في سيفها حِينَ للإقبَـــــالِ إدْبَـــارُ

أولادُ سيدي الفريح ثُــوارٌ أحـْـرَارُ

---

[83] أنظر مقالتنا المنشورة بجريدة الجمهورية، بتاريخ 5 رجب من عام 1431 هـ الموافق لـ 19 جوان 2010 تحت عنوان (القعدة تتذكر بطلها ـ للدكتور قدور ابراهيم عمار المهاجي،)

ملكُوا بالجهـاد مَا اخْتَـــــــارَ أقْدَارُ

همْ أخـــــوةٌ علمـــاء، سادة كانُوا

ذَخَائِـرَ مدٍّ يومَ النّطَـــــــاح للأمِيرِ

أتتهُمْ جيـــُوشُ الفرنسيسَ بكيْـدِهَا

حتى قالتْ: ما لي بفرســـــــان الأميرِ

أقْسَمُــوا على الجهـــادِ بِبَيْعِ نُفُوسِهِمْ

والعيْـــشُ بِلاَ شَرفٍ ذُلٌّ وإِحْقَـــــارُ

اســـألِ القَعْـــــدَةَ وأهْلَهَا وسَاكِنِيهَا

عن مجاهديها عن شهدائها الأبْـــــرَار

عن ملحمــــةٍ كانت لرجالٍ أبطَـــال

بمرقـــدِ سليمـانَ سيف للحق مشتهرُ

نصْرٌ أَوِ اسْتِشْهَادُ، وَعْـدٌ للأميـــرِ

جيوشُ النّصَـــــــارَى أتتهم على غَـدْرِ

ظلوا رابضين طـــولَ وفاءٍ في القتـــال

حتى جاء الرُّسْـــلُ بغدْرِ الملكِ الجَـــار

يا لحَرْبٍ ما نجا من صَرْفِهَـــــا أحـــدٌ

أين الذين بَقَـــوا معَ جهاد الأمِيـــــــرِ

بكَتِ الديــــــارُ نوائبَ دهْــــرٍ أتَتْ

على الطيب فيها وأجنـــــــادِهَا الغر
لم تبق في القعـــــــــدة بيتًا ولا دارًا
ولا أثـــرًا للعلـــمِ به ظَلّتْ تُذْكَـــرُ
تفرقوا هاجـــــروا غداةَ أمــــرِ الأميرِ
حتى عادتِ الجبـــالُ موْطِنَ حِمَى ودَارِ
هم رجالُ الأمير أهلَ سيفٍ أهلَ ثـــارِ
فاختارُوا الجهـــادَ تيمنًا بالثُّـــــــوَارِ
وقولي لأخـــوةٍ دُفِنُـــوا في العَـــــرَاءِ
لعمرُ أبيهم هم فرســـانُ الوَغَى في النصرِ
كم قمعُوا بالسّيْفِ والرُّمْـــحِ فلـــــولَ
شـركٍ للنصـــــــــارى وأعداءَ الأميرِ
امهاجـــة سادَتها فُرْسَـــانٌ كِبَـــــارُ
وفي العلم جَوْهَـــــــرٌ حُكماءَ أخْيَـــارُ
عُصبةٌ وفي يوم النزال تـــَرَانا عددًا
يتقدمنا من لا يختارُ أن يَتَأَخَّــــــرَ
فليخسأ الخائِنُـــــــونَ من أعدائِهِ
فنحنُ له رجـــــــالٌ في الملماتِ أبحُرَا
أين الطيب أيــن المصطفى أين الوَرَى

أين الذينَ حازُوا الفخـــرَ معَ الأميــرِ

أولاد سيدي الفريح تمكّنُوا بعـــد عزٍّ

بالجدِّ وبالعِلْــــــمِ فازوا وانْتَصَرُوا

ذريةٌ عربيـــــةُ الأوصافِ ذاتُ مكارِمِ

يُتْلَى بها القـــــرآنُ ويُجْلَى العِلْمُ والذّكْرُ

وقفُوا مع الأميــــر حتى طالَتْ أيامُهُمْ

في هجْـــرٍ وفِرَاقٍ لمْ يُعَالِجْـــــهُ الصَّبْرُ

لمْ ينْكُثُوا عهْـــــــــدًا ولنْ يَرْتَابُوا

رِجَالٌ أوفيـــاءَ بِقول الحقِّ انْتَصَـــرُوا

شـــرفٌ وعِزٌّ لآل بيت رســـول الله

نسَبٌ ومَجْـــــــدٌ وَسُـــــــؤْدُدٌ وَدَارُ[84]

إذ أنه وليس من الصدف بمكان أن تأخذ هذه الأرض الطيب أهلها مكانتها من تاريخ الثورة الجزائرية الكبرى عام 1954 للميلاد، ـ بأرض القعدة من بادية امهاجة ـ ، لولا ما كانت عليه أيامها من نشاط فكري، ووعي ثقافي، حيث ظل هذا الشهيد ـ أحمد زبانة ـ رحمه الله وغيره كثير ممن شهدتهم أرض القعدة

[84] لقد ثبتُّ هذه القصيدة كما وردت في المخطوط دون أن أجري عليها أية تصويبات من حيث ما ورد فيها من خلل في الوزن أو ما شابه ذلك، وقد أرجأت ذلك إلى نشرة قادمة في مجموع لكتاب إن شاء الله،

عير مراكزها العلمية، وكتاتيبها القرآنية، وشيوخ العلم والذكر من الذين كانوا يمدون الحركات الوطنية بالوقود الجزل والضرام العاصف أثناء المساس بأرض الوطن في كثير من أيامها،

حتى كان لها ذاك اليوم الذي أكدت به مجدَها وتاريخَها المتمثل في مقاومتها الباسلة مع الأمير عبد القادر، في سنوات من الجهاد، وهذا اليوم الذي تحيي فيه ذكرى هذا الابن الثائر الشهيد ("أحمد زبانة ") رحمه الله وغيره كثير من التي لا تزال تدفعنا ذكراهم اليوم في عاطفة قوية، وتوجه وطني موحد، واندفاع وتطلع في ذكرى من هذه الديار لتأكيد أصالة ذاك الالتزام الثوري العقائدي في إحياء ذكرى شهدائها الأبرار رحمهم الله، لتظل ذكراهم حية خالدة وإلى يوم الدين دافقة ترفد الشباب والحركات الوطنية ذات التوجه الديني السليم، والثقافة الوطنية، بروافد حب الوطن والتفاني من أجله،

فكانت صرخة هذا الشهيد رحمه الله التي أصبحت تعني في كثير من أبعادها، محاولة تجمع القوى الوطنية وتوحيد الشمل في استرجاع كرامةٍ، واستعادة أرضٍ، أصبحت يوما نهبا للمعمرين، واسترداد الحمى المستباح، وهي طموحات أتت أكلها وبطول زمن حتى أصبحت تتماثل عند كل فرد من أفراد هذه الأمة في طول الوطن وعرضه، من المخلصين الطاهرين، والغيورين الشرفاء، وفي تطلعات رجالاتها الأشداء الأقوياء، وفي الوطنية أوفياء،

فالشهيد أحمد زبانة رحمه الله يذكرنا بأصالة هذا الشعب العربي المسلم وقدرته التي استمدها من تاريخ أمته العربية العريق، الحافل بالبطولات والتظاهرات، وإيمانه المطلق بحقه في الحياة، كل ذلك وغيره كثير، مكنه يومه ذاك من الوقوف بكل جرأة أمام الاستعمار وبكل قواه وبما هيأ الله له من الأسباب ما جعله قادرا على القيام بمثل ما قام به رحمه الله ، في تجسيد ذاك

الخروج الذي لا زال مشهودا له باليوم والشهر والتاريخ، وإلى اليوم هناك وبذاك المكان الذي لا زال شاهدا عليه، يخفي وراءه كل معنى للتاريخ وللوطن، حيث ظل منه يستعجل الأحدث، ويبني الموقف المطلوب الذي يلوح على إعلان ثورة كان نوفمبر أولها، يتوحد فيها الرأي، وتتجمع حولها الصفوف للدفاع عن حق ضاع، ووطن مسلوب، في ثورة شعبية وطنية عارمة، بطلها الشعب الجزائري العربي المسلم، دعا إليها رجال مخلصون وطنيون صلحاء أخيار، ظلوا يهزون المشاعر ويثيرون العزائم في نفوس أبناء وطنهم، إلى أن كان ذاك اليوم المشهود بإعلان الثورة التحريرية الكبرى من شهر أول نوفمبر من عام 1954 للميلاد،

فكان هذا الشهيد رحمه الله بمثابة ذاك الرجل المنقذ، والبطل الذي ملك زمام المبادرة، وأدى الأمانة حيث يجب أن تؤدى، فارتبط اسمه بمواقف البطولة والفدا لأنه سجل الواقع الذي كان مثالا حيا لدفع الشعب إلى التضحية والتحريض على الجهاد في نصر أو استشهاد، فاختاره القدر أن يكون أول شهيد رحمه الله، فلب النداء ولب الطلب بهذا المكان الذي شكل منه البداية لاسترجاع ثقة هذه الأمة بنفسها، وبأنها قادرة على دحر عدوها واستعادة أرضها مهما كان الطلب وكيفما كان الثمن،

وها هو اليوم رحمه الله يترك كغيره من شهداء هذا الوطن بصمات الحقيقة التي طبعت ولا زالت تطبع كأبعاد للثورة التحريرية الكبرى من عام 1954 للميلاد بكثير من أهدافها وغاياتها، وفي مواطن الجهاد والكفاح والصمود والمقاومة، وتكاثف مشروعية الدفاع من أجل حياة حرة كريمة، لا من باب الجهاد أو الاستشهاد فحسب، بل كذلك من باب البناء والتشييد، والعمل الجاد بالنهوض بمستقبل هذه الأمة فكريا وثقافيا، علما وتعليما، ولن تنس أبدا هذه الديار - ديار القعدة - يومها ذاك الذي خرج فيه أحد أبنائها ثائرا معلنا الثورة ضد

الاستعمار الفرنسي بإطلاقه أولي رصاصة التي كانت يومها على مستوى الوطن من عام 1954 للميلاد، حتى كان فيها أول شهيد أمة ووطن رحمه الله، التي أصبح بها تاريخه كنقطة التماع في سجلها الثوري والجهادي، ومرتكزا من مرتكزاتها الوطنية الذي اغتاله يد القدر بتاريخ 19 من شهر جوان من عام 1956 أي غداة انطلاقها،

ولا زال المكان الذي خرج منه ثائرا بأرض القعدة من بادية امهاجة شاهدا عليه، وهذه صورة حية عن تواجده الأصلي الذي لا زال يحامل معه اسمه [85] الذي لا يعرف إلا به عند الأجيال ومنذ لآلاف السنين، وحتى اليوم من عام 2020 للميلاد،

غار بوجليدة أو (غار بن افريد)

[85] أنظر كتاب (أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر) للشيخ الطيب المهاجي، مصدر سابق،،

وبهذا المكان المعروف بـ (غار بوجليدة) الذي لا يبعد عن القعدة مركزا إلا بمسافة لا تتجاوز الكيلومتر الواحد أو أقل من ذلك مشيا على الأقدام، تم اعتقاله رحمه الله في يوم عصيب لم يشهد له التاريخ مثيلا، وأمام مسمع ومرأى من الجميع قادوه إلى السجن وهو مكبل معصب العينين، وقد شابه الكثير من الشائعات والمبلغات من التي عادة ما يولع الناس بذكره في مثل هذه الظروف، لكنهم غير مستبعدين في ضوء ما أصبحت تتحلى هذه الأمة من طبيعة العداء القديم الذي أخذ ينتقل معها جيلا بعد جيل وفي سنين، وعيا منه من هدف الاستعمار الذي جاء من أجله، الذي لا ينحصر في نطاقه المادي المحسوس فحسب، بل تعداه إلى قيمة أخرى أكبر من ذلك بكثير، هي القيمة المعنوية التي لا زال يتباهى بها فخارا جهارا، في تطور عجيب وأسلحة هائلة وعملاء وجواسيس منتشرون هنا وهناك، يدأبون على بث الكثير من الشائعات والأساطير بين الناس ويحلفون بالله وبغيره على صحتها، حتى خيل إليه أنه بات من المستحيل أن ينازعه أحد في ملكيته لأرض الجزائر، ولكنه ونتيجة لما كان عليه الشعب الجزائري يومئذ من وعي وإدراك وقيمة معنوية في شجاعة وقدرة على المقاومة والجهاد الذي لا يمتنع عنهما إلا من كان لها نصيرا، أو ضعيفا جبانا،

والفضل في ذلك يعود إلى دور العلماء وحفظة كتاب الله الذين كان لهم اليد الطولي في تثقيف الناس وتوعيتهم في تأييدهم للثورة والجهاد ضد (الكفار) حتى بات هذا المصطلح يجري على ألسنة الناس داعين لمحاربته والخروج للجهاد حتى نزول غائلة الكفار،

وأمام رفع كل هذه الأصوات التي باتت تنادي للجهاد دفعا لطرد المستعمر الكافر من الوطن الذين بات ينتهك الكثير من حرماته، وظهرت هناك شخصيات وطنية محترمة وعلماء ووجهاء، تحادث الناس في كثير من أمور الإسلام والجهاد

في سبيل الله والوطن، الذي رأت فيه فرنسا يومئذ انقلابا حاسما سيمس مختلف نواحي حياة استقرارها، كل ذلك كان يجري بين فئة ترضى به وأخرى تتبرأ منه،

كل ذلك وغيره كثير كان بالنسبة لنا ونحن صبية عبارة عن أقاصيص امتلأت بكثير من الغلو من الذي خلقته مخيلة القوم أو نشأ من تناقل الأخبار التي عادة ما تنتقل من رجل لآخر صدقا أو كذبا، وقد التفتت حولها الكثير من الزوائد،

وقد هب الجميع إلى نصرة الثورة مصدقين بها تصديقا لا شك فيه، ونحن بعد في سن لا تؤهلنا في فهم ما يجرى من حولنا إلا ما كنا نسمعه عنها من كبارها من بني العمومة،

لقد كنا يوما تلاميذ نتابع الدرس بالمدرسة الفرنسية حتى جاءت الدعوة إلينا من طرف الحارس بالتجمع بساحتها الكبرى وإذا برجل يعتلي المنصة التي عادة ما يظهر عليها السيد المدير أو من يقوم مقامه ليحدثنا عن ظروف اعتقال الشهيد (أحمد زبانة) وهو مكبل بسلسة من حديد، وقد حرك منظره في نفوسنا جوانب حسية ووطنية جد هامة، هزت مشاعرنا وأثارت عزائمنا بشيء من أصالة الوعي بمدلوله المشهود في تسيير واقع الأحداث التي كانت تفرضها فرنسا يومئذ على الشعب الجزائري باحتلالها لأرضه وبما تخفيه وراءها من حجاب سميك من المكر والخداع في تقويض آمال هذا الشعب وتفكيك وحدته وعزائمه،

وقيد إلى السجن في عربة مصفحة لا يعلم أحد ما بداخلها، ووراءه عدد من الجند تحمي موكبه لا تحصى ولا تعد في يوم رهيب وحزن عميق، حيث لقي من التعذيب ما أوصله إلى الاستشهاد رحمه الله،

وهناك غير بعيد وبديار القعدة وبالذات بقرية أولاد سيدي الفريح المهاجي، شهيدٌ لها أحرز السبقَ في تاريخ الثورة الجزائرية كما كان لهذا الشهيد ـ أحمد زبانة ـ ونال الشهرة الوطنية في الاستشهاد، هو الشهيد الذي سجله التاريخ في سجله الثوري والجهادي ـ كشهيد بلا قبر ـ هو زدور محمد ابراهيم القاسم ، الذي اغتالته يد الأقدار بتاريخ الرابع من شهر نوفمبر من عام 1954 للميلاد أي غداة انطلاق الثورة التحريرية وفي يومها الرابع ليس إلا، فكان استشهاده رحمه الله، حيث كان لها هذا الابن الذي كان يحمل كفاءة علمية عالية السند، باعتباره كان حاصلا على شهادة الليسانس يومها من جامعة فؤاد الأول بالقاهرة بعد أن أخذ علومه الأولية على يد والده الشيخ الطيب المهاجي رحمه الله، وكان له شرف المشاركة في تحرير كلمة أول نوفمبر التي كانت شهادة إعلان لانطلاق الثورة الجزائرية التي أذيعت من صوت العرب يومها من القاهرة، باعتباره كان أحد قيادييها التي كانت تضمه إليها ثقافته ونضاله وتحركه الوطني والسياسي، إلى جانب عدد من القادة السياسيين الكبار يومئذ، وفيهم على سبيل المثال: السيد الرئيس أحمد بن بله، والسيد آيت أحمد، والسيد خيضر، وآخرون، وقد ثبتنا شهادة هذا الحق له في كتابنا الذي أتينا فيه على سيرة هذا الشهيد، النضالية والسياسية والثقافية والعلمية، على لسان قادة كبار ممن هم لا يزالون على قيد الحياة، أمثال المجاهد الطيب ابراهيم عبد الغني المدعو (سي توفيق) الذي تولى قيادة المنطقة الخامسة غداة الثورة الجزائرية[86]،

[86] أنظر كتاب (الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر) للدكتور قدور ابراهيم عمار المهاجي، مصدر سابق،

لحق لهذه الديار اليوم كذلك وبهذه المناسبة التي تصادف إحياء ذكرى شهيد الوطن ـ البطل أحمد زبانة ـ رحمه الله الذي اعتبر يومها كأول ظاهرة من ظواهر الاستعمار الوحشية في الاستشهاد التي لم يسبق لها مثيل، حيث تم اعتقاله بعد أيام قلائل من دخوله أرض الوطن في مهمة كانت له كلف من أجلها من طرف القيادة الثورية السياسية يومئذ بالقاهرة، التي كان يمثل رأيها وتوجهها السياسي الثوري والعقائدي، في إصلاح ذات البين التي ظهرت بوادرها في كثير من نقاط الخلاف بين القيادتين السياسية في الخارج، والثورية في الداخل،

وبعد اعتقاله رحمه الله وتعرضه لأشكال التعذيب والتشويه الجسدي والتنكيل الخلقي، وبكل ما أمكنها من وسائل وطرق لاستنطاقه لكنها عبثا ما حاولت، حيث ظل رحمه الله، على عهده كاتما للسر، وفيا للعهد، حتى أتت على آخر نفس فيه، فرمت به جثة هامدة في عمق البحر إيمانا منها بأن يلتقمه الحوت ويضيع أثره لدى الرأي العام الوطني والخارجي الذي ظلت صحفه تتحدث عن أخباره، بعد أن لف جسده الطاهر في كيس ووثقته بأسلاك من حديد، حتى لا تترك لجريمتها آثارا للعالم يذكر، لكن الله أراد أن يكشف صنائعها وأعمالها الوحشية، فأخرجه البحر بكامله صفة غير منقوص، ولن يمس جسده ماؤه الطهور بسوء، وقد تحدثت عنه يومها الكثير من صحفها في تبرئة منها لنفسها من جريمتها تلك،

فكان استشهاده بهذه الطريقة وفي هذا التاريخ بالذات مفخرة من مفاخر الوطن من التي لا زالت تُثَبِّتُ نفسها في أذهان وقلوب هذه الأمة، التي ظلت تؤكد بها اندفاعها في استعادة مجدها الذي أغرقته تعاسة القرون التي مرت بها الجزائر في كثير من إحنها وثوراتها ومقاوماتها، حتى كان لها هذا اليوم الخالد، الذي نحيي فيه ذكرى هذا الشهيد (أحمد زبانة، في تاريخه المجيد الحافل بالشهادة

والروح الوطنية،) رحمه الله كرمز لشهداء الوطن، الذي أصبح موئل صدق وشهادة حق لهذه الديار في القدرة على صدق أهلها وأناسيها التي سجلت فيها السنون الكثير من صور الأبطال في سجلها التاريخي ومآثرها من التي لا زالت تدعو أهلها ورجالاتها وأطفالها وبنيها ومواطنيها إلى تعظيمه والافتخار به، وبمعانيه الصادقة، وحقائقه الثابتة من التي لا زالت أعرافها للباحثين مركز دفع وحركة انطلاق، ومجال ثبت وتحقيق، كمادة يظل يستكمل بها هؤلاء الباحثون والكتاب المؤرخون عناصر بحثهم، ويحددون بها أبعاد مجالاتهم،

فبهذه المادة التاريخية التي تتوافر عليها أرض القعدة، وبهذه المعطيات ذات التوجه الوطني والعقائدي السليم ـ ظل إيمانها يزداد، وظلت عزيمتها تتقوّى وتشتد يقينا، بأن كل عصر يتصل بما قبله اتصال البنوة بالأبوة والوارث بالموروث، ولن يتحلل الخلف أبدا من آثار الخلف الصالح وإن هو حاول، وفقا لأداء حاجات أبنائها في معرفة تاريخها ورجالاتها من العلماء الصلحاء الأخيار والشهداء الأبرار، والمجاهدين الأحرار، وقادة سياسيين محنكين أبطال، من الذين لم تقع عليهم بعد أعين الباحثين والكتاب المؤرخين بشيء من التوسع والامتداد التاريخي، من حيث الإلمام ما يجب الإلمام به،

وبذلك أقول: لقد جعل الله عز وجل لكل أمر قدرًا وبوأ له موضعا كما جعل لكل دهر رجالا، ونحن من رجالات هذا العصر، في أبعاده، فإن لم تصبنا مصيبة الجهل لا ينبغي السكوت، لأن شر الجهل أن يُطْوَى حقا يمكن أن يذاع،

فهذا هو الشهيد ـ أحمد زبانة ـ الذي أتيت على ذكره في هذه السطور للإحياء والذكر والعظة والعبرة، للذين صنعوا تاريخهم بأيديهم وذكرهم الله فيمن عنده فقال: "(من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه

فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا")[87] وقال عز وجل:("فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا")[88] وقال عز من قائل(" ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون")[89]

وقد أسست له الدولة الجزائرية معلما تاريخيا رحمه الله بالمكان الذي ظل يختبئ فيه حتى موعد إيذان انطلاق الثورة التحريرية الكبرى من شهر أول نوفمبر المجيدة من عام 1954 للميلاد كما خطط لها من قبل مفجريها، اعترافا منها لتاريخه الثوري، ولأرض القعدة التي أوته في أيام ليست بالقليلة، رغم علمها بكثير من الأمور التي جاءت به إلى هذا المكان، حيث ظلوا يمدونه بكل ما يحتاجه من أكل وشرب وطعام، وقد ظلوا معه ثابتين على طبيعتهم البدوية التي لا يعرفون فيها تبديلا ولا تغييرا،[90]

---

[87] الآية: 23 من سورة الأحزاب

[88] الآية 69 من سورة النساء،

[89] آل عمران الآية: 196 و 170 ،

[90] أنظر جريدة الجمهورية في عدديها .../ ... بتاريخ 5 رجب من عام 1431 هـ الموافق لـ 19 جوان 2010 للميلاد، و ../... تحت عنوان (قصيدة شهداء الجرية) تابعة لمقال نشر لي بمناسبة الذكرى الـ 54 لاستشهاد (زبانة) تحت عنوان ـ القعدة تتذكر بطلها ـ ،

تم تدشين هذا المقام التذكاري بأرض القعدة من عام 1967

للميلاد، من طرف وزارة المجاهدين،

كتاتيب قرآنية، ومساجد دينية،

بعد تربوي وتواصل ثقافي

لقد انتشر بأرض المغرب العربي عبر تاريخه المديد، والجزائر بخاصة تشجيع الحركة العلمية والتعليمية للقرآن الكريم، كحركة تعليمية ثقافية مشعة لبث الدعوة الإسلامية وتثبيت قواعدها الروحية، عن طريق الإملاء والإقراء في مساجد وكتاتيب قرآنية آخذة وبكثير من أسباب التحفيظ القرآني في قراءات متعددة، والتعليم الديني في أساليب متنوعة، من التي كانت سائدة لأعمالها يومئذ، وقد اختلف على بيوتاتها أكابر أهل العلم وحفظة كتاب الله، من شيوخ صلحاء فضلاء، صبورين على إخلاق الطلبة، حريصين على فائدتهم وانتفاعهم به،

لقد كان طلبة العلم وحفظة كتاب الله يومئذ ينتخبون لأنفسهم من المساجد والكتاتيب القرآنية في سبيل الإقامة بإحداها، وذلك لما توفره لأهله من درس نافع، وحفظ ميسر، وجرايات حسنة، وقد كان لسكنى هذه البيوتات آداب خاصة مرعية تعارفوا عليها،

حتى أنها أصبحت تشكل قاعدة عامة تكفلتها معظم البيوتات في عصور متعددة، حتى بلغ الأمر في العمل على فصل المسجد على الجامع، الذي لا يقل تشابها للمسجد من حيث الشكل والبناء، وقد اختص الجامع فيه أهله بتحفظ القرآن الكريم والمسجد في مدارسة العلوم اللغوية والفقهية ليس إلا، وقد اختص في تناولهما كافة الطبقات من أطفال وصبية وشباب وأصناف أخرى كثيرة، ولهما من الشيوخ ما يناسب التحفيظ والتلقين، والدرس والتحصيل،

وظل طالب العلم وحفظة كتاب الله على هذا الحال زمانا، لم يطرأ على نظامهما مما طرأ على غيره من تغيرات جليلة، وتبدلات توفيه حقه، حتى جاءت

المدارس الحديثة بأنظمة تكفل لمنتسبيها جميع حاجاته للإقامة وللدرس والتحصيل، الأمر الذي قلل من فرص التوجه إلى تلك البيوتات التي كانت تجمع بين ثناياها مساجد كتاب الله وجوامع التي ظل يختلف إليها طالب القرآن عصورا أطول من عصور هذه المدارس التي أوقفت عليها الدولة أموالا طائلة، وأحاطتها بعظيم القدر،

ولكنه وفي ظل ما كانت عليه الكثير من المدن والقرى والبوادي من أرض الجزائر، وإيمانا منها في المحافظة على هذا النوع من التعليم، ونتيجة للدور الذي ظلت تضطلع به هذه الفئة من حملة كتاب الله وأهل العلم امتلأت أرض القعدة كغيرها مما وجد بالكثير من الرجالات الثقات، والعلماء الأثبات، من الذين جاءت أخبارهم في ملإ من الناس من الذين حافظوا على سيرتها ودونوا عملها وآثارها، ولم نقف لهم اليوم على آثار غير ما كانوا عليه من وسيلة لنشر تاريخ أمتهم العربية الإسلامية وتعميم علومها وآدابها والدعوة إلى الجهاد،

ولكنه اليوم وقد انمحي آثار هذا المكان أو كاد، بسبب ما أصابه من حطام مادي ومعنوي عبر زمانه البعيد، في أحداث لها صلة بكثير من صروف الدهر وأثقاله، وبخاصة منها زمن الاستعمار الفرنسي الذي كان له الأثر الكبير في محاربة هذه المعالم الثقافية المتمثلة في المساجد والكتاتيب القرآنية لما كانت تسببه له من قلق وإزعاج كبيرين، من حيث توافرها على علماء، هم في الوعظ والإرشاد فقهاء أخيار، والدعوة إلى الأخلاق الحميدة، وإلى الجهاد سرا وعلانية، حتى باتت ترى فيها خصما مبينا، وعدوا لدودا، ويأتي في مقدمة هذه المعالم الثقافية، مسجد سيدي الطيب بالفريج المهاجي رحمه الله الذي لازال يعتبر أول مسجد أسس على أرض القعدة[91]،

حيث أصبحت بقاياه تعبر بحق عما آل إليه حاله، من وضع مزري يرثى له، حتى بات يكون التباسا تاريخيا عند الباحث والقارئ عند استعماله بمعناه الديني التعليمي والتربوي،

وهذه بقايا من بقايا هذا المعلم التاريخي الشهير،

ببيت أولاد سيدي الحاج بن عبد الله بالفريح المهاجي،

وهو مسجد[92] لا زالت آثاره تشي بأسرار عظيمة جراء رحلته الطويلة في كثير من أبعاده الدينية والتعليمية، حيث كان هذا يمثل في محيطه يومئذ مكانة علمية عالية السند في علو علم وأعظم مكانة،

92 أنظر كتاب (أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر) ص: 103 وما بعدها) مصدر سابق،

في حسن ذكر وتقدير، وذلك بما كان له من عظيم الآثار، من حفظ للقرآن الكريم، وتعليم علومه، وقد جعله الله سبحانه وتعالى ميراثا في الأخلاف والأعقاب،

وقد جمعت به أرض القعدة كمالها وجمالها في كثير من محاسن وفضائل، وبما أنجبته من شيوخ فضلاء، وفقهاء أجلاء، كانوا لها في العلم والدرس والتحصيل، وآخرون في الجهاد والنضال، حتى باتوا به في الذكر مشهورين، وفي المقاومة والجهاد والوطنية مذكورين، ما جعلها تواكب عصور زمانها في كثير من أبعاده العلمية وآفاقه، لولا ما أصابها من دمار وتخريب وشتات، بعد أن أتى عليها الاستعمار الفرنسي غداة احتلاله لأرض الجزائر من عام 1832 للميلاد، نتيجة وقوفها إلى جانب مقاومة الأمير عبد القادر، ليجعل منها أثرا بعد عين، في معركة تركت خلفها العديد من الأرامل والشهداء، ومن الأسرى والجرحى كذلك [93]، فأصابها التشتت والضياع لم تستطع بعدها لملمة جراحها، إلا بعد أن أعاد الاستعمار سياسته اتجاه العديد من هذه البيوتات التي وقفت إلى جانب الأمير عبد القادر، فعادت إليها روحها من جديد، على يد الشيخ سيدي الحاج محمد بالفريح رحمه الله، فأحياها بالعلم والعمل ثانية، وأخذت تستقبل وفودها في عز ونشاط من فقهاء العلم القادمين من بلاد المشرق العربي وأرض الوطن والمغرب الأقصى والأندلس، في زيارات تكاد تكون حاضرة على الدوام، هدفها التبادل المعارفي والتواصل الثقافي، وفي كل ما استجد منها على الصعيدين العربي والإسلامي، المبنية على أساس من الطاعة والاحترام والاعتراف بالآخر،

---

[93] أنظر كتاب (الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر) ،ص: 59 وما بعدها، مصدر سابق،

لقد واصل هذا المسجد رسالته بعد وفاة صاحبه الشيخ سيدي الطيب بالفريح المهاجي رحمه الله، الذي ورث العلم عن جيل خيّرٍ من العلماء وبكامل مروياتهم الثقافية وتآليفهم العلمية، حتى اشتهر بها ذكره بأرض القعدة[94] في سنين، وقد وصفه الشيخ الطيب المهاجي رحمه الله في كثير من أماكن دروسه وكتاباته، فقال عنه رحمه الله(.. أنه كان سيد[95] وقته، وإمام عصره، في كثير من علوم الدنيا والدين، وتواضعه لأهل العلم ومريديه، وشدته على أهل البدع والخرافات، وساقها أحسن مساق في حسن سيرة وآداب،)

ما جعله يكون محطة الزاهد بزهده، والعالم بعلمه، عظيم الأثر، عالي الاسم، كما جاء في قول أحد شيوخها الأفاضل من أولي النباهة والحكمة والعفة والدين، قوله:[96] (.. هو بيت لا زالت تتسلسل على مشيخته الدينية والعلمية أبناء فضلاء، كانوا لها أعلى مكانة علم وجاه، حتى نالوا بها أبلغ الدرجات، في أدب وعلم، تنويرا للعقول والدعوة إلى طاعة الله ورسوله،)

إلى أن غير الاستعمار سياسته العدوانية ثانية، اتجاه هذه البيوتات، في العمل على إغلاقها ونفي علمائها وفقهائها إلى أماكن بعيدة من الوطن وإدخال البعض

---

[94] أنظر ترجمته ص: 64 من هذا التأليف، وكتاب أنفسس الذخائر وأطيب المآثر ، ص: 45 وما بعدها،

[95] أنظر كتاب (أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر) ص: 103 وما بعدها)

[96] أنظر كتاب الأحكام في ذكر الأعلام من الشيوخ والفقهاء وأرباب الكلام للشيخ الجليل العلامة الهادي بن محمد بن عبد الله بن عبد القادر المكي الوازاني السني المتوفى عام 1317 للهجرة ص: 10 من المخطوط، مصدر سابق،

الآخر السجن، وأبقت البعض الآخر تحت المراقبة، حتى غداة اندلاع الثورة التحريرية الكبرى من عام 1954 للميلاد،

ونظرا لما أصاب هذه البيوتات من ضياع وشيوخها من غبن ونفي وتشريد، وقد ضاع منها ما ضاع ما كان لها من تدوين في كتابات تاريخية وتعليقات وحواشي وإملاءات امتلأت بها مصادرهم ومراجعهم، من التي كانت معدة للدرس وتحصيل، يقدمهم في ذلك شيخها الفاضل سيدي الطيب بن سيدي المصطفى بالفريح المهاجي، الذي وصفه أهل عصره،

على أنه[97] (.. كان أخا علم ولغة وأدب، محاورا للعلماء مطارحا للأدباء حتى أنه لم يجد في زمانها من يحاوره أو من يجول معه في ميادين العلم إلا ما شذ، .. أن التعظيم لا يكون إلا لمن عظمه علمه، والرفعة لا تكون إلا لمن رفعه عمله أو حسبه ونسبه)

ونظرا لما أصاب اليوم هذه البيوتات من هدم وضياع حتى أنه لم يبق من معالمها إلا جدران خربة غير متماسكة ولا مترابطة مع بعضها البعض، ووسط فوضي من الهدم والردم، من التي لا تزال شاهدة عليها، بعد أن كانت بيوتات تحمل رتبا علمية عالية السند، فيها من حفظة علوم اللغة والدين، وكتاب الله وسنة نبيه الكريم درسا وتحصيلا، بدءا من أكبرها وانتهاء بآخر فرد من أفرادها، يتهافتون في سباق مع أنفسهم والزمن للحصول على أكبر قدر من علوم المعرفة والدين،

وأما عن صورته الحقيقية فليس أدل حقيقة أكثر مما تراه في صورته المعروضة داخل هذا التأليف، بعد أن كان دار علم وشهرة ونفوذ وجاه، وفي

[97] أنظر كتاب الأحكام الورقة: 25 وما بعدها من المخطوط، مصدر سابق،

كرم وعز وضيافة، ممثلة لنفسها وأرض القعدة بما كان لها من تاريخ، امتلأت به أيامها في كثير من مظاهر العلم والفكر والثقافة والتربية والتكوين، في غرف كانت للمسافرين محط سكنى وإقامة، وساحة واسعة التي كانت معدة للاحتفالات الدينية، وأخرى للطعام والإكرام، حتى باتت تمثل أكبر جانب في حياة ساكني هذه الديار علما وجاها،

ومعالم أخرى كثيرة من التي كانت تتوافر عليها هذه الديار باتت غامضة المآل، شاقة الملامح، باعتبار ما كانت عليه عهودها التي كانت عندها أشد العهود شهرة، مقصدا لحفظ القرآن الكريم وللعلم وطلبته ومريديه، وزوارا كانوا لها على الدوار في تبرك وقضاء حاجات، ها هي اليوم بحق تعيش نسيا منسيا، في خراب وبؤس لم يسبق لهما مثيل، أسقف عارية، ونوافذ وأبواب مهشمة مرمية هنا وهناك، وغرف مهجورة، هي للشارد والوارد ساحات مباحة،

لقد عرفت أرض القعدة من بادية امهاجة تطورا ملحوظا في بناء أمكنة التعليم والحفظ والإملاء والإقراء، ومارست فيها الكثير من تحفيظ القرآن الكريم وتعليم علومه، أو عند من كانوا يسمونه علوم القدماء أو علوم الشريعة واللغة والدين،

ومرجع ذلك يعود في تأسيسها إلى أواخر الدولة الإدريسية من أرض المغرب والأندلس في هجرة كانت أوسع وأشد لكثير من أهل العلم وحفظة كتاب الله، وكان الهدف من إنشائها هو تعضيد مذهب أهل السنة من الذي اتبعته الدولة الإدريسية من أرض المغرب والأندلس، على غرار ما كانت عليه مساجدها الكبرى في اشبيلية وقرطبة وفاس، وهي سياسة اتبعتها الكثير من الإمارات التي انقسمت عل نفسها عن الدولة الزيانية من أرض تلمسان

تعزيزا لكيانها على أرض سلطتها، بعيدة عن حاضرة الأندلس، تدير نفسها بنفسها، والتي بات من حيث الشكل والبناء متشابهة في كثير من أعمالها وإدارتها للحكم، في العمل على توافرها لمحل للصلاة وآخر للتعليم،

وبطول زمن أثبتت هذه المساجد والكتاتيب القرآنية حسناتها للطالب والشيخ معا مكانتها وكبير عملها بما حفلت به من شهرة عالية السند في كثير من أبعادها العلمية والتعليمية، حتى باتت مقصد علم لشرفها، وحفظ القرآن لكمالها،

ومن هذا المنطلق بات بناء هذه البيوتات عند الكثير من أهالي هذه الديار بمثابة مكانة شرف وفخر ومجد مخلد، رحم الله واضعها الأول ومن تبعه بإحسان[98]، إيمانا في الحفاظ عل القيام العربية الإسلام، التي لا زالت تطهر القلوب من كل سوء ليصلح بذلك قبول العلم وحفظ القرآن والاطلاع على دقائق معانيه وحقائق غوامضه، وأن يأخذ نفسه بالورع في جميع شأنه،

ونظرا لما أمها في طول زمن من هؤلاء الشيوخ الأفاضل والأئمة المشاهير من الذين تشبعت عندهم طرق التدريس التي تمكن الطالب من التعلم والتفكير والاستنتاج، حتى بات عندها أسلوب متبعا في منهج عام لدى جميع أهل العلم وحفظة القرآن الكريم حتى أواخر العهد الفرنسي من عام 1962 للميلاد

وهو الأمر الذي جعل من هذه القرى المتناثرة على أرض الوطن أمة واحدة موحدة، تحت راية الإسلام والحرف العربي المقدس، حيث لا زالت هذه الأمة في بلادنا من أكثر الأمم شغفا للقرآن الكريم حبا وتأثرا به،

---

[98] أنظر تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار لابن جبير الأندلسي محمد بن احمد المتوفى سنة 714 للهجرة، وكتاب تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم لبدر الدين ابن جماعة المتوفى عام 733 للهجرة،

لكن ما عمد إليه الاستعمار الفرنسي زمن احتلاله لأرض الجزائر، كاد أن يطمس وجودها لولا لطف الله ورعايته لباتت هذه الأمة نسيا منسيا، في العمل على تجهيل الناس التي كانت لا تعرف من دنياها إلا حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وهو الأمر الذي نجحت فيه هذه البيوتات في العمل على انتشارها عبر القرى والمداشر والأسر والبيوتات يبثون فيها مبادئ الإسلام وتحفيظ القرآن، وتعليم علومه وقيمه العربية الإسلامية، وقد نجحت في ذلك أيما نجاح، ما جعل الوعي الوطني والبعد الثقافي يزداد يوما بعد يوم حتى أصبح الكل مهيئا للعمل على تخليص الوطن من هذا الاستعمار البغيض اللعين المهيمن المتسلط على أرضه الطيبة، وبات شغله الشاغل الذي لا ينقطع ذكره عند كل فرد من أفرادها، الذي ظل به دائم الاتصال حيث لا يخمد له أوار، حتى النصر أو الاستشهاد،

ولعل الفضل في ذلك يعود للدور الذي لعبته هذه المساجد في العمل على تخريج دفعات حفظ القرآن الكريم أو ممن كانوا في التعليم درسا وتحصيلا، حيث دعمت بهم الثورة صفوفها، جنودا كانوا أم قادة، فكانوا لها مددا في عدد وعدة،

وعلى ضوء ذلك وجدت أن تاريخ أرض القعدة في كثير من أعمالها لم يسجل منه إلا القليل النادر، وقد حضرني المثل القائل ساعتها،(أنه ما إن مات لأمة عالمها أو فقيهها مات معه ذكرها إلا من ترك لها إرثا مدونا موثقا معلوما تملأ به صدرها حماسا، ونفسها نشاطا، وأيامها فخرا رائعا قويا..)، مما بعث في النفس إحياء ذكراها وبكثير من الرغبة اليوم أكثر من ذي قبل استعدادا إلى التعريف بها ونفض التراب عن كثير أعمالها من التي ليس لها من الشبه كثير، وقد لفها النسيان، وماتت ذكرها الأعراض والإهمال في سنين، وكذا الحال بالنسبة لأهلها، من الذين كانوا أشد نبوغا وأقوى تفوقا، لعلني بهذا العمل أعيد لها ثوبها

القديم من حيث ما كانت عليه رسالتها الدينية والاجتماعية، بعد أن أهملها أهل التاريخ، لما أصابهم من صراع عقائدي وتصادم فكري، حيث بات مفهوم رسالتهم عند الكثير تختلف باختلاف الحاضر لا باختلاف ما قدمته الشعوب لأوطانها من كفاح وجهاد ثأرا لآبائها وأجدادها،، في أقوام وعصور، ولا تزال هذه الديار تئن تحت جهل الكثير ممن لا يزالون يجهلون ما قدمته هذه الديار للوطن من شهداء كرهوا ذل الاستعمار وأنفوا من ضيمه، وجادوا بنفوسهم الزكية، ودمائهم الطاهرة، في سبيل حقهم والوطن في الحرية والاستقلال،

واليوم وقد أتى جيل من ساكنيها من الذين لا يزالون يجهلون مكانتها الدينية والاجتماعية من التي كانت لها يوما أساسا ومنطلقا عبر زمانها المديد، يوم أن كانت منارة علم في فكر وثقافة ودين، وجاه عريض، ومنزلة سامية حسب ونسبا ، في أعمال صالحة أساسها مساجد وكتاتيب قرآنية، من التي كانت تعج بها بيوتاتها في أصالة ودين، ونتيجة لما أصاب معالمها من إهمال وضياع من التي لا زالت تعبر عن نفسها بنفسها وبكثير من مشاهد تدعو إلى الألم والحزن ، وقد سكنتها أصناف من البشر بكامل عثراتها ونتوءاتها وجهلها، في غير طاعة من الله، وآخرون كانوا فيها من عمل هي للغنم والمعز والدواب كذلك، مما أدى إلى إثارة غضب شديد في نفوس الكثير ممن لا زالت نفوسهم بها كامنة وأيامهم بها ذاكرة، ولولا الإطالة لذكرت ما هي عليه اليوم من عام 2020 للميلاد، التي ضاع فيها كل ما أسلف من أعمال فاضلة، وآثار كريمة،

ولكن تاريخها لن يموت ما دام فيها بقايا أسلاف أدام الله عزهم ومكانتهم، لقول القائل: (وما ماتت من أبقى منها سلالة طاهرة تحيي سُنن معالمها الطيبة وتعمل على شاكلتها في قضاء من الله، الذي هو سبيل يسلكه الأول والآخر، والآتي والغابر،)

وبحق فإن التاريخ لا زال يكتب لها البقاء والدوام من أنها لن ينقطع فيها رجاء العلم أبدا، لما خصها الله سبحانه وتعالى بها من بركة العلم وحفظ القرآن الكريم، إلى هذا اليوم الذي أكرمني فيه الله سبحانه وتعالى بعد عمر من فراقها، بتأسيس هذه الدار القرآنية التي لا تبعد إلا بضعة أميال عن قريتي الصغيرة الأم التي تعلمت فيها القراءة والكتابة وحفظ القرآن على يد مشايخ كانوا حفظة كتاب الله، وجملة من قواعد اللغة العربية وآدابها، والتي فارقتها كغيري ممن فارقها من بني العمومة غداة انطلاق الثورة التحريرية الكبرى من عام 1954 للميلاد،

بيوتات ذات أثر تربوي
ديني ثقافي واجتماعي

وهي بيوتات ارتبط اسمه بتاريخ الثقافة العربية الإسلامية ارتباطا وثيقا، حيث كان هو ألأخرى بيت دين وعلم وتربية وتكوين، حيث ملأ الذهن يوما بكثير من الحفظ والدرس والتحصيل، حتى غدت أيامها عامرة بحملة كتاب وسنة نبيه الكريم، وقد تركت من الخلفة الطيبة جيلا لا زالت بقاياه تحمل في أعماق نفسها ثقافتها التي هي عبارة عن مجموعة من العادات والتقاليد والأفكار النيرة،

ذات الشؤون الدينية والأخلاقية، وبكثير من مركباتها الاجتماعية وخصالها، حيث ظلت متمسكة بتقاليدها البدوية العربية الإسلامية، محافظة على موروثها الثقافي الديني التعليمي والتلقيني، الذي ورثته عن الآباء والأجداد،

وهذه إحدى بيوتات قرية أولاد سيدي الفريح المهاجي، التي لا زالت تعرف بـ : (بيت المرابطين، أو ببيت أولاد سيدي الحبيب المهاجي)[99]، والتي شهدت يوم ميلادي وأعز طفولتي وشبابي، في حال من رغد العيش وجمال السعادة، تحت عوامل نفسية مليئة بمعايير البداوة وطابعها الثقافي والاجتماعي، من التي لا زالت تجعل شخصية الإنساني على النمط الذي نلاحظه فيها عند الكبر في الغالب، حيث يكون نضوج العقل والفكر وسلامة العقيدة،

وهذه صورة معبرة عن وضعها الحالي بعد أن خربها الاستعمار وقطع أوصالها، وتركها أثرا بعد عين، وجعلها كغيرها من بيوتات أرض القعدة من التي أصبحت لا تحمل من المعلومات إلا ما يتناقله الناس جيلا بعد جيل[100]، من عام 1957 للميلاد، غداة الثورة التحريرية الكبرى من عام 1954 للميلاد،

---

[99] أنظر ص: 141، 243 ، 251، 263، من هذا التأليف،

[100] سيأتي الحديث عن هذه البيوتات بشيء من التفصيل في فصل قادم من هذا الكتاب، إن شاء الله

ولعل الناظر المتبصر في مثل هذه البقايا من التي لا زالت تنبئ عن بشاعة الاستعمار وقصاوته من حيث ما تركه من آثار لا تزال بقاياه مكينة في النفس تحاكي زمانها عزا ورفعة ومقاما كريما، الذي بلغت به عز الشريعة وفخرها، وأبهة العلم ومجده، وحفظة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف،

ولقد أطاح الاستعمار الفرنسي بكثير منها بعد أن كانت عامرة بالعلم والقرآن، وجعلت منها دار خراب ودمار حيث باتت اليوم تشكو غربة متألمة لفراق أهلها، حيث كنا فيها صبية نعمر مساجدها وكتاتيبها القرآنية، ننهج فيها نهج كبارها بكثير من التحفز والاستعداد لغد مشرق،

واليوم وإن راحت مع غيابها أحلامنا وتلاشت، لكن أعيننا لا تزال تعيش معها في سنين، ناظرة مستبشرة في كل وقت وحين، أملا في العودة إليها لنحيي آمالنا من حيث ما أحببنا وما أدركنا، لنعمل فيها عمل المعلم والشيخ المربي الذي لا يغيب عن باله أنه كان فيها يوما طالب علم، حتى كتب الله لي بالعودة إليها الذي كان تقبله عندي من الصعوبة بمكان، وقد أطلت التفكير فيه زمانا مترددا خشية قدومي على حال طائش الخطى على نحو ما، ليزداد إيماني به على مرور

الأيام، مؤمنا بأن الأمر ليستقيم لا بد أن يكون شديد المشقة، وقد بات الأمر عندي في أيام أعيشه في أحاسيس هي خليط من نزعات تظل الأوهام في تحديدها،

إلى أن أتاني يوم كنت فيه أسعد الناس فرحا وسرورا، هو ذاك اليوم المشهود الذي تلقيت فيه مكالمة من ابن عم عزيز علي كبير مقامه يطلب من لقاءه بأرض القعدة، وكان اللقاء وقد تناولنا الحديث فيه لأكثر من موضوع في خير ما جادت به قرائحنا يومئذ، وقد أخذ بنا الحديث زمانا حتى أننا نسينا الوقت فيه، ليختم قوله معي يا ابن العم ويا أخي فإننا لسنا بأحسن من الأولين ممن عمروا هذه الديار وابتسم، وقد أحسست ساعتها بأنني أمام نفس كبيرة، قادرة على فعل أشياء ربما عجز عنها غيره، وقال ما رأيك في أن أهديك هدية هل تتقبلها مني واغرورقت عيناه بالدموع، وأخذ بيدي إلى مكان تنتهي به حدود ملكية أرضه، قائلا خذ ما شئت مما يكفيك أرضا، دون أن يحدد لي مستقبلها، وتلك كانت صفة فيه معي في سنين لا يحاسبني على شيء ولا ينقض لي طلبا، ليفتح معي الحديث ثانية لجدال طال حتى أطبق علينا الظلام، وتفارقنا في فرح ما بعده فرح وأنا لا

أزال أشغل النفس بأكثر من التفرس على وجهه الصبوح وصدره العريض وسحنته المحمرة، وقد استجمعت أنفاسي بعده وأنا أقول لقد بنيت لنفسك ولي بيتا يوم القيام، تقبلها الله مني ومنك صدقة جارية إلى يوم الدين،

وها هي اليوم وبعد أن تحقق لي حلمها على أرض الواقع وانتشر خبر افتتاحها بين الناس أخذت الوفود المختلفة من كل جهات الوطن تتوافد عليها إتباعا، ولا زال الناس يتناقلون أخبارها بالحق المبين والوصف المعين لما كانت عليه أرض

القعدة في ذكر لمجدها القديم وكيف كان أهل العلم فيها يتغون بألبان علومها وآدابها،

لقد بلغت النية بها مبتغاها، وتتحقق لها الآمال، بعد أن أصبح المشروع بها إنجازا مذكورا، وعلى أرض الواقع معلوما حافلا بالمسرات والمفاخر، ليحق لي اليوم أن أحمد الله على ما أنعم علي من فضله، وتم افتتاحه في يوم مهيب، وقد عمت فيها الفرحة أرض القعدة بكامل ربوعها استبشارا بالإحياء لمآثر الآباء والأجداد،

وقدْ قَدِمَ إلى هذا الاحتفال جَمْعٌ غفير من ربوع الوطن كله، جاؤُوا في كلِّ رَكْبٍ بهيج، من مختلف الأصناف من مشايخ زوايا، ومساجد كتاب الله وأئمة، وأعيان البلاد، وطلبة علم وجملة كتاب الله، وأساتذة جامعيين، وشباب البلدية وأطفالها، والكلُّ يحلم أن تكون هذه الدار منارةَ علم في درس وتحصيل، وتربية وتكوين، لهذه البلدية، وزيادة نهوضية في الجزائر عامة،

كان الافتتاح في صبيحة يوم الخميس 17 من شهر شعبان 1436 هـ، الموافق 11 جوان 2015 للميلاد، وكانت مراسيم الاستقبال تسير على خطة البرامج المسطر لها في التحضير الذي أعده الدكتور قدور ابراهيم عمار المهاجي بحضور ومشاركة السلطات المحلية، بعد إشعارها مَسبَّقاً، و قد هيأت السلطات المحلية كلَّ مرافق الاستقبال في ظروف طيبة ملائمةٍ،

وقد تزينت الطرقُ المؤديةُ إلى دار القرآن الكريم بالأعلام الوطنية، تعلوها صورة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة حفظه الله ورعاه، في مشهد كبير على جُدُران الدار،

وتم الاستقبال عل سبيل ألتدشيني باستقبال ضيوف الدار بالتمر والحليب في ساحة الدار الكبرى التي تتربع على مساحات شاسعة، وفي فنائها تلاحقت

الوفود التي جاءت من كل حدب وصوب ممثلة لولايات الوطن، واجتمعت الضيوف والأعيان وأبناء القرية ورجالاتها، وبعدها دخلت الوفود إلى حرم الجامع الذي يتسع في طابقيه إلى ما يزيد على 900 (تسعمائة مصلِّى)،

وقد عرف الجامع زخارفَ ذاتَ بهاءٍ وجمالٍ، زَادَهَا النقش الأندلسي المغاربي أصالةً ورونقاً، وتعالت أصواتُ الطلبة وحفظت القرآن الكريم، بالقراءة الجماعية للقرآن الكريم، مُفْتَتِحِينَهُ بسورة الفاتحة، ثم سورة البقرة، ثم المواصلة بالحزب والحزب الذي يليه، حتى جاء وقت الافتتاح الرسمي الذي تضمن جدولا مليئا بالكلمات الطيبة والمحاضرات ذات البعد التاريخي والإنساني لأرض القعدة الذي سطع نورها يوما وتلألأ شروقها علما وجاها،

دار القرآن الكريم لتعليمه ومعرفة علومه
لمؤسسها الأستاذ الدكتور قدور إبراهيم عمار المهاجي الإدريسي

آملا من الله أن يكون لها الأثر العميق والفتح المبين في تكوين الأجيال بروح من التربية الدينية والســلوك القويم، تبعا لســيرة الآباء والأجداد، حتى تكون لهم خير اطمئنان في إتباع منهج سلفهم الصالح، سعيا مني للحفاظ على أخلاقية القرآنية الكريم، وسنته النبوية الشريفة، كما كان للأسلاف من قبل،

وبما أن تاريخها لا يزال مشهودا له في كثير من أيام كانت لها واسعة المعارف بوسع من تحفيظ للقرآن الكريم وتعليم علومه، ما جعلها تتخذ لنفسها أماكن لهذا الغرض تحت مسميات مختلفة أساسا ومسارا، لا زالت تصل بها جذورها بماضيها البعيد،

وقد أعطاها الله سبحانه وتعالى العديد من البيوتات نعمة منه وفضلا، من التي ملأت صدور أهلها انشراحا، في علم نافع وعمل صالح، ومقام كريم، كانوا فيها عُدَّة الإسلام، الباذلين نفوسهم في إظهار دينه القويم، وإعلائه علما وعملا، حتى بات فيها من المساجد ما لا يحصى عددا، وهم على التوالي:

وفيها مسجد ـ دوار المصاطفة ـ

لشيخه الفاضل،سيدي الميلود بن ابراهيم المهاجي رحمه الله

الذي انتدب إليه لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم علومه، بطلب من أحد أعيانها، فوقع الإذن عليه بتوافق من أهله وبني عمومته من أولاد سيدي الفريح المهاجي لما كان له عندهم من مكانة عالية القدر، في حفظ القرآن الكريم، ملما بناسخه ومنسوخه، مجودا له مشاورا، قائما بالروايات في أحكامه ومقاصده، ولا يزال بها محمودا لديهم محببا إليهم حتى وفاته المنية رحمه الله، ودفن في مقبرة سيدي سليمان التي تتوسط أرض القعدة،

لقد كان رحمه الله سراجا تستضيء به القلوب، معروفا بأسباب ما أعطاه الله سبحانه وتعالى من قريحة صافية، وعقل سليم وذاكرة وافرة المعارف، في تقوى وورع وعفة، ، وقد تقرب منه أهل القرآن وخاصته للأخذ عنه والتبرك به، في سنين وسلمت له العامة، وقد كانت أيامه بها خيرا وبركة، ونور أضاء به الكثير من عقول أهل هذه القرية، بما كونه من جيل حفظة القرآن الكريم، وقد علا قدره بها وفاق، حتى غدا بها مشهورا، ومن أهل الرتب الشريفة موفورا، وقد

نقل عنه جمع كبير من تلاميذه وطلابه، أبوابا كثيرة من مخزونه العلمي، في واسع أخبار وروايات[101] وقد ترك من بعده خلفا له في العلم والجاه،
ولا زال هذا المسجد وإلى يعيش ظلما في هجر ونسيان، بعيدا عن كل ابن غيور أو وطني مخلص، لإعادة ترميمه أو العمل على إحيائه ،

وفيها مسجد - العرايبة -

نسبة إلى مؤسسه الأول سيدي العربي بن مفلح بن ابراهيم بن عبد القادر بن ابراهيم المهاجي

الذي كان الفضل في بناء هذا المسجد للشيخ الفاضل سيدي العربي بن مفلح بن ابراهيم رحمه الله، رفقة جمع من أهله وبنيه، وقد أثبتت الروايات أنه كان ممن يشهد لهم بكثير فضل وحسن نبل، من التي ظلت يمتد عنده في كثير من الصلة والتقارب مع أهله وبني عمومته من أولاد سيدي الفريح المهاجي، في محاسن فضل وعقل ودينا،

---

[101] أنظر كتاب الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر) للدكتور قدور ابراهيم عمار المهاجي، مصدر سابق،

وهي قرية لا زالت تذكر باسم صاحبها المؤسس لها المعروف بالسيد سيدي العرب بن مفلح بن عبد القادر بن ابراهيم المهاجي الذي اتخذت من اسمه علما لها فسميت كذلك، وقد أحصيت فيها عددا من الشيوخ[102] ممن كانوا أكثر حفظا للقرآن الكريم وإلماما بعلوم الشريعة وأصول الدين، عدد ساكنيها أبا عن جد، توزعوا فرادى وجماعات في أسامي وألقاب مجتمعين فيها حول أب واحد من الأجداد،،

لقد تابعت هذه القرية مسيرتها الدينية والتربوية في عادات وتقاليد كغيرها من قرى أرض القعدة من بادية امهاجة، من التي كانت أكثر دأبا في طلب العلوم الدينية واللغوية، والتنافس عليها، حتى باتت مركزا من مراكز الثقافة العربية الإسلامية في زمانها،

لقد شرفت بزيارتها غير ما مرة صحبة والدي رحمه الله الشيخ سيدي الحاج محمد الشيباني بالفريج المهاجي رحمه الله، حيث كانت تربطه بها رابطة نسب وحسب،

وقد حظينا يوما باستقبال حار، في عدد من شيوخ وطلبة كانوا أشد انكبابا على طلب العلم وتنافسا فيه، في مسد لم يسبق التعرف عليه من قبل، لكنه كان جديدا بالنسبة لي رغم بساطته إلا أنه كان يحمل اسم مسجد بدلا من الجامع المتعارف عليه في قريتنا، ولا زلت أذكر ترحابهم الشديد وما قدموه لنا من طعام وشراب جزاهم الله عنا خيرا،

---

102 أنظر مبحث (التوزيع القروي في تعدد نماذجه) ص: 218 وما بعدها من هذا التأليف،

وأخيرا ليس عندي فيما عددت وسردت ، إلا ما كان لي من أخبار وروايات التقطت أخبارها من معادنها الشريفة وأصولها الكريمة، ولكل طالب غاية، وغايتي أنني سأبلغ في مداها مناي،

وفيها مسجد أولاد سيدي الفريح المهاجي

نسبة لمؤسسه سيدي الفريح محمد بن ابراهيم المهاجي

وهو مسجد[103] نطق الشرع والدين فيه مبكرا، في صلاة تجمع، ومنبر يرفع، في سالف أزمان، بفضل ما أعطاها الله سبحانه وتعالى من شيوخ فقهاء وأبناء نجباء لا زالوا يمثلون حياتها أساسا ومسارا من الذي انطلقت به أيامها الثقافية والفكرية من التي لا زالت تصل به جذور أبنائها الماضي بالحاضر، المرتبط في أعماقه مع الزمن عبر عصورها البعيدة، من التي لا زالت تشي بأسرار عظيمة في واقع علمي واجتماعي متطور ملموس، لولا ما أصابها أرضها من دمار وتخريب

---

103 أنظر كتاب (الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر) ص: 23 وما بعدها مصدر سابق، وكتاب تاريخ امحاجة بين المدلول اللغوي والرسوخ الجغرافي والامتداد التاريخي،ص: 83 وما بعدها،

من عام 1932 للميلاد على يد الاستعمار الفرنسي، وكذا أيام الثورة التحريرية الجزائرية الكبرى من عام 1957 للميلاد ليجعل منها وحتى اليوم نسيا منسيا، في معركة تركت خلفها العديد من أبنائها شهداء وأرامل وجرحى ومنهم من وقع في الأسر وساالبقية مهاجرة حتى اليوم من عام 2020 للميلاد،

وبطول زمن أخذت هذه القرية وبعد مؤسسها الأول سيدي الفريح المهاجي[104] مسميات كثيرة، عند أهل العلم وتبنتها القرى المجاورة لها لما فيها من بعد تاريخي ديني ثقافي واجتماعي،

منها بيت امهاجة، وبيت العلم، وبيت المرابطين، وبيت القرآن، وبيت الأشراف الأدارسة،ثم ببيت السنة، إلى غير ذلك من التسامي التي ظلت تلحق بها إعجابا وبأهلها تقديرا واحتراما،

وهي قرية تقع إلى الجنوب الغربي لمدينة وهران وتبعد عنها بما يقرب من 40 كلم ويحدها من جهة الجنوب مدينة معسكر، ومن جهة الشرق مدينة سيق، ومن جهة الغرب عين البرد ومدينة سيدي بلعباس، وقد أورثت هذه الأسرة أبناءها أبا عن جد العلم وحفظ القرآن الكريم، وقد أسسوا لأنفسهم جامعا عد ساعتها من المساجد الفقهية المالكية الكبرى لغرب الوطن، يدرس فيه طالب العلم علوم القرآن وفقه مالك، على يد

فقهاء وعلماء أفاضل من شيوخ القرية ورجالاتها أمثال الشيخ الطيب بن بالفريح المهاجي صاحب الدرة الوهاجة في نسب سيدي الفريح من آل امهاجة الأدارسة الحسنيين، والشيخ سيدي محمد الشيباني المهاجي، والشيخ سيدي

---

[104] أنظر كتاب الأحكام في ذكر الأعلام من الشيوخ والفقهاء وأرباب الكلام، للشيخ العلامة الهادي بن محمد بن عبد الله بن عبد القادر المكي الوزاني السني، الورقة: 36 وما بعدها من المخطوط، تحت رقم أ/43 . م .م خ،

عبد القادر بالفريح المهاجي، والشيخ الطيب المهاجي، وآخرون، كانوا فيه من أشد الناس انكبابا على طلب العلم وتنافسا ، وتلك هي الغاية الأسمى التي ظل يسعى إليها أبناؤها،

وفيها مسجد الحمايدة (الفواقة)

لقد تأسس هذا الجامع كغيره من الجوامع القرآنية التي شهدتها أرض القعدة إما بسبب ما تعارفت عليه من غيرة وتنافس، في مثل هذا الصنيع الخير، أو كان لها وراثة عن طرق سلفها الصالح، وهو صنيع عميق الجذور عند أهل القرآن من أرض القعدة، لتعليم أبنائها القراءة والكتابة وأداء الصلوات الخمس وللعبادة كذلك، رغم قلة ساكنيها، لكنهم بفضل التماسك العائلي الذي أعطاها نزعتها الفردية التي جاء بها التمدد القروي البدوي جعلها لم تتخلف عن هذه الدلالات التي بها تأخذ مكانتها بين ساكني هذه الديار،

وفيها مسجد الشيخ

الفقيه الحاج ادريس بوشنتوف رحمه الله

وهو بيت من بيوتات الله شرفه الله سبحانه وتعالى بشيخ فاضل حاز السبق في كثير من علوم زمانه، حتى نال بذلك مكانة عالية في الدرس والتحصيل، وهو الشيخ الفقيه الفاضل، سيدي الحاج بوشنتوف بن ادريس ولد عبد القادر ولد محمد الصغير[105] رحمه الله، الذي تسمت باسمه هذه الأسرة، كونه كان من أهل العلم والمعرفة والدراية، في كثير من الغريب المداول من سائر المؤلفات الفقهية الدينية واللغوية، بما كانت له فيها من إجازة عالية السند، حتى أصبح يسمى عند أهل العلم ومريديه بـ : (مالك)، إذ أنه كان رحمه الله، لا يجاريه أحد في فقه مالك بن انس، لاختصاصه به دون سواه من المذاهب الإسلامية الأخرى، حافظا محققا مستحضرا لجميع دروسه لغة وفقها دينا،وبيانا وبلاغة ، في تفسير للقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف،

105 (أنظر ترجمته في جريدة الجمهورية في مقالة لي تحت عنوان (الشيخ بوشنتوف ادريس ، خصال رفيعة واستقامة وتقوى) المنشورة بتاريخ 10 رمضان من عام 1424 للهجرة، الموافق لعام 2003 للميلاد،

ومن آثاره رحمه الله تأسيسه لهذه المدرسة الفقهية، التي بها اشتهرت، حتى كان فيها أعلى سند وجد في زمانه، ثقة فيما ينقله، ثبتا فيما يرويه، فانثال عليه طلاب العلم من كل حدب وصوب، فانتفع به الكثير،

لقد أخذ هذا الشيخ رحمه الله علومه الأولية بأرض القعدة موطنه الأصلي، على يد الشيخ سيدي الحاج محمد بن عبد الله بالفريح، التي منها أخذ طرقه إلى العلم في أماكنه البعيدة من أرض الجزائر، فرحل إلى مزونة التي كانت من المدارس المالكية المشهورة، لينتقل بعدها إلى مدرسة قبيلة صبيح التابعة لمقاطعة مدينة تنس من أرض ولاية اشلف، التي أخذت شهرتها من شيخها العلامة(الشيخ المولود بن الحسين الشعيبي التنسي ثم الجزائري رحمه الله)[106] الذي وصفه الشيخ الطيب المهاجي رحمه الله بقوله: (..كان المقتدي به في العلوم والمعارف بين ما تراه فقيها أصوليا ، تراه لغويا نحويا بليغا أديبا، جمع فأوعى، وبلغ في العلوم منقولها ومعقولها الغاية القصوى ..)[107]

فمن مثل هؤلاء الشيوخ أخذ رحمه الله علومه في سائر مروياته، فكان أحق بها وأهلها، رفقة جمع من طلبة العلم من أرض القعدة ، كالشيخ الطيب المهاجي رحمه الله، والشيخ سي الطيب بن عبد القادر بن الحاج محمد بالفريح[108]، ثم

---

[106] أنظر في ترجمته كتاب (أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر) ص: 49 وما بعدها، مصدر سابق،

[107] كتاب (أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر ص: 49 وما بعدها، مصدر سابق،

[108] أنظر كتاب (الشيخ الطيب المهاجي وجهوده العلمية) ، للدكتور قدور ابراهيم عمار المهاجي مصدر سابق،

الأخ الشقيق للشيخ الطيب المهاجي (الشيخ عبد القادر بن سيدي المولود)[109] والشيخ الفقيه سيدي محمد مكنوس بن سيدي الحاج محمد بن عبد الله بالفريح، كما أنه اشتهر بخليل نسبة إلى الشيخ أبي الضياء خليل بن اسحاق الحامل لواء مذهب مالك في زمانه بمصر، حتى كان فيه صدرا من علماء القعدة، من الذين اشتهروا بجلال قدرهم وعظيم عملهم ،

وفيها مسجد الشيخ سيدي عبد القادر
بن عبد القادر رحمه الله

وهو مسجد يعود تأسيسه للشيخ الفاضل سيدي عبد القادر[110] بن عبد القادر بن الحاج بن عبد الله بن سيدي الطيب بالفريح المهاجي الذي كان من علماء القعدة ووجهائها ، فضلا وعلما وجاها، والدا عن والد،

[109] أنظر كتاب (أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر) ص: 49 وما بعدها، طبع الشركة الجزائرية للطبع والأوراق - وهران،

[110] أ نظر (كتاب الأعلام بمن حل بوهران من الأعلام ص: 129 وما بعدها، مصدر سابق، وكتاب الأثر الزاهر في دكر النسب الطاهر ،ص: 334 وما بعدها،

بفضل ما كان لهذا البيت من شيوخ في نطاق علمي واسع المعرف، عالي السند، ما جعلها تؤسس لنفسها حركة علمية في نطاق ما تتوافر عليه من الشيوخ الفقهاء العلماء وما يتصل بهم بصلة القربى، وقد أطلق عليهم اسم بيت أولاد سيدي الطيب بالفريح المهاجي، الذي كان له الفضل في تأسيس أول مسجد بأرض القعدة الذي جعل منه مركزا مهما من مركز الثقافة العربية الإسلامية مدة حياته رحمه الله،

فبهذا البيت وبهذه الديار كانت ولادة الشيخ سيدي عبد القادر بن عبد القادر بالفريح المهاجي صاحب هذا المقام الديني التعليمي، التي بها نشأ ودرس وتأدب، إلى أن سار عظيم القدر ، رفيع المنزلة، محترما عند علماء عصره، وبكثير من الخلال الحميدة والصفات الطيبة، استطاع أن يجعل من مسجده منارة علم في كثير من أصوله وفروعه،

لقد امتاز هذا الشيخ رحمه الله، بقوة الحافظة، التي خلقت منه ظاهرة حفظِ غريب اللغة والفقه والآداب والتأثر بها، حتى بات لا أحد يجهل مكانته ومنزلته العلمية الدينية السامية،

لقد عمل كغيره من علماء عصره في هذه الديار على إنشاء مسجد غير بعيد من مسجد جده سيدي الطيب بالفريح المهاجي رحمه الله ببضعة أميال، وجعله معهدا داخليا يسكنه الطلاب الوافدين من مختلف ولايات الوطن، وقد أخذ عنه جمع غفير من طلبة العلم ومريديه، حتى أنه عرف عنه رحمه الله أنه كان يقضي ليله ونهاره بمطالعة الكتب، وهو بحق ممن يستحق الذكر لما كان عليه من الحكمة والتواضع رحمه الله،

وفيها مسجد ـ االقدادرة

ـ نسبة إلى مؤسسه الأول سيدي بن قدور رحمه الله

وهو مسجد يعود تأسيسه لإخوة كانوا أو أبناء عمومة ممن جمعتهم هذه الديار، التي أخذت اسم كبيرها السيد بن قدور- رحمه الله علما لها حسبا ونسبا، وهي حقيقة تاريخية اتبعتها الكثير من بيوتات ساكني هذه الديار من أرض القعدة، كونها تبعث الحياة في عروقها من جديد كلما كثر تعدادها وضاق بها العيش، أو مالت بها الحياة من حيث القابلية على
التفرع والتوزع، في تجربة جديدة، وأفق أرحب وأوسع، لكنها تظل تجمعها سر حياتها الأولى التي حفظت بها مكارمها وأخلاقها ولغة أصولها وفروعها،

ومما سمعته من أخبار وروايات عن تأسيس هذا المسجد ، أن بناءه جاء من باب التنافس والتفاخر بين هذه القرى ببعضها البعض انطلاقا من تأثرها بمحيطها الاجتماعي الذي نشأت عليه منذ أن استقر بها المطاف بهذه الأرض، التي كانت على الدوام متخلقة بخلق القرآن الكريم متمسكة بقيمها العربية الإسلامية، من التي ظلت تتفاوت في ما بينها ارتفاعا وانخفاضا، حتى باتت من أكثر المجتمعات اهتماما بتشييد الكتاتيب القرآنية، قصد تكوين أبناءها تكوينا ثقافيا متكاملا،

وبطول زمن انتشرت معالمها وذاع صيتها عبر محيطها الاجتماعي في كثير من أبعادها التاريخية الدينية والاجتماعية في مبادئ وقيم عربية إسلامية، وعادات وتقاليد بدوية أصيلة، وبحكم انتشارها وتوسعها، حتى أنها باتت لا تكاد تخلوا بيت من بيوتاتها إلا وبها كتاب لتعليم الصبية أو مسجد تقيم فيه صلاتها وتجمع رأيها عند الحاجة، لتكون فيه وعظا وإرشادا برا وإحسانا،

ومثل هذه الصفات وغيرها كثير من التي اشتهرت بها بيوتات أرض القعدة في أسر وجماعات، التي كانت لها إما وراثة عن أسلاف كانوا فيها على سيرة فاضلة وأخلاق كريمة ، أو تأثير اجتماعي كان لها نتيجة احتكاكها بغيرها ممن حفلت بكثير من كبار العلماء والمؤدبين في مختلف ضروب علوم المعرفة والدين، حتى بات لها نصيب كبير منها،

وهو مسجد أنشئ على أرض تكاد تتربع على مساحة جد صغيرة، يحتوي مجموعه على بيت للصلاة ولتعليم القرآن الكريم معا،

وفيها مسجد الرمايسية -

نسبة إلى مؤسسه الأول السيد بن هارماس رحمه الله

لقد ظلت هذه القرية المعروفة بـ :(قرية الرمايسية)[111] وغيرها كثير من قرى أرض القعدة تمثل ظاهرة اجتماعية، لكنها ليست على درجة واحدة من الوعي الثقافي الديني التربوي والاجتماعي، بحسب اختلاف عواملها النفسية والاجتماعية المحيطة بها، مما جعلها تساعد نفسها بعوامل ثقافية اجتماعية تقربها مما جاورها من هذه البيوتات التي باتت لها مكانة ظلت تتفاوت في ما بينها ارتفاعا وانخفاضا، ما جعلها تؤسس لنفسها مسجدا بدافع الحفاظ عل تربية أبنائها تربية صالحة، بعيدة عن حياة اللهو واللعب والضياع، من الذي لا زالت تجري به أيام الطفولة في كثير من المغامرات والفخار في تناول وتنافس، من جهة، واتباع ما في تحفيظ أبنائها للقرآن الكريم من تعاليم دينية، ومثل عليا وأخلاق سامية كريمة، تستقي منه شعائرها الدينية، وتعاليمه العظيمة، وتوحد به صفها، وتجمع فيه كلمتها، وتقوي به عودها، وتعزز به نشاطها، وتستمد منه مرجعية حاجاتها المختلفة،من جهة،

[111] لعلها جاءت من باب الأسماء المرادفة للرجل ليس إلا،

وهو مسجد لا زال يحمل اسم كبيرها الذي به تسمت، وعليه توزعت في كنى وألقاب، هي في حقيقتها لا تبتعد عن جذور بعضها البعض، وليس لدينا من المصادر أو المراجع ما يؤكد غير ذلك، إلا ما كان لنا في هذه القرية أو تلك من أخبار وروايات من التي توارثتها الأجيال عن بعضها البعض في أعوام، والتي أراها غير وافية المرام كونها لا تضيء إلا على من أسست لنفسها موروثا مدونا في مخطوط لا زال يبعث في نفسها الثقة والاطمئنان، وهو أمر قد لا نجد له ما يشابهه إلا عند بيوتات رزقها الله من الكفاية العلمية والدينية ما رزقها من الشخصية التي حافظت بها على موروثها الثقافي على الرغم من تبدل الظروف والأحوال،

وفيها مسجد ـ الضيايات
نسبة إلى مؤسسه الأول السيدّ ـ عدة بن اضيه ـ رحمه الله

وهو مسجد يعود بناؤه لشيخها الفاضل سيدي عدة بن اضية رحمه الله، الذي أنشأه على غرار بقية البيوتات الأخرى من أرض القعدة جراء عادات وتقاليد وكثير من التفاخر والتنافس والتباهي، الذي بلغ أشده يومئذ، حتى بات هذه القرى وبطول زمن أن لكل بيت من بيوتاتها لا يحاذيها بيت من بيوتات الله ، وإلا لتبعت أهلها الكثير من نعوت الجهل أو التخلف، وهو الأمر الذي جعل الكل يتبع بعضه بعضا في بناء كتاب أو مسجد، من التي ظلت تزدان بهما أرض القعدة حتى كانت بها أعظم دار وجاه عند أهل العلم والثقافة والتربية والتكوين،

وفيها مسجد ـ البغاديد ـ
نسبة إلى مؤسسه الأول ـ السيد بغداد رحمه الله

لقد حافظت هذه القرية ـ من أولاد سيدي بغداد ـ على نشأتها وبكثير من الخصال القوية التي أخذت بها على نفسها وأبنائها، وذلك لما لها من تاريخ مديد، تأصلت به جذورها، وامتدت به أصولها في حسب ونسب، وعفة وحسن سلوك،

ونظرا لتركيباتها الاجتماعية التي لم تتفاوت فيها حدود أبنائها نسبا وصهرا، وقد أكرمها الله سبحانه وتعالى بيتا للقرآن الكريم، أي (مسجدا) الذي كانت فيه أشد الناس اتصالا بكثير من مناطق العلم ودور التربية والتعليم، وقد تخرج منه العلماء من أهل الدرس والتحصيل، وحفظة كتاب الله، على قدر ما كان لها من السعة والكثافة، ولكنها وبفضل أهل العلم والدراية، تمكنت من إنجاز هذا العمل الديني والتربوي العظيم، ولم تشهد هذه القرية عبر زمانها أي موجة من موجات

الهجرة التي عرفت بها الكثير من قرى هذه الديار من أرض القعدة، رحم الله شيخها الفاضل سيدي عبد القادر بن عبد القادر المعروف بالشارف،

وفيها مسجد القواسم

لمؤسسه السيد منقور رحمه الله

لقد استطاع مؤسس هذا (الجامع) المعروف بصاحبه السيد (المنقور) ولد محمد الكبير ولد داود رحمه الله، وهو من حملة كتاب الله، أن يكون لنفسه حياة ملأها كتاب الله وسنة نبيه الكريم، وذلك ببنائه لبنيه بيتا قرآنيا ليضاهي به كتاتيب أرض القعدة، رغم ماكانت عليه من أصول وميزات، يصعب على الدارس والمحقق إحصاؤها عددا،

منتدبا لها شيخا فاضلا يحمل من التوجيهات التربوية، ما يحمل من القابليات العقلية والمهنية ليسير ببنيه إلى الطريق الصحيح، في حفظ القرآن الكريم والتحلي بأخلاقه الفاضلة، وقد حقق الله مراده، وأصبح له من الأبناء حملة كتاب الله بفضل ذاك المربي الذي كان يتوافر على الكثير من الأساليب المختلفة المتبعة في عملية التلقين والحفظ عند الكثير من مشايخ أهل القرآن،

ـ أضرحة في أبنية وقبب

وهي معالم تاريخية من التي لا زالت تمثل رجالات كانوا على درجة كبيرة من الورع والصلاح، من الذين استقر بهم الحال بأرض القعدة حتى كانوا فيها فضلاء أجلاء، وقد تحولت مآثرهم أيام الاحتلال الفرنسي أو قبله بقليل إلى أضرحة في شكل قبب تحمل اسم صاحبها إن وجد، أو تحت أسماء متفرقة من التي ظلت تختلف باختلاف أصاحبها من الذين كانوا على درجة عالية من العطاء العلمي أو في عبادة وتقي، كونهم كانوا أهل ذكر وصلاح ودراية، هؤلاء هم بقي ذكرهم وإلى اليوم كما لو كانوا أحياء بعد تحويل مساجدهم إلى قبب ازداد عمرانها في القلوب ذكرا، كون أن الاعتقاد من وجودها عندهم لم ينشأ يوما نتيجة اعتقاد فاسد، أو مذهب تكفيري أو طائفي أو عرقي، بل كان مبنيا على ما كان عليه أصحابها من فضل واعتقاد راسخ بأنهم بلغوا بتقواهم وحسن بعبادتهم وحسن تفاهم الدرجات العلا عند ربهم ليس إلا، وهذا ما سنأتي عليه بكثير من الشرح والتحليل في مبحث قادم إن شاء الله تعالى من هذا التأليف أو غيره،

لقد كانت أرض القعدة عبر تاريخها المديد، في غاية من تمسكها بدينها الحنيف، وأصالة أمتها العربية الإسلامية ما جعلها تؤمن أن التقرب إلى الله في طلب الحاجة لا يكون إلا بالتوسل إلي الله أو التوكل عليه، ولكنها لا تنكر دعاء الصالحين ممن زكاهم الله سبحانه وتعالى بحسن الخلق، الذي به بلغوا الغاية عند خالقهم فنالوها،

وقد وجد الاستعمار وأعوانه في ظاهرة الاحتفال بالأضرحة أناسا تساعده على تحقيق مناه في كثير من أبعادها، فعمل على تغذيتها والتمسك بها كعادات

قديمة تعود بجذورها إلى تقاليد كانت لهم في قديم زمان لطالما تعاطي معها الآباء والأجداد في عهود خلت،

فأخذ يغذيها ويدعو لها عن طريق أعوان كانوا له خير رسل في تحقيق غايته التي وجد فيها خير توجيه لإبعاد هذه الأمة عن المطالبة بتقرير مصيرها أو الدعوة إلى المقاومة أو الجهاد،

لقد لعب هؤلاء الأعوان دورا كبيرا في استمالة العامة من الناس، حتى رضي الكل بإحياء ذكرى هذا الضريح أو ذاك مستسلما لقدرها على أنها حقيقة حتمية وقد عمت الوطن كله أو كادت، وقد غذاها بكثير من الخرافات والشبهات والأباطيل حتى بات للعامة يقينها من أنها هي الحق الذي لا شك فيه، من التقرب بها إلى الله في القيان بما يجب القيام به اتجاهها في إحياء ذكراه، وأعمال أخرى كثيرة مما ليس فيها الدعوة إلى الله، مما لا يحاط بوصفها عد، ولا يقف عند حدها حد،

ومن الأعمال التي ظل بها العلماء والفقهاء وحفظة كتاب الله ينورون بها عقول الناس، ويشرحون بت صدورهم، ويفتون بوجوبها والعمل بها جهادا ومقاومة، أن استيلاءه على البلاد جاء من أجل إفساد دينه ونهب خيراته وسلب إرادته والعبث بكل ما هو أصيل عريق من عادات وتقاليد وأخلاق، ما جعل الشعب الجزائري يهيئ أبنائه فكرا وثقافة جيلا بعد جيل، ويدفعهم إلى سوح الجهاد في سبيل الله، والمقاومة للدفاع عن دينه ومعتقد بكل ما أوتي من قوة،

ولكن الاستعمار عرف كيف يستولي على عقول العامة من الناس، لما وجده في النفوس من صراع نفسي اجتماعي نتيجة جهل ثقافي، أو تخلف علمي، في حياة مملوءة بكثير من الخرافات والبدع، التي استشف من الاستعمار من خلالها أن تمسك الكثير من المداشر والقرى والأرياف بمثل هذه العادات، جاء خوف

مما سيأتي به الغد من أي تغيير مخالف لما اعتادوا عليه ضمن أحداث لا عهد له بها من قبل، ما جعل ردة الفعل عندهم تكون أضعف أثرا وأشد اطمئنانا لما بات يدعو له الاستعمار، ما جعل المتمسكون بدينهم العارفون بخبايا الاستعمار يخرجون إلى العلن ويفتون بوجوب مقاتلة لكي لا يستمر في عدوانه وطغيانه، وأشاعوا في الناس أن كل من أخذ عنهم بشيء من ثقافته الإنسانية منها والاجتماعية أنه كافر وخارج عن الدين، حتى شاع في الناس المبدأ القائل (التشبه بالكافر حرام) والتقرب من تعلم لغته حرام، وحرم بيع الأراضي له بأي ثمن كان،

لكن الاستعمار وأمام هذا التيار الديني المعارض الذي لم يترك له مجالا للعبث بأفكاره السامة الغير المحمودة لدى مجتمع عربي إسلامي بدوي محافظ أصيل ، ولكن الاستعمار أعاد العمل ثانية للوصول إلى مبتغاه، وبشيء من الحكمة واللين أدرك ما في أعماق الناس من دوافع بدوية يدارى كل جانب منها بما يلائمها،

فأخذ يقترب من كل ظاهرة اجتماعية أخذت بعدها الثقافي والاجتماعي بين الناس من التي باتت عندهم عرفا ثابتة تتعامل معها العامة من الناس بجهلها وتخلفها الفكري والثقافي، في طاعة وخوف أكثر مما تتعامل مع الله في يقين من المعاملات دينا وسلوكا، إذ أنها وجدت أن الواحد منهم حين يقسم بالشيخ فلان أو الولي الصالح فلان، يكون القسم عنده أشد أثرا وأقوى إيمانا من أن يكون قسمه بالله وحده لا شريك له، لما لذاك القسم من غير الله من أثر ملزم يجب تنفيذه وإلا لكانت عاقبه عليه وخيمة، وقد تعامل معه الاستعمار على انه صراع نفسي ناتج عن فراغ اجتماعي من الذي لا زالت تعانيه الكثير من

التجمعات البدوية عبر مراحلها المختلفة[112]، فتفطن الاستعمار لهذه الظاهرة مستعينا عن طريق فئة غير قليلة من أتباعه إلى تجسيدها على أرض الواقع وجعل منها أرضية لحياة ثقافية شعبية دون أن يكون فيها طرفا، فأعلن في الناس تقديره وحبه للأولياء الصالحين وبكثير من الخدع والألاعيب استطاع أن يجعل من زيارتها والاحتفال بأيامها قضية واجب ذا أهمية دينية واجتماعية، كون أن أصحابها كانوا أهل تقي وفلاح، ما جعل أهل هذه الديار يعيشون دهرهم آمنين مطمئنين سالمين بعيدين عن كل مكروه أو سوء، حتى بات مأوى لكل ذي حاجة في طلب أو دعاء،

وإني بذلك لا أتحدث عن المعلوم من هذه البيوتات أو تلك القبب، الذي ثبت وجودها في كثير من الأخبار والروايات الموثقة منها والمدونة، فهؤلاء حاشاهم أن يكونوا كذلك، فهم ممن شهد لهم في هذه الديار على أنهم كانوا أهل علم وجاه وخير وصلاح ، بل أننا نتحدث عن تلك القبب المجهولة الاسم، البعيدة المكان، من التي باتت عند العامة من الناس على أنها تحتوي على مراقد لرجال صلحاء دون سابق معرفة بأصحابها، حيث بات الناس يلجئون إليها ويتبركون بها في شفاء أمراضهم وحل مشاكلهم[113]،

---

112 أنظر تفصيل ذلك في كتاب (تاريخ الجزائر الثقافي التاريخي الديني السياسي والاجتماعي) ص: 68 من المخطوط، مصدر سابق،

113 وقد اعتمدت في أغلبها على كثير من بحوث علمية جامعية (وهي بإشرافي) التي تقدم بها أصحابها لنيل شهادة الدكتوراه، في كثير من الجامعات العربية والإسلامية، ورسائل أخرى علمية طبع بعضها، ككتاب فاضل الجمالي، وكتاب الدكتور شاكر مصطفى سليم، وهي رسائل علمية جامعية تبحث في المجتمع العربي على وجه من الوجوه،

ومن جملة ما ذهبت إليه الأبحاث التاريخية عند أهل العلم، أن انتشارها ظهر زمن احتلال الأتراك لأرض الجزائر، ثم ازداد وبشكل كبير زمن الاستعمار الفرنسي ، حيث وجد أن الناس في حاجة إلى مزارات يتبركون بها ولا يهمهم من يكون صاحب هذا المزار أو ذاك، ما جعله يدعو لها بطريقة أو بأخرى حتى باتت تعم جميع الأرياف والقرى من التي تشابهت ظروفها الاجتماعية[114]، وتعددت أسبابها في عادات وتقاليد، وتعددت أسبابها في عادات وتقاليد،

بعد أن كان أشد انزعاجا منها ظنا منه بأنها بقايا من ثقافة الدولة العثمانية وعنوان مجدها الإنساني والحضاري باعتبارها دولة إسلامية حامية حمى الإسلام، وبما كان لها من أثر كبير عند أهل الدين ومؤيديهم من الذين كانوا لا يألون جهدا في ترسيخها في نفوس العامة من الناس، ما جعله وبعد مشورة وعون من أتباعه عدل عن رأيه، فعاد تثبتها وركز دعائمها لما لمسه في الناس، من أنهم في حاجة إلى مزار للتبرك به أو الاحتفال بذكراه وبكثير من الأساطير والخرافات، زود أعوانه عنها بحكايات تفوق الخيال، حتى أنك لا تجد لها في التاريخ مكانا لما أحاطت به العامة من أخبار باتت عند هذا الضريح أو ذاك طابعا اجتماعيا اشتهر به في كثير من جوانب سخرها الله له في قضاء الحاجات،

غير أننا نقول إن الكثير من هذه القبب المتوارثة كانت بحق لعلماء كانوا أعظم جاها لدى العامة من الناس، من الذين ازداد إيمانهم بها في وساطة أو مكانة أو جاه، وليس لهم فيها من البدع والخرافات، وقد ازدادوا فيها تدبيرا وتفننا، من حيث دفن هذا الشيخ الذي كان بمسجده قائما، حتى تزداد تعلق

---

114 أنظر كتاب المجتمع العربي في بعده الثقافي والاجتماعي ص: 32 وما بعدها للدكتور محمد سلمان حسن، طبع دار المثنى - العراق - بغداد،

أذهان الناس بكل ما يذهبون إليه من بدع وخرافات لا صحة لها[115]، وهم على التوالي:

وفيها مقام سيدي سليمـــــان المهاجي رحمه الله

لقد كان هذا الشيخ الجليل رحمه الله من أهل القرآن والعلم والفضل، فهو ممن أقام بهذه الديار مدة زمانه، يدرس الفقه والدين وعلوم القرآن الكريم، حتى أصبح بها ظاهرا مشهورا، وقد وثقه الأوائل من كبار ساكني هذه الديار بكثير من أحاديث وأخبار كتب الله لنا أن نسمع روايتها من أئمة ثقاة رحمهم الله،

وهو ممن طاب له المقام بأرض القعدة في هجرة أصابت آل سليمان من بني عمومته من أرض تلمسان من الذين أقاموا إمارة على أرضها بقيادة سليمان بن عبد الله الكامل التابعة في قضائها الإداري لدولة أخيه ادارس الأول من أرض المغرب، وذلك بعد أن آلت دولتهم إلى الفلول من عام: ... ، وأخذوا في التفرق والتوزع، نحو أماكن بعيدة من أرض المغرب العربي الكبير،

---

115 أنظر كتاب الأستاذ شاكر مصطفى سليم ـ مصدر سابق ـ ، جـ / 1 ص: 37 وما بعدها،

حيث كانوا فيها أهل علم وجاه، وحسب ونسب[116]، فكان توجه هذا الشيخ رحمه الله إلى أرض القعدة من بادية امهاجة، لما كان له فيها من أخبار عن ساكنيها من آل امهاجة الأدارسة الحسنيين الذين هم من أهله وبني عمومته، الشيء الذي بعث في قرارة نفسه شعورا كامنا بالأمن والآمان، في عاطفة حقيقية، وتلبية صادقة لنداء رجالات كانت تربطه بهم قرابة المودة والإخاء، ما جعله يؤمها، بصدر رحب، وحماسا مملوءا عزا ونشاطا، حيث كون لنفسه على أرضها مسجدا تدار فيه حلقات الذكر من القرآن الكريم وتعليم علومه، وتوجد وإلى جانبه دار إقامته رحمه الله، التي بات بها وإلى اليوم مذكورا،

وقد وردت إلينا أخباره كثيرة عنه رحمه الله، عن طريق رجالات أدركت من أدرك أخباره عن كثير من علماء هذا البلد من أرض القعدة ممن كانوا أهل صدق وخوف من الله، الذي ما كان علينا من الحق أن نجهله وغيره أو ننسى فضلهم أو سيرتهم في أعوام، دون ذكر لمآثرهم رحمهم الله، ونظرا لما أتوافر عنه من أخبار جد قليلة من التي لا تكاد تكفي لتكوين حديث في سيرته رحمه الله، والتي من أبرزها صفات تتعلق بسعة فضل، ووفرة علم وطيب خلق، وحسن معاشرة، وعلى جانب كبير من الخير والبركة من التي لا تظهر إلا عند أصحاب الكرامات والولاية الربانية في صلاح وتقي، وهي صفات أحبته للنفوس وأكسبته منزلة سامية عند العامة والخاصة من الناس،

---

[116] لعل تسميته بـ: (سيدي سليمان) جاءته من كونه من ذرية محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي تولى الإمارة بتلمسان، وهو الأخ الشقيق لإدريس الأكبر، المؤسس لدولة الأدارسة بالمغرب، أنظر كتاب دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1983، مصدر سابق

وبعد وفاته رحمه الله ظهر له قبول عند العامة والخاصة لاعتقادهم أن الدعوات تستجاب عند فبره رحمه الله، ما جعل الناس يلوذون به في كثير من حاجاتهم، ويتبركون به[117] ، ولا زال قبره إلى اليوم مقصودا مزارا، وهكذا كان رحمه ممن اختصهم الله ببركاته وتولاهم بأنور هدايته ما يشهد لهم بالنزاهة وحسن السيرة واستقامة طريق، من التي لا يرتاب فيها أحد،

وفيها مقام سيدي عبد الله رحمه الله

وهناك غير بعيد من مقام سيدي سليمان رحمه الله، مقام آخر لا زال يحمل اسم صاحبه في كثير من أبعاده الدينية والثقافية والاجتماعية، الذي كان رحمه الله من ورثة علم وفضل، حتى كان رحمه الله يحمل أكبر وأعمق أثر في

[117] القليل من الباحثين من لا يعرف سيرة هذا الرجل الصالح (سيدي سليمان رحمه الله) في نسبه وحسبه، لكن الكل من ساكني أرض القعدة مواظب على زيارة قبره تباعا، يلوذون به عند الحاجة، ويتبركون به للسعد وللخير، وهم لا يعرفون عنه بأكثر ماهم عليه، وسآتي على ترجمته في متن هذا التأليف ضمن باب السير والتراجم إن شاء الله،

نفوس أهل الله من عباده الصالحين، المعروف بسيدي عبد الله،[118] الذي أعطاه الله سبحانه وتعالى من الغرض الذي به اشتهر، حيث كان مقامه معدا للاستسقاء عند آل امهاجة، في ضيق من غيث أو من حاجة لهذا الغرض أو ذاك، وقد ثبت أن الصلاة في ساحة مقامه في أغلب أوقاتها تنقشع بها الغمة، وتتنفس بها الكربة، فهو فضل من الله سبحانه وتعالى أبرزه للعيان وأظهره، على يد صلحائه الأخيار، وأهل الله الأطهار، ولا زال مكانه شهيرا يخص مقامه الأعلى بين هذه الديار، الذي كان علما من أعلامها، علما جاها وإصلاحا،

وقد وجد الاستعمار في قبره خير مزار موسمي ليضع على قبره قبة تضم رفاته رحمه الله، وقد أحاطها بكثير من الخرافات من حيث التبرك بقبره، حتى قيل عنه أن زيارته تعود على صاحبها آجلا أم عاجلا بالكثير من الخير والبركة، حتى بات بها معروفا لقضاء الحوائج، بعد أن كان هذا المقام مسجدا تدار فيه حلقات العلم وما إلى ذلك من العلوم الدينية واللغوية، وإلى عهد قريب من أخريات حياته رحمه الله، كان مضرب المثل عند العامة في التدين وسمو الأخلاق، بعيدا عن التعرض لأعراض الناس والتهجم على أحسابهم وأقدارهم، وقد ورد ذكره مرارا عند أهل التاريخ في أحاديث متفرقة، حتى قيل عنه أنه عاش نحوا من تسعةٍ وتسعين عاما وشيع تشييعا يليق بمكانته الرفيعة ومنزلته السامية،

وفيها مقام سيدي اعمر لكحل المهاجي رحمه الله

[118] أنظر ص: 341 من هذا التاليف،

ومن مشايخ هذه الديار وكبارها صلاحا وفلاحا (سيدي اعمر لكحل) رحمه الله الذي كان له ذكر مشهور في الولاية نفعنا الله ببركاته وبركات أمثاله من أعيان العلم وشيوخ الذكر من آل امهاجة،

لقد أخذت به القرية (التي سميت باسمه) شهرتها في كثير من أبعادها، كونه كان عظيم الأثر، في شرف أصيل، زاهدا عالما مجتهدا، كثير الاتساع ، عما سواه مما ذكر من أهل العلم في هذه الديار،

وقد لحقته هذه التسمية حسب بعض الروايات من التي كانت لنا مصدر تحقيق وتوثيق عن سيرته رحمه الله، أنه كان أسمر البشرة ـ لأُمٍّ لا لِأَبٍ ـ والله أعلم[119]، وقد شهد له الكثير من بني عمومته من آل امهاجة على أنه كان عظيم الفضل، رفيع الشأن، الأجل العارف، المبارك المبرور،

وفي رواية أخرى أنه ملأ حياته بتعليم الصبية وتلقينهم علوم اللغة والشريعة والقرآن الكريم، وكان له مجلسا حافلا بأعيان العلم وشيوخ الذكر، ولا زال

[119] أنظر كتاب (الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر) للدكتور قدور ابراهيم عمار المهاجي، مصدر سابق

الناس وإلى اليوم يلوذون به في العديد من مقاصدهم خيرا، ليس من باب التوكل، بل كونه كان رحمه الله ممن نور الله بصيرته بالحق فحماه، بعلو قدر عنده وعند الناس مما جعلهم يقتدون ببركته في هذا الزيارة أو تلك، من التي كانت تمثل عندهم الصفاء العميق المتصل بالله تعالى الموافقة لشريعة الله ورسوله الكريم،

وهي قرية جاءت تسميتها من شيخها الفاصل سيدي (اعمر لكحل المهاجي رحمه الله.....) هكذا ورد التعريف بها في كثير من أماكن أهل (الرواية والخبر)، من الذي أحاطوه بكثير من الهيبة والوقار في اعتقاد منهم على أن الله سبحانه وتعالى خلقه مجبولا على حب الخير، لما كان له من سر تنقشع به الغُمَّةُ، وتتنفس به الكربة، من التي اختص بها الله عباده الصالحين، المتسمين بالخير والصلاح والفلاح، إضافة إلى ما كان عليه من الثقة والجلالة، بحيث اشتهر أمره وانتشر ذكره بين الناس ، وقد جمعت حوله روايات فيها أخبار كثيرة، لا تباعد بينها في فضلها واستحسانها،

وقد روي عن بعضهم (....أنه كان رحمه الله أوفر الناس خيرا وصلاحا، وأصحهم عقلا، وأشدهم ثبتا، مع ما خصه الله سبحانه وتعالى من سكن بهذه الديار، والله يؤتي فضله من يشاء، ..)

هكذا جاءتنا هذه الرواية عنه رحمه الله من التي ظفرنا بها ممن عاصرناهم في باديتنا من أرض القعدة أو ممن تبقى من سلالته الطاهرة من التي لا زالت تحيي سننه في كثير من علو مكان، ومكارم أخلاق، غير أن مقامه الذي كان به قائما، سليم الجانب، مستعينا بالله على جمع النفوس، بما أعطاه الله من مغيبات الأمور، وخفيَّات الصدور، لا يزال على حاله دون ترميم، وأدعو ممن ينادون به كعلم لهم في حسب ونسب، أن يبادروا إلى ترميم ما فات من معلم هذا الرجل الأجل الذي اتسمت أيامه بأنواع الفضائل، في قديم شرف وحسب

رفيع، قبل أن يموت ذكره وينقطع خبره، وأن القول عندهم بالفم هو ما ليس في القلوب، والله يعلم ما تكنه الصدور وما تعلنه،

وهي قرية تكاد تكون اليوم متنوعة الأعراف، لها في كل ركن من زواياها مالك لدار من هجرته المحسوبة، ممن أتى به القدر المكتوب، والأجل المحسوب، وقد توافد إليها أناسا في سلف من الأعوام، من بُعْد وكثب، إدراكا ولحاقا، وراموا البقاء فيها تفاؤلا في إقبال وإدبار، حتى بات فيها الأمر إلا كذلك محسوبا، وليس لنا في أمرهم سند، إلا ما شذ، ولا أخبار مأثورة، ولا أقوال مشهورة، غير ما عاهدناه فيها من نازح بعيد، متقدم أو متأخر، كحقيقة محصلة لا تزال بجهاد الشك قائمة، إلا أننا نقول: فرب طارف حديث، أكرم من تالد موروث،

وهي أمور كثيرة أتت عليها الروايات حول ساكني هذه الديار في كثير من الظنيين المستراب، إلا ما كان منها من طيب أخبار، بعيدا عن الإسهاب والإغراب، في رواية موصولة، أو أخبار متواترة، عن أناس كانوا فيها منابت فضل، وباسق فروع، في حسب ونسب والله أعلم،

وقد حاولت جاهدا وأنا أبحث حول ما جالت به يدي وأحاط به خاطري في مكنون هذا التراث ومضمون دواوينه في ماضيه وحاضره، لعلني أصل إلى غايتي التي لا أزال أنشدها حتى لا أقصر عن تخليد مآثرها، أو مكارم أخلاقها، أو فضائها علمائها من شيوخ الذكر وحفظة القرآن الكريم،

وفيها مقام سيدي محمد المصطفى رحمه الله

وفيها الشيخ الفاضل سيدي محمد المصطفى الذي لم يأت حظا من الذكر، حيث ظل منسيا في غير حق، مهملا في غير إنصاف، مقارنة بما كتب عن شيوخ هذه الديار وعلمائها وصلحائها، رغم ما كان عليه من جاه وتدين ، إضافة إلى ما روي عنه بأنه كان فقيها متصوفا ينهج منهج الأوائل في تمثيله للحياة الدينية تمثيلا صادقا عميقا، حتى قيل عنه أنه كان رحمه الله ضمن الفقهاء المبرزين في عصره، ومما يؤسفني أنني لم أقف له على ترجمة، رغم معاشرتي لعدد غير يسير من شيوخ هذا البلد ومن العاملين به، ومما سمعته عن الكثير من أحاديث حول العديد مما تتوافر عليه أرض القعدة من أضرحة ومراقد، في مناقب وفضائل وتصوير مكانة في نفوس محبيهم، لكنني لم أستطع أن أتبين من سيرة هذا الرجل غير ما ذكرت والله أعلم.

وفيها مقام سيدي احمد السايح رحمه الله

وهو مقام يعود تاريخ مبناه للشيخ الفاضل والولي الصالح، (سيدي احمد بالسايح) رحمه الله الذي كان من أوصلِ الناس لرحمه، وأحفظهم لقرابته، يتقربون منه الناس بتلاوة القرآن الكريم والدعاء على قبره كل يوم جمعة وأيام الأعياد والمواسم الدينية تبركا بمقامه رحمه الله، حيث زال الناس يذكرونه بجميل ما اشتمل عليه من صلاح وفلاح، وبما له من سر لا يستحسب من العجائب، وسبحان الله من ابتلي فيها من ذوي الفضل والإحسان،

لقد كان رحمه الله ممن يجاري الكبراء، ويُسامى الصلحاء الأخيار، ويزاحم أهل العلم بالأصول والفروع، ما جعل مكانته بين أهل الذكر من أهله وبني قومه أصح مكانا في تقى ومخافة الله،

وقد أحاطوه بكثير من الأخبار والروايات، وأكرموا أيامه في شرف مجيد، وامتدت إليه الأيادي والأعناق في شيء من الدعاء الذي هو أقرب للتقوى عند الله جزاء،

معالم تاريخية

لا زال الكثير من آثار أرض القعدة قادرة على إيصال مضامينها التاريخية والاجتماعية إزاء نهر الحياة الثقافية والفكرية التي لا زالت تحفر مجراها عبر عهود من الزمن، ليست بالبعيدة، برغم ما قيل وما يقال عنها، فهي على أقل تقدير لا تزال محمولة إلينا من زمن لا يقل عن عشرات السنين، وهي كفيلة اليوم بأن نجعل منها أثرا نفيسا من الذي لا زال يثير في النفس رغبة التطلع إلى البعيد، من تاريخ أرض القعدة، ببعدها التاريخي، ومكونات أخرى ثقافية اجتماعية، من التي لا زالت تستغرق منا وقفة طويلة كونها لا تزال جوانب منها أشد غموضا،

وفيها (غار بن افريد)[120]

الذي لا زالت أيامه تشي بأسرار بعيدة، وعن جذور ميثولوجية الباقية منها والذاهبة، وروايات وأخبار متعددة، وصلت إلى ملامح أسطورية، فيها الأوهام الواهية، وفيها الخرافات التي لا تزال نوعا من الأساطير وقصص الجن والعفاريت والغول والعنقاء، وما شابه ذلك،، وفيها الرجل الذي اقترف ذنوبا عظيمة في حمق وجهل وسوء التصرف، وظواهر أخرى من التي لا زالت مصادرها الشعبية تفيدنا

---

[120] ويسمى بغار بوجليدة، نسبة إلى بعض الطيور التي كانت تبيت به ليلا في قديم زمان،

بشيء من نشاطاتها الذهنية الإنسانية، احتوت جمعا ميدانيا ملحوظا، حفظت لنا جانبا من هذا الموروث الثقافي الذي كاد يوشك أن يضيع،

لقد اختلفت الروايات حول هذا النفق الذي اشتهر به صاحبه المعروف بـ (بن افريد) [121]، حتى أصبح اليوم يمثل معلما تاريخيا عظيما في حياة أرض القعدة من بادية امهاجة ، وقصص وحكايات مطولة وصلت إلينا مجتمعة ومتفرقة، داخل القصص شعبي المتعارف عليه، في حين أن أهل التاريخ باتوا لا يعرفون عنه سوى أنه نفق عجيب لا يحده حد، وقد سكنه أحد الرجال من الذين عرفوا بالسطو والنهب وبث الرعب والخوف بين البسطاء من الناس، وأعمال أخرى تدعو إلى الاستنفار وفي كثير من الحذر واليقظة،

وفيها الشلال المعروف بـــ : (القادوس)

[121] أنظر كتاب أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر) للشيخ الطيب المهاجي رحمه الله ص: 123 وما بعدها، مصدر سابق،

والذي هو عبارة عن شلال مائي يتوسط ارض القعدة، ينبع من سخرة في أعلاها، في شكل عين جارية محاذية لمقام سيدي سليمان رحمه الله، والذي كان يطلق عليها (بالقادوس) كون أن ماءه ينزل في شكل أنبوب مائي قوي بارد يصل ارتفاعه إلى سبعة أمتار أو ما يقاربها، ونظرا لقوة سليانه استطاع هذا الشلال أن يضع ثقبا في الأرض يصل عمقه إلى متر ونصف أو أكثر، وقد أخذ ذاك الثقب يتوسع طولا وعرضا حتى بلغ عمقه في التوسع ما جعل الصبية يجدون فيه ضالتهم المنشودة، يقضون فيه أوقاتهم كل يوم سباحة لهوا ولعبا، حتى حدث لمجموعنا أمورا لم تكن بالحسبان، حيث بات البعض منا يلاحظ أمورا غريبة ، تقوم بها بعض الصبية من التي تلعب معنا ونحن لا نعرف عنها شيئا، تقترب منا بكثير من الأصوات الغريب والأحاديث العجيبة، يحدثوننا بالقليل من الكلام، بقدر ما تهمنا تجلية هذه الظاهرة أو تلك، حديث عقل لا

حديث عاطفة كما هو الشأن في كثير مما يحدث بيننا من خلاف في حوار كثيرا ما يؤدي بنا إلى شجار تارة بالأيادي، وأخرى بألفاظ لا نكاد نعرف لها معنى، لكنها لا تكاد تستمر معنا آثارها إلا لوقت قصير ويعود الحال بيننا إلى تواد وتحاب وكأن شيئا لم يكن،

وأخذوا بالاقتراب منا يوما بعد يوم، في حديث لا نفهم جله ما أثار استغرابنا في حكايات غريبة تصدر عن بعضهم وهي بعيدة كل البعد عن واقعنا الطفولي، لكنها تهز عواطفنا هزا عنيفا، ويفترق جمعنا في حكايات لا تكاد تنهي جدلا بيننا، لنلتقي على نهاره يوم الغد ويتكرر الأمر معنا كذلك ، إلى أن بدأ يحدث ما لم يكن بالحسبان، في أمر بات يهابه الجميع، يحدث لنا عند الغطس في البركة، وشاعت حكايتها بيننا وانتشرت، حتى بدأت البركة تكون لنا رعبا، والكل يسال الكل عما بات يحدث له داخل البركة عندما يصطدم أحدهم بالآخر، وما يحس به من حرارة غريبة، دون أن تعرف صاحبك عند خروجك من الماء، وقد عم الشك جميعنا من أن هناك أمرا ما غير طبيعي يحدث لنا، ما جعلنا نهاب السباحة ونهجر البركة بلا عودة ولا حتى التفكير فيها، ولم نخبر أحدا من الكبار خشية منعنا من الذهاب إليها أو من اللعب حتى ولو كان الأمر بعيدا عنها،

ولكننا وبعد سؤال وجواب تأكد لنا بأنها مملوكة للجان وهؤلاء الغرباء ما هم إلا منهم، فهاجرناها بلا رجعة وإلا الأبد، لكن الأكيد في الأمر أن كل من مسته تلك الحرارة بات يهذي عند الكبر في غير عقل ولا تروي، ما جعل اسم هذا الشلال أو ما كان يطلق عليه يومئذ بـ : (القادوس) يقترن بكثير من خرافات مخيفة ، من التي أخذت بعدها في كثير من حياتنا يومئذ،حيث كان هذا الشلال في الأساس معدا لغسيل الصوف أو شتى أنواع الحبوب المعدة للطحين، ولكثير

من النسوة والفتية من البنات من اللواتي يتجمعن حولها ليتبادلنا الكثير من القصص الجادة منها والهزيلة المحمولة بعاطفة إنسانية قوية، وآثارا غريبة،

وفيها (عين المالحة)

ذات الماضي البعيد، المنطوي على معطيات تاريخية، وآثار مذكور،

وهي عبارة عن عين جارية أثرية لا تجف البتة، اختطها رجال صلحاء لينالوا بركتها ويحوز خيرها وفضلها، ويحققون بها ما عند الله من أجر وثواب، وتجمعت حولها العديد مما تفرق من قرى وبيوتات ومداشر، من التي باتت بها تعيش، وعلى مائها تشهد وتحمد، فهنيئا لمن بقربها يعتني، ولشرب مائها يجتني، الذي به ينال ويسعد،

وهي كما هي ومنذ عشرات السنين لا تزال وإلى اليوم من عام 2020 للميلاد موضع إعجاب الجميع، تجري من تلقاء نفسها ليلا نهارا دون انقطاع، أو عون من أحد،

ومما يحكى عنها أنها وجدت بطبيعتها هكذا، على سطح الأرض، غير أن الاستعمار الفرنسي حولها من مكانها الأصلي الذي لا يبعد عن مكانها الحالي إلا

بضعة أميال ليخرجها على شكلها الحالي حتى يتيسر للجميع الاستفادة منها، وقد صادف عملي بهذا البحث، أن عثرت على منظومة شعرية رائعة في كتاب (الوصل)[122] منسوبة لأحد شيوخها الأفاضل من الذين عظم قدرهم واتسع علمهم وجاههم، تحت عنوان[123]:

عيْنٌ لِذِي ضَمَإٍ أرْضٌ وَوَطَنُ

فإن تفخر بعينِ أرضٍ جارية　　فإن فخري بآل امهاجـــة زادني
عين أساسها العلم والقــرآن　　وفاقت في الجـوار وفي المكـان
بها ما شئت من دين ودنيا　　وشيوخ أشراف علماء أعيـــان
عظماء كــرام أمواتا وأحياء　　أعلاما في الحفـظ وعلوم البيان
أبقاها الله ساقية جاريـــة　　وسـرها في القلب أهل ووطن
وبارك في الإمام العدل منهم　　سيدي الفريح رضا عين الزمـان

فهو وصف أنطقها على حقيقتها، ومثل واقعها تمثيلا تاما، ولفضائل أهلها وقعا ودينا، في كلام بليغ، وصورة موجزة جميلة،

وقد نالت شهرتها ومكانتها في عزة أهلها، لذلك تراني اليوم أعمل جاهدا لعلني أصل من وراء هذا العمل إلى شيء ما يوصلون إلى حقيقة نهتدي بها إلى

---

[122] أنظر كتاب الوصل في ذكر رجال العلم وأهل المقامات الورقة 36 وما بعدها لأحمد بن يحيى بن المهدي بن عبد الله الحرشاوي التلمساني المتوفى عام 1236 للهجرة، مصدر سابق،

[123] مجهولة القائل، ولا أظنها لا تكون إلا لأحد شيوخ قرية أولاد سيدي القريح المهاجي، باعتبارهم كانوا أول ساكنيها من جهة، وأهل علم ولغة ودين من جهة ثانية والله أعلم، وقد عثرت عليها في إحدى المخطوطات من التي كان يتوافر عليها أحد الشيوخ من بني عمومتي رحمه الله،

أيام تاريخها أو نشأتها، كما أكرمني الله سبحانه وتعالى بهذه المنظومة الشعرية الكثيرة المقاصد والأغراض من مديح إلى وصف،

ومما يحكى عنها أن كل من أراد توسيع سقياها، إلا وكان عمله تعطيلا لعملها النافع، وكأني بها لا ترضى من أحد فضلا إلا ما أعطاها الله سبحانه وتعالى مقدارها من الماء الذي لا زالت تؤدي به حاجة الناس إليها ليس إلا،

فهي رحمة من عند الله لعباده الصالحين من هذه القرى والمداشر من التي لا زالت تتغذى بها في سنين، أدامها الله عليهم عزا ونعمة،

فبوجودها كانت لهذه الأرض الطيبة التربة والهواء، بمثابة منارة سرتها، وثمرتها التي لا زالت بها أرضها تلد الربيع والزيتون والتين والرمان على مر السنين، ولأهلها فيها أقوال، لا تزال محمولة على لسان العديد من أبنائها كقولهم فيها :(.... أن سقياها وشربها ينبت العلماء وحفظة كتاب الله، وفضلاء الرجال، ويقوي الملكة عند الصبية الرضع، ويوسع الموهبة، ويورث العلم والآداب ..)

هكذا سمعت أخبارها عن كثير من الشيوخ من الذين عركتهم الحياة حتى أصابوا من كل ذلك حظا وافرا من المعرفة والدين رحمهم الله،

وفيها مقبرة أولاد سيدي الفريح المهاجي
المعروفة - بمقبرة المالحة -

وهي مقبرة لها من العمر ما ضاعت به معالمها واندثرت، وغاب عنا ما كنا نعرفه أو نسمعه عن قبور الأوائل من الآباء والأجداد، حتى باتت نسيا منسيا تتوزعها عوامل الضياع والإهمال، وهي مقبرة كانت تكثر فيها الفائدة وتنفع عائدها عند قراءة القرآن في طلب ودعاء، فجزي الله زائرها بأحسن ما يجزى به الصالحون، وقد وصفها أحد المتقدمين من الذين كانوا متأثرين بخصوصيتها العقائدية المتينة، ورجالاتها الأشراف من الذين كانوا كبير علم ولغة ودين، قوله[124]:

فشمِّرْ وَلُذْ بآل امهاجـــة فإنَّهُمُ   لهم من كتاب الله تلـكَ الوقَائِعُ
همُ الذُّخْرُ لِلْملْهُوفِ والكنْزُ لرجَا   ينـالُ الصَّبُّ منهم ما هُوَ سَاطِعُ
هم أبناءُ سيدِي الفــريح ذرية   شموسُ فكرٍ صِدْقُ المزايا طوالعُ
لهم في المُلِمات أَسْنَى فعـــال   وهم في العلم والجاه نجومٌ لوامعُ

---

124 هذا ما تبقى لي منها بعد هذا العمر الذي توقفت فيه بقايا طفولتي وحركة نشاطها، بعد أن كنت أجمعها حفظا كتابة وتصنيفا، نقلا عمن كنا نرى فيه رفدنا وعطاءنا، المعروف بالشيخ سيدي المصطفى بالفريح المهاجي، وهي عبارة عن مقطوعة تتجاوز أبياتها العشرة أو أكثر من ذلك بقليل،

يكفيك ما في قبورها من صدورٍ ورثُوا الأصــولَ والآصالَ شُعَاعُ
فهم في المكارم والعلى همم كانوا عظائم مجد للأسلاف جوامع
فلا تبعد الأيام عنهم مـــــزارة ففراق كل معاشر له المحل الأرفع
فكم ألفت وكم آخيت في صباي وأيام لا تخفي عنهم حريقا وجيعا
ولا ترك لغيرك فيهم فؤادا عليلا لكل من بني الدنيا في الله طامع
فاكرم بهم أحرار زمان من بني عمومتي فكلهم سمـح سادة طلائع

هذا ما استطعت قراءته من مجموع أبياتها العشرة المدونة الغير المنسوبة لقائل،التي استغرقت منا وقفة طويلة في صورة تستغلق على الفهم حتى أنه لم يتوفر لنا الإيضاح لجوانبها المنظمة منذ زمن قائلها على أقل تقدير والله أعلم،

وقد كتب الله لي يوما أن أشرفت على بناء صور أحاط بها من كل جانب، حماية لها من الأرجل التي باتت تسير على قبورها غير ناظرة إلى تاريخها رجالاتها، من الذين كانوا أهل علم وفضل وتقي، ومن الحيوانات الضالة من التي ترعى كلاءها من دواب وبقر وغنم ومعز وما شبه ذلك،

وهي مقبرة لا تزال تحمل اسم ساكنيها الأوائل، المعروفة بـ:(مقبرة أولاد سيدي الفريح المهاجي) المملوءة برجالاتها وصلحائها الأخيار، من الذين دفنوا على ترابها في جوار قبر أو سيد أو شيخ أو عالم أو زاهد أو حافظ لكتاب الله،[125]، حيث لا زال التاريخ يدون مآثرهم في مجالات كانوا فيها أهل علم وعفة

[125] أنظر كتاب الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر، للدكتور قدور ابراهيم عمار المهاجي، مصدر سابق،

وهمم عالية ، ومراتب سامية، وممن اشتغلوا بقراءة العلم حتى كانوا فيه فقهاء نحويين، وهو الأمر الذي أكده لنا ابن من أبنائها الأباعد من الذي أصابهم مس بمقبرتها، حيث وجد بها في زيارة قصد التنزه والاطلاع على مآثرها الذي قيل له عنها الشيء الكثير لعله يتشرف بمعرف ما فاته من تاريخها، وما إن توقف بسيارته بساحتها الكبرى التي تتوسطها عين جارية تسمى بعين (المالحة) حتى سمح لنفسه دون علم أو استشارة لمن كان يرافقه من أقاربه، ففتح على الفور صوت مضياع سيارته التي كانت تقف إلى جانب العين المجاورة لهذه المقبرة [126] وبشيء من السخرية والاستهزاء أخذ يتابع نغمات موسيقاه بشيء من الحركات البهلوانية، في نخوة ورجولة متعاليا متباهيا غير مبال لأحد، وهو لا يكاد ينظر إلى المقبرة إلا من وراء كلمات الضحك والسخرية، ورفيقه لا زال يقف إلى جانبه حائرا مشدوها لما يجرى أمامه من فعل لا يحمد عقباه، وكأنه يعيش ظروفا غير مرضية لما اعتادت عليها طفولته من تقدير واحترام لهذ القبور التي يرى فيها رضي أبويه،

وما هي إلا لحظات حتى سمع صراخا عجيبا ينطلق وبأعلى صوت (أتركني أتركني ياهذا) وانطلق الشاب إلى وجهة غير معلومة، طالقا لنفسه العنان، راكضا صارخا معربدا لا يدري ما ذا يفعل وإلى أين يتجه، فتعجب رفيقه لحالته في غير توجع ولا ألم، من غير حيرة ولا اندهاش، متملكا نفسه محافظا على هدوئه ورزانته، لتبعه بخطى ثابتة لعله يهدئ روعه، ويعود به إلى سيارته في أمن وآمان، لكنه ظل صائعا غائبا عن الوجود ، يطلق صوتا عجيبا مدويا، شديد الغضب شديد الخوف، ملوحا بيده وكأني به يعاكس شيئا ما، والكلمات لا تكاد تجتمع عنده، فتأكد رفيقه أن ما كان يحذره منه بات يقينا، من أنه قد أصابه مس

[126] أنظر ما سبق ذكره من ص: 185 وما بعدها،

من جان، فما كان منه إلى أن أعلم الجميع من أهله وذوي قرباه بما حصل لابنها نتيجة طيش أصابه، وغرور ذهب بت بعيدا، تكبرا واستهزاء بساكني هذه القبور،

وعند حضور الأهل والأقارب نطق الشاب في صوت عجيب وكأنه شيخ يناهز الثمانين عاما أو يزيد، يشرح سبب مجيئه كونه لم يحترم جمعنا ونحن نتأهب لصلاة العصر، والكل منا ينتظر قيام الصلاة لكنه تمادى في إزعاجنا دون حياء، وأضاع عنا صلاتنا أو كاد، ما جعلهم يكلفونني ، على تأديبه وعودته إلى حقيقة نفسه، وبما قام به من تصرف طائش أعمى، الغير ألائق بأهلنا وجمعنا، الذي كان فيه سادة كرام وشيوخ أفاضل، حضورا للصلاة، وأخذ يعدد أسماءهم واحدا تلو الآخر، واصفا مكانة علمهم، حتى أنه لا يكاد ينتهي من ذكرهم في تسلسل عجيب، ووصف غريب، ثم توقف دون إذن من أحد قائلا: لنا ولهم المحبة والرحمة والبركة، وتركنا بسلام، من غير أن نرى له أثرا على وجهه أو علامات تدل على غضبه أو رضاه، وغادرنا من حيث لا نراه،

ومن يومه أخذ يؤدي هذا الجان رسالته التي كلف بها إلى جانب تأديبه ألا وهي إصلاح ذات البين بين العديد من البيوتات من التي أصابتها عدوة الخلاف والانقسام بين بعضها البعض، وهو فيها كل يوم يحل ضيفا عند من له حاجته عند خصمه، وفق خطة مرسومة بوضوح ودقة، ولا يغادره إلا والأمر بينهما قد انتهى بطريقة أو بأخرى، وظل الكل ينتظر دوره داخل هذه الأسرة أو تلك غير

تارك لنفسه أثرا يذكر، محذرا لكل من سولت له نفسه بالتعامل معه بشيء يغضبه بطريقة أو بأخرى[127]،

ولن يترك مهمته تلك إلا عند إتمام ما كلف به، وفعلا كان له ذلك بعد أن تحقق له الأمر وأتى على إتمام رسالته كاملة غير منقوصة، تخلى عنه من تلقاء نفسه بلا شرط ودون أذى، وهو الآن يعيش حياته بكامل قواه العقلية بين أهله وذويه سليما معافى والحمد لله، وهو تاريخ كتب الله لي أن أكون شاهدا على كثير مما جاء فيه من مجادلات فد تتسع لحديث طويل قد لا تسعفني فيه الكلمات للتعبير عنه، لما جاء فيه من أسرار وأمور تكاد تكون غيبية من التي لا نعرف عنها شيئا، وتضيق أخرى لكثرة ما فيها من تاريخ بعيد وثقافة محمولة بجنون العبقرية من التي لا زالت يتقمصها ويبقي الحديث على لسان صاحبه بمعانيه المتعددة، وصوره المتنوعة، ومدلولاته المتباينة، وتفسيراته الظاهرة والباطنة،

وفيها عين الحمايدة الفواقة الأثرية

[127] أنظر مقدمة كتاب الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر، للدكتور قدور ابراهيم عمار المهاجي، طبع ديوان المطبوعات الجامعية ، وهران، مصدر سابق،

وهي عين جارية لم تتبعها احداث تاريخية كغيرها مما وجد من أماكن أثرية من أرض القعدة، إلا ما كان لها من بداية تعود إلى أفراد من الذين انتقلوا إلى جوارها وسموا أنفسهم بـ: الحماية الفاقة، والتي لم يكن لهم بها عهد إلا في وقت متأخر من هجرتهم لها بعيدا عن مكانهم الأصلي من الذي كان لهم موطن سلف صالح يقدمهم في ذلك شيخهم الفاضل سيدي عبد الله رحمه الله، ليتخذوا منها دار مقام في زراعة وحرث ونسل، وهو مكان يتربع على جزء غير قليل من السهل والجبل،

وللتاريخ أقول فإن هذه العين كانت في قديم زمانها عبارة عن منبع مائ يسيح على سطح الأرض، ليس إلا، قليل الفائدة، وقد مضى عليها عصور من الزمن وهي على حالها كعين جارية لا هي ببئر محدودة العمق، ولا هي بعين واضحة المعالم، ولم تلق صدى عند جميع أجيالها المتعاقبة عليها، ولا من القبول والشيوع عند ساكنيها الأوائل، حيث ظل السقي بها جار بواسطة دلو لا يتبعه حبل لكون أن ماءها قريب من اليد، إلى أن أخذت استقرارها على قاعدة عريضة من الدلالة لمائها الشروب على يد الشيخ الطيب المهاجي رحمه الله، حيث سخر

لها من ماله الخاص لإعادة بنائها وإخراجها إلى الوجود كما هي عليه حالها اليوم، الذي به أخذت دورها الاجتماعي والإنساني، من الذي غيبت عنه في سنين، وهي فاقدة دورها وأبعادها الحقيقة كعين جارية أنطقها الله بأمر من عنده، حيث لم يتحدد لها معنى عند من جاورها من البيوتات، ولا استقر بها الحال على وضع ثابت، وهي في غير حقيقة تشكو المعاناة، في روايات متفرقة مشتتة منقولة من أفواه رجالات توارثها الأجيال من غير سند عن ماضيها البعيد وزمانها الغابر، وأيامها القريبة ، وفاعليتها في النفوس،

والله أعلم،

وفيها مقبرة سيدي سليمان المهاجي رحمه الله

وهي مقبرة تعد من أكبر وأعرق ما سبق من المقابر على أرض القعدة، حيث لا زال الناس يستخدمونها استخداما دينيا عاطفيا باعتبار ما هي عليه من تاريخ لعلماء وشهداء ورجالات صالحين دفنوا هناك، وغابت عنهم الذاكرة في طول زمن، ولكن الحديث عن البعض منهم لا يزال محمولا في حافظة الأجيال، كونها كانت دار علم وثقافة ودين، حيث كان يمثل مسجدها اللبنة الأولى للثقافة

العربية الإسلامية بأرض القعدة، وفق ما أراده لها صاحبها الشيخ الفاضل والولي الصالح سيدي سليمان المهاجي رحمه الله، الذي أراد أن يستمر وجودها على أسس من القيم العربية إسلامية، وعلى ضوء كتاب الله وسنة نبيه الكريم،

ونظرا لما كان عليه هؤلاء الشيوخ من نظرة للاحتلال أيا كان مذهبه، أنه يمثل مفسدة للدين وفساد للأخلاق، وقد ظلوا به منبهين حذرين، يتحاشون أساليبه ويستنكرون نظمه الاجتماعية وعاداته الغريبة، ما جعل الاستعمار الفرنسي أو قبله بكثير يفكر إبعاد عن نفسه خطر هذه البيوتات، بتحولها عند موت شيخها من مسجد إلى ضريح مزار في قبة ذات أشكال مخلفة، وقد استأثر بكل ما كان فيها من مخطوطات وأوراق ومستندات، ليترك تاريخها وآثارها مجهولا بين الناس، حتى صارت الكثير من القرى والبوادي من أرض الجزائر، مملوءة بنفائس هذه الأضرحة على أنواعها، بعد أن أعاد نسبتها لشيوخ فضلاء اعتاد الناس على حبها والطاعة والاحتفال بذكرى مولدها من كل عام، وأثار حول سيرهم الكثير من الإشاعات والخرافات الربانية، مستغلا الجهل في الناس، حيث لا يزالون على طبيعتهم الأولى يكونون مجتمعا متجانسا يكاد أفراده يعرف بعضهم بعضا، ويستحيي بعضهم من بعض وكأنهم أسرة واحدة، حتى استطاع أن يجعل منها مكانا شبه مقدس عند العامة من الناس والمجتمع ، وهم في غاية من التأثير في قلوبهم وعلى عواطفهم يتعاملون معه على أساس من الطاعة والخوف من غضبه هكذا باتت عقيدتهم اتجاه هذا المزار أو ذاك، حتى باتت تزدان بهم قرى شاسعة من أرض الوطن على أساس من الاعتقاد الديني والعقائدي،

وبذلك تراها وبطول زمن استطاعت أن تتخلص من هذه البيوتات التي كانت تكون لها إزعاجا وموقفا محفوفا بالمخاطر[128]، نظرا لما كانت عليه مكانتها الاجتماعية بين الناس، من العمل على نشر الوعي الثقافي الديني والتربوي، وبخاصة في هذه الفترة من الزمن التي احتلت فيها فرنسا أرض الجزائر وخروج الأتراك بلا مقاومة تذكر، وما تركته من نظام ترك البلاد وبطول زمن تمر بسحابة من الاضطراب الاجتماعي والسياسي[129]، شمل طول الوطن وعرضه، وبقيت هذه البيوتات زمان الاحتلال الفرنسي تواصل عملها كما كانت عليه زمن الأتراك، تؤدي واجبها على أساس من التماسك والترابط والتلاحم في وحدة وطنية ومجتمع عربي إسلامي سليم، مترابط الأوصال في عز وكرامة، حتى استعاد حريته من عام 1962 للميلاد،

[128] أنظر تفصيل ذلك في مبحث (الوعدة في بعدها التاريخي والاجتماعي) ص: 188 من هذا التأليف،

[129] أنظر كتاب (تاريخ الجزائر الثقافي الديني السياسي و الاجتماعي)، ص: 83 الجزء الأول من المخطوط، مصدر سابق،

الوعدة في بعدها التاريخي والاجتماعي

إن المتتبع لتاريخ أرض القعدة من بادية امهاجة عبر تاريخها المديد، في قديمه ووسيطه وحديثه، لا يستطيع أيا كانت مرجعيته أو ثقافته أن يستدل على شبيه لظاهرة (الوعدة) التي أصابت القعدة من بادية امهاجة، وبكثير من البدع والخرافات، حاملة معها ابتداع عقائد وطقوس باتت تهدد مجتمعها العربي الإسلامي الأصيل، الذي وهبه الله سبحانه وتعالى الكثير من الخلال الطبيعية، والمزايا الرفيعة من التي ألبسها الله سبحانه وتعالى بها لباس التقوى والصلاح، والمكانة المرموقة بين أماكن العلم وأهله من أرض الجزائر والمغرب العربي بعامة، حيث كانت يومئذ، من أكثر الناس دأبا في طلب العلوم الدينية واللغوية وحفظا للقرآن الكريم، حتى باتت تعد مركزا دينيا للفقه الإسلامي هي فيه من أهل السنة والجماعة، وقد نبغ فيها علماء أجلاء[130]، وشيوخ أفاضل من أهل الحفظ والرواية والدراية،

ولعل السبب في دخول هذا الوباء إلى هذه الأرض الطيبة، يعود إلى فقدها للكثير من هؤلاء الشيوخ البررة، من الذين كانوا على درجة كبيرة من الوعي الثقافي والدرس الديني واللغوي، حيث كانوا رحمهم الله يتمتعون بعلو قدر، ومكانة عالية السند في العلم والجاه، واقفين وفي طول زمن كسد منيع لكل طارئ يحدث مثل هذا الوباء المتمثل في (الوعدة) الوارد إليها عبر أناس جراء احتكاكهم بمجتمع

[130] أنظر كتاب (الوصل) الورقة 33 من المخطوط، مصدر سابق،

مصاب بالجهل والتمزق والتهور وروح الرذيلة، متمذهبين بمذهب العوام الخالي الذهن، من الذين لا يزالون يعيشون على بقايا اجتماعية للاستعمار من التي ليست من العادات والتقاليد العربية الإسلامية في شيء، اتبعوها يوما إما تنفسا عن رغبات مكبوتة، أو عادات كانت لهم على نمط ما نراه في كثير من العادات الجاهلية الأولى من التي شابه الانحراف الاكتسابي أبا عن جد، أو عن طريق محيط اجتماعي لا زال يئن تحت وطأة التخلف الذهني المليء بالبدع والخرافات، وكثير من القيود والاعتبارات والتقاليد التي كثيرا ما كانت تضيِّقُ الخناق على الإنسان وتمنعه من أي تطور اجتماعي إنساني، أو ما كان منها عن طريق الاستعمار الفرنسي يومئذ، الذي كان سببا في استحداث هذا التيار الذي بات دخيلا على أرض القعدة، بكامل ما يحمله من تخلف اجتماعي، من الذي لم تشهد لها مثيلا عبر تاريخه المديد، وغيرها من الظواهر كثير من التي أصبحت تتعشش في كثير من بيوتات في جار وجوار، من التي أصابها الكثير من الفجوات الاجتماعية والاختلافات بين تفكيرهم وسلوكهم ما أدى إلى استفحال واسع في ازدواج الشخصية، نتيجة جهلهم بالتعاليم المثلى التي جاء بها الإسلام، دون أن يدركوا الفرق بين عاداتهم وتقاليدهم العربية الإسلامية،

وقد نال هذا الوباء العليل شهرته ومكانته في أعين الناس، حتى بات من المفاخر عندهم حديثا، يتباهون به في المناسبات، وعند التجمعات، ويحترمون من يجاريهم حبهم له، ويعادون دون ذلك، وقد بلغ شهرته ومداه الشعبي بين العامة حتى أصبح أو كاد، أن يحل محل الأعياد الدينية أو الوطنية، وقد لقي من التأييد درجة بحسب اختلاف العوامل النفسية والثقافية والاجتماعية لهذا المناصر أو ذاك، وهو ما بات يعرف بـ : (الوعدة) التي هي عبارة عن تجمع عام يحضره القاصي والداني، من القرية وخارجها، تعرض فيه الكثير من العقائد

والطقوس في بدع وخرافات بهلوانية، حتى باتت أمرا غير طبيعي من حيث الاستغراب والاختلاف، وتضارب أقوال وتناقض روايات أخبار، من التي ما أنزل الله بها من سلطان، مما أثار عند الكثير من أناسيها نوعا جديدا من ازدواج الشخصية من التي كانت أشد وطأة في البادية أكثر منها في المدن [131]، كما هو الحال عند الخاصة من الذين تجاهلوا بعدها الثقافي الديني والاجتماعي، كونها لم تنشأ نتيجة عرف اجتماعي أو معتقد إسلامي، أو فتوى دينية، وقد ساعد على الترويج لها الاستعمار الفرنسي يومئذ عن طريق أناس من أدعياء جهلة من الذين آمنوا بزيف عقائده، من التي تدعو إلى التخلف والانحطاط الخلقي والأخلاقي، وقد حملوا لواءها في زعامة فكر وعقيدة، وتولوا قيادتها في كثير من السمات المجهولة، والصفات العجيبة، حتى باتت مطبوعة في أذهانهم بطابع الإحساس العجيب، والشعور البليغ، والعاطفة الهوجاء، في فخر واعتزاز، وألبسوها لباس الأحاديث المشبوهة من التي أصبحت تتلى في كثير من مواسيمها السنوية، أسوة بالأعياد الثقافية أو الدينية من التي نزل فيها القرآن كريم أو السنة النبوية الشريفة، أو ما جاء به الأثر من موروثها التاريخي والثقافي،

ومن العبث أن تفرض اليوم على العامة أو غيرها من الناس أمرا باتت عقيدتها عميقة في نفوسهم، أو حملهم على تغيير موقفهم منها بأي حجة أو وسيلة كانت، وذلك بما استقر به حالهم في رضا نفسي، أو استجابة لبواعث دفينة، أو موضوعات لا يرضاها الكريم لنفسه، ولا العاقل المعروف برجاحة الرأي، ولا العاقل المسدد فكره، وأصبح الكل شريكا في هذا الهرج والمرج، وجهاء من

---

[131] أنظر الجزء الثالث من كتاب (تاريخ الجزائر الثقافي الديني السياسي والاجتماعي) مصدر سابق،

أعيان هذه الأمة كانوا أم خواصها، من الذين باتوا مناصرين لها في أهاجيز فلكلورية ومزامير في طبول وزغاريد تتسع لها حناجير تسمع هنا وهناك طربا وفرحا، وأناشيد أخرى في دين وخرافات لا أول لها ولا آخر، تنشد في جماهير محتشدة دعاة وأنصارا كانوا أم زوارا، وحتى من اختلاف الخصوم، هاتفين بأناشيد تجمعها ساحات كبرى، وشوارع ذات فروع وأزقة، وقد صَحَا الكل عند صبحه على صوت ينادي بتقديم الطعام والشراب وحسن الاستقبال للزائرين أيا كانوا، معتبرين ذلك صفة من صفات الكرم ومعالم الرجولة والشجاعة،

وينتهي بهم يومها بما انتهت إليه سيرتها في شيء من الفرح والسرور، معددين مناقبها في كثرة توافد الغرباء وذوي القربى إليها، غير مبالين بما أتت عليه من ألا فائدة تذكر، أو نفع يدفع الناس إلى معرفة دينهم وخصاله الحميدة من التي لا زالت تدعو إلى تعلق الناس ببعضهم البعض، والتماسك والتحاب في سيرة مرضية وأخلاق حسنة، حيث الرحمة والإنسانية والتقرب إلى الله، غير ما هم عليه من ذكر لمحاسنها دون سواها،

والواقع أن مثل هذه الأوضاع التي خلفها الاستعمار (كما هو الحال في ظاهرة هذا الوباء الدخيل المتمثل في هذا التيار الفاسد المسمى بـ: (الوعدة) من التي أخذت بعدها ألانحرافي والأخلاقي، في واقع حال، وأمر عجيب، حتى ذهب بالبعض من الحضور ودون شعور، أن يتقوس أمام أنظار الجميع في حركات ويتحذلق في كلام طربا وفرحا،

كل ذلك وغيره كثير وصلني يومها في روايات وأخبار من التي لا زال الناس يولونها أهمية كبرى في أحاديث متشعبة، من التي بات الجميع ينظر إليها على أنها عبارة عن تنفيس عن الضيق الذي بات يعانيه الإنسان بين جدران محيطه الاجتماعي والثقافي، وهو الأمر الذي اشتد بي غضبا وزادني ألما وحصرة، وقلت

في نفسي أين كان هذا الوباء مخبأ لهذه الديار التي كانت يوما من أكثر البيوتات محاربة لهذه البدع والخرافات،

لقد أتتني أحداثها أولا بأول، من غير طلب ولا ميعاد، ولا سابق خبر، والجزائر تعيش وباء اجتاح أكثر مدنها وقراها، حتى كان فيها أشد فتكا وضراوة، الشيء الذي بعث في نفسي نزعة الحزن والشكوى من هذا الزمان وأهله، ومن هنا جاز لي القول إن أرض القعدة هي الأخرى باتت كغيرها بيئة سهلة للعدوى، وكأني بها نوع من القضاء والقدر الذي كتبه الله عليها في زمان والذي لا مناص منه، دون أن يأخذ أحد بيدها، فأوحى إلي ظاهرها بهذه الأبيات التي جاءتني على عجل وبكثير من غريب اللفظ وجزيل العبارة، غداة سامعي بظاهرة الوعدة التي كانت أرض القعدة ساحتها الكبرى، حيث نزل علي خبرها حينئذ كأمر جليل الخطب، عظيم الأثر، حيث ظللت أردد كلمات كأسرار في علا، لعل الله يخزي من استحقر أرضها، وأباح ترابها، وأهان علماءها وأخيارها، وواصل أوائلَ رذائلَها بتواليها، طالبا من الله العلي القدير، أن لا يجِفَّ لسانٌ من ترديد الويل والعذاب لمن سعى إليها أو كان سببا في أمرها، أو لمن لا يزال يتبارى شقاقا وخلافا في جماعة وفرادى ومشتاه، وأنا أقف على أبواب الانتهاء من تأليف هذا الكتاب الذي أسميته كتاب: (الأثر الآفل والكفيل الغافل، بعدٌ ثقافي وتَوَاصُلٌ إنساني فِي حُلَى أَرْضِ الْقَعْدَة ـ من بادية امهاجة، أنطقني الله بما نطقت به من إنشاد في مثل هذه الأبيات، لأوضح المقصود من هذه الظاهرة التي لا زالت جذورها تتعلق بكثير من طقوس الأيام الغامضة من الجاهلية الأولى، وأنا العارف بمحاسن أرض القعدة، وأحفظ الناس لتاريخها حسبا ونسبا، فقلت هذه الأبيات وأنا على قدر من قول الشعر زهيد،

غاية المـــــدح في حلا أرض القعـدة صب لا يتناهي بين أغــوار وأنجـــاد

دع ما تــــراه عيناك اليوم من تـلاهِي   استهـزاءً عبثا بكل موروث تَلِيــــدِ
عجبا لمن آمن بالوعـــدة دينا وإحسانا يكفيـــك أكثر ناشديها لاحـق مقلد
كم من جاهـــــل كان لها دوما مـددا   ونسي ما عنــد الله ما هو موعـــود
عجبا لمن جاز الإبـــاحة فيها جهـــرا   لهـوا حينا وإصغاء لذي منشـــود
ما فيها من له بمكــــارمها معرفــــةٌ   أعــلام علم بها وتاريـخ ممــــدود
أرضٌ وَرِثتْ العليـــــاءَ حسبـــا   حتى بات الذكــــــرُ لها مَنْشُــــود
ما رمتُ فيها إلا ســـماعَ آيـــاتٍ   يـروعُ السَّمْــــــعُ منها والفـــؤادُ
هم أنـــاس تجَمَّعُـوا فِرقًـــا ها هنا   نُسُكًا وأصبـــــح من بها محمــــــود
فيها من الريـاضِ بيوتـاتٌ وكتاتيبُ   يظـــل الذكْـرُ والإحسـانُ بهما يتجددُ
رُفِـع الآذان على أرضها شـرفا سماءً   عِـــــزا مجْــدًا وســــــــــؤددَا
حملت لواء الجهـــــاد رفقة الأمير   كابرا عن كابر شرفــــــاء أمجـــاد
فلا تلمني ياصاح عن قول به غضب   فأيام شبيبتي لا زالت بها خضـلٌ يميد
لقد أعطاها ربُّهَا واســـــعَ علمه   فانهضْ ونوّرْ عقُولَهَا المُصْفُـــــودَ[132]

وكأني بذلك أريد أن أقول إن هذه الأرض التي كانت بالأمس القريب، تستمد معاييرها الخلقية من التعاليم الدينية السامية، حسبما كانت عليه أصولها الأولى، ها هي اليوم تسير على ما يناقض تلك التعاليم والقيم، في كثير من عاداتها ونسكها حتى باتت لا تدرك ذلك ولا تشعر بما أصابها من غبن وظلم وحيف، بسبب من دعاة جهلة كانوا لها في دعوة واستخفاف بحق ما أمرنا الله به من معروف، وما نهانا عنه من منكر، فالدعوة إليها والحضور لها لا يكاد يجني منه

[132] المصفود: المقيدة المشدودة

صاحبه سوى لحظات عابرة من فرح في بسمات وغمزات وطرب ولهو ولعب مما لا يساوى عند الله وعند النفس النقية الطاهرة شيئا،

ولا زال الكثير من بنيها ينحى حديثها الخرافي العجيب الرهيب، وهم فيه على قدر عقولهم منسجمين مبالغين، وبإيمان غليظ يلجأون إليه ساعة القسم في جهل ودين، بتأييد هذه الظاهرة الدخيلة، وبات الكل يعتقد على أنها في عمومتها تراث بدوي يجمع الناس في ترابط وتحاب وتواد، الذي يؤدي إلى ظهور نوع من التأمين الاجتماعي بين الأفراد والجماعات، هكذا ؟

لقد جاء في الحديث المأثور (المرء مدفون بعمله) فالعامة من الناس لا يفهمون هذا الحديث ولا يستطيعون أن يقتنعوا في قرارة أنفسهم، أنه ليس في مقدورهم أن يقيموا عقائدهم على أساس من المنطق أو التفكير، أو ما يتلقونه من توجيه ديني أو نصائح على غير ما اعتادوا عليه في حياتهم الاجتماعية، إذ أنه ليس من السهول بمكان أن تقنع غيرك بصرف النظر عن هذا التناقض الاجتماعي الدخيل الفاسد بأي وجه من الوجوه، حتى ولو كنت واعظا أو مرشدا أو مربيا صالحا،

لقد كان ولا يزال أهل الإصلاح من العلماء العاملين، في مجتمعنا العربي الإسلامي، جادين قائمين على محاربة الخرافات والعادات البالية، والبدع الضالة المظلة، والملل والنحل الوافدة، من التي أفسدت التاريخ والدين، وأضاعت حقائقه من غير تضييع، والتي كانت في مجملها أقرب إلى الفساد منها إلى جانب الصلاح[133] أو الإصلاح، حيث كان الكل قائم في مجال اختصاصه في العمل على النهي عن المنكر، والتمسك بالمبادئ الإسلامية وقيمه العربية البدوية الأصيلة،

---

[133] تاريخ ابن خلدون الجزء الثالث ص: 876 – 877 وما بعدهما،

التي ورثناها عن السلف الصالح من الآباء والأجداد، ولكن الابتلاء يأتيك من حيث تدري أو لا تدري،

لقد ابتليت الجزائر باستعمار يحمل حضارة حديثة العهد في بعد عقيدة ودين، حاملا معه بعده الثقافي والاجتماعي، وأعوان كانوا له في سر وعلانية، شدة وقوة، مقيمين ثابتين سائحين ومتجولين،كل حسب ما أوكل إليه من عمل أساسه التأثير الفكري والدعوة إلى المد الثقافي الاستعماري،

لقد نشأ أهالي أرض القعدة من بادية امهاجة في بيئة مليئة بكثير من العادات والتقليد والأعراف العربية الإسلامية، نشأة كانت لهم منذ طفولتهم الأولى، حيث وجدوا آباءهم يتبعونها ويمجدونها، فتمسكوا بها على الرغم من تغير الظروف وتباعد الأزمان، حيث كانوا أكثر الناس هياما بها والدعوة إليها في كثير مما كانوا يتلقونه من درس ديني وخطابات وعظية، ومجادلات ذات التنوير الفكري والتقارب العقائدي، الشيء الذي أبعد عنها الكثير من الخرافات والشعوذة من التي لا صحة لها في شريعة ولا دين غير ما اعتادوا عليه في حياتهم الاجتماعية، من حيث ما ورثوه من مزايا السابقة الذكر ، إيمانا منهم بأن الله سبحانه وتعالى أمر عباده، باتباع طريقة المجادلة بالحسنى في محاورة الناس وإقناعهم بهذا التوجيه أو ذاك، كما جاء في قوله تعالى من سورة النحل: (.. ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن..)[134] فالعادات والتقاليد هي في الحقيقة ظواهر اجتماعية أكثر مما هي أفكار مجردة تُملَى نتيجة ظروف اجتماعية أو نفسية، حتى بات الكثير لا يطمئن إلى شيء ولا يرضيه حال، لكثرة دعاة خانهم الحظ في الحجة والبيان، وقد ضاعت الحقيقة بين هؤلاء وهؤلاء،

[134] الآية : 125 من سورة النحل،

أما دعاة النهي عن المنكر والأمر بالمعروف فيها، كانوا على درجة من الاختلاف، منهم من كان غير ثابتة على رأي واتجاه، لكنه على عقيدة راسخة ويقين ثابت، من أن العمل بها جائز لكنه غير مشروع، من حيث شدته فيهم حسب اختلاف ظروفها الاجتماعية المؤسسة لها، أو المحيطة بها ، دون رأي ثابت أو توجيه سليم، أساسه العلم والدين ليس إلا،

وآخرون ذهبوا مذهب العامة في جهل وتعنت، على أنها ظاهرة اجتماعية سكنت أعماقهم بكامل ضعفهم وقواهم، تباعا لاختلاف عوامله النفسية والاجتماعية، كونها لم تنبثق من طبيعة ثقافة اجتماعية، ذات نبع مكين، ومكانة أصيلة،

ما جعلها تتمكن بطريقة أو بأخرى من ذوي النفوس الضعيفة كمثل تمكنها من نفوس أصابتها عوامل الفوضى في بدع وخرافات ومنافع خاصة، وقد وجدوا في الجديد من هذا الوباء إغراء قويا بات يدفعهم نحو النفرة من كل ما يدعو إلى الإصلاح والتهذيب النفسي، نتيجة ما أصاب أذهانهم من فراغ ديني وبعد ثقافي واجتماعي، ملأها حياتهم حيرة وقلقا، في التباس رهيب وتقلبات عجيبة، جريا وراء نزعات فكرية متضاربة لا تكاد تتشابه فيما بينها إلا من حيث القلق والاضطراب، لأن الحقيقة فيها غير ثابتة، ورغم كل هذه الشبهة والاختلاف من التي لا زالت تصيب الإنسان خوفا من أي تغيير كان، من الذي لا زال يطرأ عليه بين حين وآخر، كحبه للخير والدعوة إلى شدة التمسك بتقاليده القديمة من التي اطمأن إليها منذ زمن بعيد، دون غيرها من القيم ذات الشبهة والاختلاف،

وآخرون ، ممن كانوا ولا يزالون يسيرون على غير هدى من الله، وباجتهاد قِوَامُهُ، هل الدعوة إليها حلال أم حرام، فكان أن انقسموا على منوال من انقسمت

عليه العامة في جملها، فنزل البعض منهم عند رغبة البعض الآخر في الدعوة إليها اتباعا غير مبال من كونها أن غايتها التسلية ليس إلا، و باتوا يتحذلقون بها على غيرهم ممن جاوزهم درجة تأثرهم بها، منتقدين الغير على تركها والابتعاد عن مقاصدها،

ولعلني لا أبالغ إن قلت أن القعدة كانت على الدوام بلد الإصلاح في دين وعقيدة وفكر ناضج، والاعتزاز بما تحمله من مجد تليد في تربية وثقافة وتكوين، وفقهاء وشيوخ كانوا لها من أكثر الناس تنافسا[135]،الشيء الذي جعلها تعيش آثار الحضارة العربية الإسلامية في كثير من أبعادها التاريخية الثقافية والاجتماعي،حتى بات لها اسم معلوم، ورأي مذكور،

فيكيف لهذه الأرض الكريمة أن تبتلى اليوم بهذا الوباء المسمى بـ (الوعدة) الذي اجتاح أرضها وبات يساعد المشعوذين من أتباعها تحت ستار الكرم والشهامة وعلى كثير من وجوه حسن الضيافة، ما جعل الصراع يقوى ويشتد في تنازع وتنافس بين مؤيد ومعارض، ولا زالت الأصوات ترتفع بالدعوة لنصرة هذا أو ذاك، حتى عاد بعض المهرجين لها يتفننون في كثير من أساليب الحجة والتبرير، فهذا يستأجر من يغني لها ويمدح، وذاك يتفاخر بقراءته قصص عنترة العبسي وأبي زيد الهلالي وحمزة البهلواني وغيرهم كثير، وآخرون في أناشيد شعبية بهلوانية، وطبول وزغاريد ورقصات في اهتزاز للبطون والتواء الارداف،

فهي بحق ظاهرة دخيلة وليست في شيء من عاداتها وتقاليدها من التي توارثتها الأجيال في سنين، بعيدة كل البعد من الفطرة التي نشأت عليها أهاليها منذ طفولتها الأولى، من التي لا تتجاوز عندها الإيمان بالله واليوم الآخر وكتبه

---

[135] أنظر ص: 39 وما بعدها من هذا التاليف،

ورسله والقيام بالصوم والحج والزكاة على طريقة لا تختلف كثيرا عن تلك التي كان عليها الأسلاف في صدر الإسلام،

فالإنسان بطبعه يتأثر بظروفه الواقعية أكثر مما يتأثر بالأفكار المثالية التي يوعظ بها، في الدعوة إلى النصيحة والرشد والسبيل السوي، فهي لا تجدي شيئا ما لم تكن ملائمة لظروفه الاجتماعية الواقعية المنسجم معها في كثير من أبعادها، وما هذه العادات المكتسبة اليوم، البعيدة عن التعاليم الإسلامية المليئة بكثير من العقائد والطقوس ذات الشبهة والاختلاف، التي لا تزال تهدد المجتمع الإسلامي بابتعاده عن تعاليمه وأصوله،

فالقعدة وباديتها كانت ولا تزال مليئة بالأخلاق الفاضلة، والعادات الحميدة في ظل تمسكها بكثير من فضائلها العربية الإسلامية، وها نحن اليوم ونحن نستمع إلى هذا الجيل وهو ينظر بنظراته البعيدة للحياة، التي يذهب فيها بعيدا إلى الضد في كل ما هو عجيب غريب، وقد أذن لنفسه الحديث عن كل شيء بمعرفة أو بغير معرفة، في فراغ ديني، وبعد ثقافي، باذلا الجهد في الإتيان بالأدلة الواهية في تناقض واضح بين واقعه الاجتماعي وطبيعة

سلوكه التي لا زالت تدعوه إلى عدم الامبالات، في قيم ألا أخلاقية، ولا ثقافة اجتماعية، فارغا جهده في الدعوة إلي مسايرة الجهلة من أنصار الشعوذة والبدع والخرافات كانوا، أم من غلبة هواها، وسار فيها سيرة جهلة لا يستطيعون أن يكشفوا أوجه الخطأ من الصواب، زاغت فيها الأهواء وغابت عنها العقول، حتى باتوا رجالاتها أطفالا في كِبَرٍ، وصغارها رجال في صغر،

مثل هؤلاء وغرهم كثير، هم الذين باتوا يمثلون حياة لا زالت تجلب الانتباه لشذوذها وخروجها عن المألوف، باتباعهم ما ابتدعه الاستعمار من بدع وخرافات في ظاهرة (الوعدة) من غير روية ولا تفكير، فكانوا لها حقيقة ذات وجهين،

فمنهم من غلب عليه دافع الوفاء والإخلاص لها، ومنها من غلب عليه طابع الانتهازية والبحث عن مصالح ذات نفع وغاية،

وبذلك باتوا يختلفون في نمط شخصياتهم اتجاهها تبعا لتفاوت مقدرتهم على التجاوب مع ثقافتها التي جاءته نتيجة ظروف وعوامل نفسية اجتماعية أسس لها الاستعمار جوا من التباعد والاختلاف في نطاق مجتمع ضيق لا يعرف سواها، ما جعله يختار من الحياة أبسطها بمقدار ما يملك من جهد تصارعت فيه بداوته بكامل مركباتها وخصالها حياة وسلوكا، ، كونها كانت عنده من أبسط الضروريات اللازمة للعيش وللحياة، وهو فيها غير مدين ولا مدان لأحد، فنال بذلك حياة لا يهمه فيها إلا عزته وكرامته،

لقد فرضت عليه هذه العادة دون علم من أحد أو سابق ثقافة، فاستساغ أمرها وهو على يقين بأنها لغير الله فرضت، وسماها تبعا لما اعتادت عليه العرب من كرم وحسن الضيافة بـ : (الوعدة) فبات المتخلف عنها بخيلا جبانا يعيش بين نارين، نار الحاجة للقيام بواجبه اتجاه ما يطلب منه،

ونار الامتناع في عدم التصديق بها، حتى ولو كان التخلف عجزا ماديا لا يشفع له عندهم، مما سبب للكثير ارتكاب دين بات به مطلوبا عند من داينه، حتى لا يلحقه غضب الجار أو ذوي القربى، أو من الصحبة الأخيار، أو حتى من الأولاد والبنين وأهل الدار،

وقد نصبوا لها الخيام وفتحوا لها الأبواب، وهيئوا لها من البشر عددا غير قليل، وامتلأ جوها بكثير من الزوار القادمين إليها من كل حدب وصوب، في أهاجيز من هرج ومرج، والكل ينشد جوها، ويتفاعل مع نغماتها حتى باتت البيوت فيها فارغة من ساكنيها ، إلا ما كان لها من قيم تحرمها، أو عادات تحدها،

أو ثقافة تنبذها، وبكثير من المبالغات والأساطير يذكرون عددها الحاضر، وطعامها وأكلها وشربها الشهي الوافر،

وأمام كل ذلك فالبدي بطبعه كريما مضيافا يتمنى أن يكون الضيف عنده رفيع الشأن، ليكون الطعام المقدم له وفيرا، وهم عنده ينعمون بتناولهم أفانين الطعام الدسم من الذي لم يعتادوا أن يتناولوه في بيوتهم إلا نادرا، معتبرين ذلك ارتفاعا لشأنهم، وتشييعا لأخبارهم، والكل فيها قائم بواجب الضيافة ليس إلا، ولقد صدق من قال: (غيِّرْ ظروفَ الإنسان تَتَغَيَّرْ أخلاقه)،

و من حيث لا يدرون عن مصدرها شيئا، على أنها عبث من عبث الاستعمار الفرنسي التي كانت الدعوة إليها طيلة وجوده بأرض الوطن من أهم المهمات عنده وأوجب الواجبات، هدفها الدعوة إلى التخلف والاستبداد الذي به حكمت البلاد في سنين، وقد انتفع معها الكثير ممن أعلنوا الدعوة إليها جهارا، حتى كانوا لها دعاة وأنصارا، وكأني بهم قد نشأوا منذ طفولتهم على أخلاقها،

وقد سخر لها أعوانا محجوبي الصدر عن كل ما هو مقرون بالعقل الناضج، والتفكير العميق، ومونها بوسائل عديدة كالمال والجاه والعنصر البشري، وأمور أخرى ذات طابع إنساني واجتماعي، تكمن في تقديم خدمات واهية للمتطفلين منهم والمستضعفين، في استطراد مقبول، واستعراض مشهود، حتى بلغ بهم هدفه المقصود في جعلها عيدا مفروضا من كل سنة، جاعلا على رأس كل قرية أو دشرة أو مدينة قبة، يعود تاريخها لسيد أو عالم أو زاهد معروف، وقد انتشر سر هذه القبب بين العامة بكثير من (الأساطير) حتى بات الجميع في غير حاجة إلى التحقيق التاريخي حول من يكون صاحب هذا القبر أو ذاك، أكثر ما هم في حاجة إلى القبر ذاته، كمزار يقصدونه في حاجاتهم ويتبركون به ليس إلا،

ونستثني من هذه القبور، قبب زكاه أئمة البلد وشيوخها بما شهدوا لهم من كرامات في تقى وصلاح أثناء حياتهم وبعد مماتهم،

واليوم وقد تعشق ذكراها كبير القوم وصغيرهم، وباتت عندهم ظاهرة اجتماعية في كثير من طقوسها الدينية، راسخة معقودة على جبين كل من لم يسعفه الحظ من أن ينهل من معين الثقافة العربية الإسلامية، في اعتقاد منه على أنها ظاهرة دينية تربوية ذات طابع إنساني واجتماعي، الغرض منها السعي لإحياء ذكرى رجال عرفوا بأعمالهم الصالحات، من الذين تيسر لها الظهور في أماكن عدة من أرض الوطن، وقد أصبحت لهم مقامات للعبادة ودور للثقافة، وباتت مكانا للتبرك واستجابة الدعوات هكذا باتت صورتها عند الجميع قولا وفعلا،

وها هي اليوم تجري مجرى الطلب كظاهرة لا زال يقتفي سيرتها أناس سلكوا طريقها في وهم وضلالة، وصنعوا منها حدثا تاريخيا، ألبسوه الكثير من نشاطات فلكورية، ظاهرها اجتماعي، يغلب عليها الأسطورة الخيالية الممتعة للعقل والفكر وللخاطر معا، فلا هي بدين بما تقتضيه ظاهرته الدينية، ولا هي بتاريخي تحيي ذكراه ذكرى ما جاء فيها من مآثر في سير وأخبار، وطرزوها بكثير من الخرافات والبدع الهزلية، في طبل وزرنة وألعاب بهلوانية، فيها الأفاعي السامة، من التي يلبسها السحرة وأهل البدع والخرافات لباس عالم الشياطين والسحرة، وخوارق وسبحات ما أنزل الله بها من سلطان، كتلك التي نراها على الشاشة الكبرى لدور السينما والمسلسلات الاجتماعية، أو ما شابه ذلك،

لقد مرت هذه الظاهرة بمراحل تاريخية عند الاستعمار، في أوسع حال وأعلى رأي بعد أن وجدت في صنيعها رتبا في دلالات وعلامات انخدع لها الكثير بسرابيلها، ووقع في حبائلها شخصيات ورجالات فيهم الراكع الساجد، وفيهم المادح الماكر، وقد سلموا أنفسهم لها من غير عناء، وباعوا ضمائرهم، وساروا

سيرتها، وواكبوا سياستها في بديع أعمالها من التي لا تصلح إلا لفساد عقيدة، أو سوء طوية، وحملتها مع من رأت فيهم تأدية الأمانة في حرس تامة، وحفظ كامل، من غير تأخير ولا إبطاء،

وقد عبأ لها الاستعمار وبطول زمن الكثير من صغير الأمر إلى كبيرهم بخطط واهية، و أفكار بالية مهموزة، من التي حلت محل الأنساب في شرف وعز وكرامة من القوم، وجرت مجرى التسامي والألقاب، التي تكاد أسافلها تهتز من أعاليها، لاستواء أصولها برؤوسها، حتى انتهت في النضج بما هي عليه اليوم بمنتهاها المادي والمعنوي، في الرواج لها وبكثير من الوسائل من التي تتفق وهواها، حتى أصبح الكل يراها جزءا من معتقده الديني، وتزايد عدد الداعين لها، في ذهن ثري مملوء بكلام في أعذب أوصاف وأحلاها،

ويبدوا أن هذا الابتلاء الذي أصاب أهل القرى والمداشر والأرياف من أرض الجزائر بالكثير من التخلف الإنساني، الفكري والثقافي، أكثر ما أصاب مما أصاب قراها الكبرى لما فيها من جهل ثقافي وتخلف ذهني، وقد أمدها بكثير من أسباب الحياة ودوافعها الاجتماعية، ما جعلها تتغلغل في أماكن عمها الجهل وطغى عليها الفقر، حتى أصبحت الأنفس تتطلع إلى صورتها بما أفادت، نظرا لما هي عليه أهاليها من بساطة دينية أو فراغ نفسي، مما جعلهم يتأثرون داخل هذه المراقد أو تلك القبب التي لا زالت تبعث فيهم الثقة النفسية، وهذا أمر له أهمية غير فليلة في شفاء الأمراض وحل المشاكل، وبذلك وجد الاستعمار الفرنسي يومئذ ما يلائم طابع هذه الأمة ثقافيا واجتماعيا، حتى تبعد عن المطالبة بحقوقها في الحرية والاستقلال، وتبقى أسيرة خرافات وبدع لا تسمن ولا تغني من جوع، وهو الأمر الذي أيده الكثير من علماء النفس، من أن شخصية الإنسان تتكون في طفولته عادة، حيث تنغرس فيه منذ أعوامه الأولى أكثر الصفات التي

تظهر عليه في كبره، حيث جذور الطفولة تبقى كامنة فيه، وهي التي تلون تفكيره وسلوكه عند الكبر على وجه من الوجوه، فمنهم من لا يزال قلبه عامرا بالإيمان كما كان في طفولته متشبعا بروح ثقافة الآباء والأجداد ،ومنهم من يجد نفسه عالة على مجتمعه في كثير من مقوماتها الثقافية والاجتماعية، إما في عادات وتقاليد واهية، من التي باتت عند وغيره كثير محدودة الفكر، ميالة لمقتضيات ظروفه وحاجاته النفسية من التي كانت سببا في جعله يعاني صراعا بين قيمه الطفولة حينا والرجولة حينا آخر، وقد ضربت على تكوينه الاجتماعي نطاقها عليه، وشملته بكثير من قيمها ومركباتها وطابعها العام، حتى أنه لم يجد في نفسه الطمأنينة والتفاؤل اتجاه ما يعترضه من مشاكل الحياة وأخطارها،

ولكنه ـ والحال هذه ـ أنها لا تدوم على حال ولا على وصال، لما أتت به هذه الظاهرة المسماة بعاميتها بـ : (الوعدة) من هوان وصغار، لأرض كانت على الدوام واقفة بأعمالها الصالحات في وداد ومحبة واعتقاد، في أمور كانت ولا تزال عند سلفها الصالح خير مقال في الذكر والوصال،

لما بلغته هذه الأرض من مجد عبر عهود على يد الأولين من الشيوخ الفقهاء وحفظة القرآن الكريم، من الذين كانوا فيها أئمة للحديث والفقه واللغة والآداب، والعمل صالح، من الذي لا زال يرتفع إلى الله ثوابه، وعلى طريقة يتنافس عليها المتنافسون في هداية ودعاء، حتى نالوا بذلك درجة من النبل والتعظيم، في قلوب الكثير من أهل المدن والقرى والبيوتات والمداشر المجاورة لها، وأصبحوا بها في الذكر من الدرجات مشهورين، وذلك بما أنشئوه من أماكن للعبادة والتعليم والتحصيل، في مساجد أخذت مكانها في العالم العربي والإسلامي

يومئذ،، كمسجد الأزهر[136] الشريف بمصر، ومسجد عقبة بن نافع[137] بالقيروان، والزيتونة[138] بتونس، والقرويين[139] بفاس بالمغرب الأقصى، وحركة الإصلاح الوطنية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين[140]، وما كان منها لمؤسسة لشيخ الطيب المهاجي[141] رحمه الله بالمدينة الجديدة بوهران، وما كان له فيها من دروس تربوية دينية، ومن وعظ وإرشاد، في وقفات وطنية، تميز بها عن غيره من مشايخ العلم يومئذ، والتي كانت غير موجودة ضمن المناهج الدراسية من التي كانت تتوافر عليها بيوتات العلم يومئذ في كثير من أماكنها،

وما أقرأ فيها من فنون الآداب ، وعلوم اللغة والفقه والشريعة والدين، وقد أمه طلبة العلم ومريديه للأخذ عنه والتتلمذ علي يديه، وواظب رحمه الله على الجمع فيه شهر رمضان الكريم وأيام الجمعة والأعياد، يتولاه بنفسه، خدمته

---

136 تأسس جامع الأزهر الشريف على يد جوهر السقلي المعز لدين الفاطمي، قائد الجيوش الفاطمية في مصر عام 359 هـ 970 للميلاد، وسمي بالأزهر نسبة إلى السيدة الزهراء البتول فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم،

137 أسسه عقبة بن نافع بمدينة عقبة بولاية بسكرة الواقعة على الجنوب، ويقول عنه ابن خلدون: إنه أشرف مزار في بقائع الأرض، لما توفر فيه من عدد الشهداء والصحابة التابعين، وهو ثالث أقدم مسجد في المغرب العربي بعد القيروان ومسجد أبو المهاجر دينار في مدينة ميلة الجزائرية،

138 جامع الزيتونة بتونس تأسس 732 على يد الوالي عبد الله بن الحبحاب، ثم أعيد بناؤه على يد محمد بن الأغلب حوالي عام 840 للميلاد،

139 أنشئ جامع القرويين بفاس عام 859 للميلاد على يد السيد فاطمة بنت عبد الله الفهري القيرواني وهو أقدم جامع إسلامي، أنظر الموسوعة العربية الميسرة، دار القومية للطباعة والنشر ـ مصر القاهرة،

140 جمعية إسلامية أسسها مجموعة من العلماء، خلال النصف الأول من القرن العشرين من عام 1931 للميلاد، ومن أهدافها إحياء الشعب الجزائري والنهوض به وإصلاح مجتمعه، شعارها(الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا،

141 كتاب الشيخ الطيب المهاجي وجهوده العلمية، مصدر سابق،

للعلم إدراكا وحفظا، وإلى تنوير الناس بالحق المبين، حتى بات عنده غاية المطلوب،

وقد شهدت وهران في أيامه رحمه الله محاربة الكثير من البدع والخرافات، والدعوة إلى الابتعاد عن كل ما هو مرهون بنزعة دينية أو تعصب مذهبي، أو عادات وتقاليد مشبوهة، من التي لا زالت تحمل بذور جاهلية الأولى في كثير من أبعادها الاجتماعية والنفسية ، من التي هذبها الإسلام أيام فتوحاته الأولى وأوج سلطانه، والتي كانت مبعث قلق وصراخ واستنكار للعديد من العلماء من الذين كانوا أهل صلاح وفلاح، والدعوة إلى القيام بالشعائر الدينية في تربية حسنة وخلق قويم،

واليوم وقد زاغ فيها من زاغ من أهل هذه الديار، بما ارتكبوه في حقها من استحداث ظاهرة اجتماعية من التي لا تكاد تخلو من تأثر اجتماعي ثقافي، غير محبب لا من قريب ولا من بعيد لدي أهاليها، حاملة معها مجهولها الوبائي التخلفي الذي سعى إليه الاستعمار في حقيقة من الخرافات واللهو والطرب، وفي ثوب مستعار، لا يناسب فضلها ولا شرفها، تحت اسم (الوعدة) وهو مصطلح عامي لا تجد له مكانا بين أناسيها الطيبين الطاهرين، من الذي أسسوا لهذه الأرض التي باتت للعلم مهد، ولأهلها سنة للحق المبين، ولثقافتها العربية الإسلامية منهج في عقيدة ودين، حتى باتت هذه ظاهرة تعيش نكرانا وبكثير من هواها النفسي والاجتماعي،

توحدت فيها الغايات عند البعض ممن أمطرها بوابل من الثناء والشكر، حتى باتت عندهم تحتوي على صفحات اجتماعية سياسية مهمة من تاريخها، واختلفت حولها الآراء في كثير من الرفض والاعتقاد، حتى اتسع خرقها وغابت عنها كل رغبة في إلمام بما أتت عليه من مجهول وبكثير من مفاهيم بالية، وتقاليد

جاءت حافلة بأحط الطباع، وبأخس الأخلاق ممتلئة، لا يحدها حد في بسطة وجلاء، ولا يقف عندها مد في مثل وشواهد لا تزال تكشف النقاب عن كثير من شوائبها الباطلة وأعمالها الفاسدة، لما تحمله من فضاءات خرقاء تقودها بطانة ممن تطرق الوهن والضعف والنسيان إلى وجودها، وغلب الضياع على أكثرها في لبس وإبهام،

لقد جاء في الأثر أن العقوق هُلك، والمروق شِرْك، والعقود يُعْقِبُ[142]

لقد كان القرآن الكريم لساكني هذه الديار أعظم جار، الذي كان لها منهلا لها للصادي والغادي عبر أزمان، كونها كانت خير أهل ودار بما أكرمها الله سبحانه وتعالى بخير الأديان، وأعزها بالعلم وتلاوة القرآن، وأئمة نبغاء كرام، حتى باتت أرضا أصيلة، عريقة الحسب والنسب، لما ارتبط به تاريخها من رباط ملأه التلقي في كثير من علوم المعرفة،

لقد عاشت حياتها عبر أزمان مرتكزة على رسالة سامية قوامها القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، مما لا ينالها الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه، وقد نالت نصيبها الوافر، من المقاومة والجهاد في سبيل الله الذي لم ينازعها فيه أحد كونها أرض مجد في جهاد ومقاومة،

وهي كما هي وإلى اليوم لا تزال تعيش على آثار أقدام الأولين، من الذين حفظوا لها سيرتها عبر أزمان، مما يصدق فيها قول القائل،

ما ذا ترجى من زمانـــــك بعدما علـــــق الفنـاء بأنفس الأعـلاق

---

142 أنظر كتاب (بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب) للدكتور محمود شكري الآلوسي، الجزء الأول ،

أمسى بها ليل الحـــــوادث داجيا والصبح أمسى كاسـف الإشراق

وأختم قولي في هذا المبحث بما جاء في الأثر من قول: أن مثل العالم مثل رجل يصب ماء في قفة، إن واظب على صب الماء بقيت القفة ملأى، وإن ترك صب الماء بقيت القفة لا شيء فيها من الماء، فكذاك العالم، إن واظب على طلب العلم بقي العلم لم ينقص منه شيء، وإن ترك الطلب ذهب عمله،

وبهؤلاء العلماء تراها بلغت مجدها، وضاء نورها عبر تاريخ جميل ، لا زال يتسع لها في فضاء واسع من مسافات بعيدة قريبة، وقد جاء في الأثر، أن الناس بأزمانها أشبه، إلا ما شذ، أو ما رام من ائتلاف المُهَجاتِ، والله أسأل الخير فيما آتى وأذر، أو قدم أو أخر، والله ولي التوفيق والهادي إلى سواء السبيل،

القعـــدة في دلالتـها العلمية والتعليمية

ما كان للواقع الديني والتاريخ والاجتماعي أن يســتدعي غير مؤســسة المسجد أو الكتاب إطارا موضوعيا يتخذه مناسبة للتفاعل مع معطيات المرحلة التاريخية التي خيمت يوما على المغرب العربي والجزائر بخاصــة خلال فترة الحكم الفرنسي،

وما كان للواقع يومئذ أن يتناسب طبيعيا مع خصوصية الثقافة الاجتماعية التي تأتي الثقافة الدينية في مقدمتها لما هي منطوية عليه من خصوصية في المنهج، وروح في طبيعة النظر والتفكير، لأن في طبيعة الفكر الديني ســبيلا هي من أخص الخصوصيات التي تقارب بها الذات معطيات واقعها المعيشي،

ومن ثم كان الاهتمام بحفظ التواصـــل المعرفي وإثراء الفكر بالتفاعل مع معطيات الواقع في أولية اهتمام الثقافة الدينية،

لقد ازدهر الخطاب الديني في أرض القعدة من بادية امهاجة وبرزت خلاله اهتمامات تشكلت في الدرس الفقهي واللغوي والأدبي ، مما تولد عنه تراث معرفي قوي مد المرحلة على طول حقبها وشساعة مكانها بمشروع تعليمي ثقافي متكامل الأنحاء، متوافق الأدوات، تعهدت بتعليمه الكثير من بيوتات القرآن الكريم وتعليم علومه من التي كانت تمثل سمة من سمات الثقافة العربية الإسلامية يومئذ بأرض القعدة، في كثير من العلوم الشرعية والفقهية والأدبية، من التي أخذت بعدها في كثير من الخصائص والفضائل والميزات التي يكمل بعضها البعض،

ولعل ثقافة ذلك الجيل من الشيوخ الفقهاء وأرباب اللغة وعلوم الشريعة والدين، من التي ظلت تتوافر عليها أرض القعدة من بادية امهاجة هي التي مدت الحياة الاجتماعية يومئذ بكثير من التطور الفكري والثقافي، والدعوة إلى الإصلاح الديني والعقائدي، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر،

سيدي الفريح [143]المهاجي بن محمد بن ابراهيم ، والشيخ سيد الطيب[144] بالفريح المهاجي، صاحب الدرة الوهاجة في نسب سيدي الفريح من آل امهاجة، وكثير من الهوامش في إضافات علمية تتعلق بتبيان النص من حيث اختلاف الرؤى وما عند مالك،

---

[143] أنظر كتاب الأحكام في ذكر الأعلام من الشيوخ والفقهاء وأرباب الكلام، للشيخ العلامة الهادي بن محمد بن عبد الله بن عبد القادر المكي الوزاني السني، ص: 36 وما بعدها من المخطوط، تحت رقم أ/43 . م .م .خ، مصدر سابق،

[144] أنظر (كتاب أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر) للشيخ الطيب المهاجي رحمه الله ص: 122 وما بعدها، مصدر سابق،

والشيخ سيدي الحاج محمد[145] بن عبد الله بالفريج، الذي وصف يومئذ بأنه كان محدث زمانه، وجاحظ عصره، تقدم للدرس بالجامع الأموي بدمشق من أرض الشام حين وفد على الأمير عبد القادر الجزائري، فكان عنده من علية العلماء وأئمة الدرس يومئذ، وقف بها عنده سنوات، إلى أن رحل عنه حاجا إلى بيت الله الحرام، ليعود مستعفيا إلى قريته المعروفة بأرض القعدة من بادية امهاجة،

والشيخ سيدي محمد[146] الشيباني بالفريج المهاجي الذي كانت له رحلة لطلب العلم في عدة أسفار لأرض المغرب الأقصى- وبلاد المشرق،وبخاصة مراكش التي كانت يومئذ مقصدا للعلم والعلماء، وقد نصب نفسه بعد عودته من أرض مراكش مباشرة، للإفتاء والإقراء والدرس في بيت بناه لنفسه بقرية أرض القعدة، بمكانها المعروف(بحوض الكرمة) التي كان بها مالكا لكثير من أملاك لأراضي فلاحية، والتي كانت له وراثة أبا عن جد، واستمر حاله بها إلى أن انتقل إلى جوار ربه رحمه الله، وقد وصفه الشيخ الطيب المهاجي رحمه الله الذي تلقى على يديه حفظ القرآن وعلومه الأولية يقول: (... إنه كان رحمه الله من أحسن الشيوخ سيرة ونباهة، فقيها ملازما لمجالس الدرس والتحصيل، شديد الالتزام لمذهب مالك رضي الله عنه، لا يسمح من مخالفته في شيء، وأنه ما من أحد لازمه إلا وحسن حاله في دينه ودنياه، حتى كان غريبا في بابه وقد قطع في ذلك العمر كله،) والشيخ سيدي الميلود بن ابراهيم رحمه الله

---

145 المصدر نفسه ض: 132 وما بعدها،

146 أنظر كتاب "تاريخ امهاجة بين المدلول اللغوي والرسوخ الجغرافي والامتداد التاريخي، ص: 57 وما بعدها." مصدر سابق، وكتاب جامع الأخبار والخطب والرسائل والفتاوى لشيوخ الذكر من أهل الزوايا والتكايا والربط ومساجد كتاب الله ،

الذي كان من القراء الحفاظ، والأولياء الأتقياء، ومن الذين علا قدرهم وفاق، فقيها مجودا للقرآن الكريم، ملما بقراءاته، عظيم الجاه في القلوب[147]،

والشيخ الفقيه سيدي الحاج بوشنتوف بن ادريس ولد عبد القادر ولد محمد الصغير[148] رحمه الله، الذي كان من أهل العلم والمعرفة والدراية، ومن الذين اشتهروا بجلالة القدر وعظيم العمل والعلم،

والشيخ سيدي محمد مكنوس، الذي أسس مدرسة بمدينة سيق، التي أنشأ بها صلة ودية متينة بينه وبين جمعية العلماء يومئذ، وقد عرف بها فضله وقدره حق قدره في علم وجاه، التي أعطي فيها الكثير من علوم اللغة والفقه والشريعة وأصول الدين،

والشيخ الطيب بن عبد القادر الذي كان له إقبال كبير على طلب العلم وعلوم الفقه والعربية وآدابها، والشيخ سيدي الطيب المهاجي رحمه الله، الذي كان من أبرز علماء عصره في كثير من خصائصه المنهجية التعليمية والتربوية، التي ميزت المرحلة ووسمتها بكثير من فحول فحول رجالات العلم في كثير من مساجد وبيوتات علم، حيث كان الدرس الديني يومئذ معادلا لصورة الاضطراب

147 أنظر (كتاب أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر) للشيخ الطيب المهاجي رحمه الله ص: 122 وما بعدها،

148 (أنظر جريدة الجمهورية في مقالة لي تحت عنوان (الشيخ بوشنتوف ادريس، خصال رفيعة واستقامة وتقوى) المنشورة بجريدة الجمهورية اليومية بتاريخ 10 رمضان من عام 1424 للهجرة، الموافق لعام 2003 للميلاد،

السياسي والاجتماعي الذي ظل يخيم على الفترة الممتدة التي عاشتها الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي يومئذ،

وآخرون كثر من الذين خبروا الحياة العلمية، وتقلبوا في أوساطها المختلفة، وأصبحوا بها من العلم والعمل قادرين، يجلونها وبكثير من النشاط العلمي والحماس الوطني من الذي كان يومئذ موضع إعجاب وتقدير، وموضع حب وعطف وإكرام، من الذي نسيناه في جملة ما نسينا أو كدنا، وأهملناه في جملة ما أهملنا، ما جعله يمحي من أذهاننا أو كاد، وذكره من ألسنتنا، وجهله شيوخنا وشبابنا جهلا، يكاد يكون تاما، فهذا الحافظ الكبير لمتون اللغة والدين، وذاك العالم الفقيه الذي كان بالأمس علما في بابه، وذاك المرشد المصلح الذي ظل يستعين بما يفيد من علمه سعيا وراء ما ينشد من وعي وإصلاح،

إن أول ما يلفت نظرنا في هذا الباب ونحن نستعين بثقافة هؤلاء الرجال الواسعة المتنوعة قدر ما يسمح به المجال هنا في التعريف بهم أنهم كانوا رحمهم الله، على حال من التنويع موضوعا وأسلوبا، في كثير من علوم اللغة والآداب والشريعة وأصول الدين، ممن عمت بهم مساجد أرض الوطن والقعدة بخاصة، من ذوي المواهب المتعددة، والأفكار النيرة، والعقول المتفتحة، التي وقفنا فيها ضمن مصادرها التي تحدثت عن فضائلهم ومكارم أخلاقهم، والمنزلة السامقة التي أحرزوها في ميادين العلوم المختلفة، التي قل لها النظير، وكثر إليها المشير، وأحرزت إعجابا لدى المعاصرين والمتأخرين،

وقد جاء في الأثر عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، " من ورخ مؤمنا فكأنما أحياه، ومن قرأ تاريخه فكأنما زاره، ومن زاره استوجب رضوان الله، وحق على المزور أن يكرم زائره" وقد ورد في الأثر أيضا " بأنه من ورخ مؤمنا من أهل

الفضل والكمال فهو في شفا عته ". فإن ذكرهم بالفضائل ذكر لله بالأنعام والأفضال، ويقول الشاعر:[149]

أرخهم تظفــــر بأجـــر وافـر فبذكرهم يجلى عن القلب الصـــــدا

وله في أخرى قوله[150]:

إن كانوا قد رحلوا عنا وقد بعدوا فليس عن حبهـــم فلبي بمرتحل
في حبهم أنا موقـــوف على رشـد لأنهم سلكوا في أوضح السبل
أميل وجـــــدا بهم مهما ذكرتهم ميل الغصون وميل الشارب الثمل

لذلك أرى أن الاعتناء بهم واجب، والمحافظة عليهم ضرورية في كل زمان وفي كل مكان، حتى يكون للمؤرخ والباحث والدارس والأديب أسـاسـا ومسـارا تنطلق منه دراسته وأبحاثه الجادة التي تصل الماضي بالحاضر، لأنهم هم التاريخ لأمتنا برحلته الطويلة، بما يمثلونه بوجه من وجوهها، وهم الماضي بمضـــامينه المختلفة، الممتد في أعماق التاريخ العربي الإســلامي، وهم المخلد لآثاره بفضـائله وأخباره بمناقبه، وهم الحاضر المورِّثْ لمكارم الأخلاق،

والحقيقة أنها على الرغم مما فيها من سيطرة الجانب الديني، على هذه الفئة من هذه العناصر الطيبة التي اتسمت ثقافتها بغزارة اللغة والمعارف الفقهية في الدرس والوعظ والإرشاد، إلا أنه كان لها الفضل كل الفضل في استنهاض الهمم، واستجاشة العواطف، في بث الروح الوطنية والدعوة إلى الجهاد ومحاربة الاستعمار والتركيز على تاريخ أمجاد الأمة العربية ومقوماتها الفكرية والتراثية المتمثلة

149 أنظر كتاب الإعلام بمن حل بوهران من الأعلام ص: 21 وما بعدها، مصدر سابق،

150 أنظر كتاب الإعلام بمن حل بوهران من الأعلام ص: 22 وما بعدها، مصدر سابق،

في كثير من علوم الفقه والآدب وغيرها كثير، محاولين العزوف عن التبعية الفكرية في ظل إيمانهم بأمتهم وثقافتهم الإسلامية وشخصيتهم العربية القوية المتينة، وذلك لما امتازت به هذه الفئة من البديهة، والكد الذهني، وطابع الوطنية، التي كانت موضوعاتها على درجة عالية في البلاغة والبراعة البيانية، من حيث الأداء والأسلوب وحلاوة اللفظ وسهولته، والاتجاه السليم الذي يعرب عن التقدم العلمي الذي يدعو إلى الرقي والازدهار، بأصالته العربية وثقافته الإسلامية، المبنية على الاقتباس من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وما قامت به من أدوار طيلة عهود من الزمن من تعليم الكتابة والقراءة، والتعريف بالموروث الثقافي، ومصطلحا ته،

غير أن هذا الموروث الثقافي الذي كان يتوفر عليه هؤلاء الشيوخ الفقهاء، وما اشتمل عليه من مادة علمية مرموقة، التي ورثوها عن الآباء كابرا عن كابر، والذي يشهد لهم ببراعة التفوق فيها وسلامة الاتجاه، لم تدون في حياتهم بالقدر الكافي، ولو كان لها ذلك لأحيت في نفوسنا ثقافة موشاة ومحلاة بتكرار الأحداث، وتمثيل الصور المحتشدة في ضمير الأيام،

لأن التاريخ لا زال يحدثنا عن رجالات كانوا يوما ولا يزالون منارة لتاريخنا في العلم والثقافة،

لذا يجب علينا أن نسترجع ماضيهم، بشيء من عاطفة الإيمان بالوطن والتراث، وحقهم على أمتهم في التعريف بهم وبمقوماتهم الفكرية، حتى لا نفقد ملامحهم الشخصية الأصيلة، وحتى لا يأتي يوم يكون الجالس فيه لأبيه أو شيخه أو أستاذه أو معلمه، يحس منه جهله بحقيقة موروثه، مبتعدا في تفسيره عن روح الأصل فيه، الشيء الذي يجب علينا أن نتفطن إليه اليوم، للقيام بهذه المهمة التي تشعبت آراؤها وتعددت فيها التزويقات اللفظية المكلفة،

والأســـاليب المختلفة، في التقديم والتأخير، على نحو ما رأينا في الحديث عن بعض الشـخصـيات التي نعاصرها أو التي عاصرنا من عاصرها، من التي لم نجد من إخبارها ما يشـير إلى أنها كانت متفاعلة مع أحداث عصرـها، التربية منها أو الثقافية، والتي يجب علينا أن نأتي عليها في مثل هذه الكتابات التي أصـــبحنا نضطلع بها اليوم في كثير من دراساتنا وأبحاثنا، أو ما هي لغيرنا من أبناء هذه الأمة الخيرين من الصلحاء النجباء الذي هم من أهل العلم والمعرفة من سادات أســـاتذة وعلماء أجلة، الباحثين منهم والدارســـين، بكل أبعادهم وشخصـــياتهم المتعددة الجوانب،

محاولا من وراء ذلك إعطاء صورة عامة للموروث الثقافي العربي الإسلامي في الجزائر بشكل عام وأرض القعدة من بادية امهاجة بوجه خاص، عبر عصوره المتقدمة منها والمعاصرة، وستتضح لنا كلما وقفنا على مزيد من نصوصه ووثائق حول هذه الفئة التي لم يصل لنا منها إلا النزر اليسير،

وإذا كانت مصادرنا قد حفلت ببعض الأخبار والروايات، كالتي بين أيدينا من منتوج هؤلاء الفقهاء الأجلة من ذوي أصول هذه الأرض الطيب أهلها (أرض القعدة من بادية امهاجة)، المتمثل في هذه النماذج الطيبة من فتاوى وتقارير وبعض الحواشي والمخطوطات المشتملة على كثير من أبواب اللغة والفقه والشريعة والزهد والوعظ والإرشاد، والمديح النبوي الشريف، التي تتجلى فيها ثقافتهم ، بما يحمله هذا الموروث الثقافي من خصائص فنية، وآفاق علمية، ولو كانوا يتوفرون على منهجية واضحة، لكانوا فيها أعلاما ، وقمة من قمم الكتابة اللغوية والتاريخية والتشريعية،

لقد كانوا بحق على درجة كبيرة من الدعوة إلى القراءة والكتابة والحث على طلب العلم، وكســب الآداب وحفظ القرآن الكريم لقيمته الرفيعة، فهم يرون أن

الإســلام رفع منزلة العلم، وشرف العلماء، لأنهم أكثرُ الناس خشــية لله، وقد جاء في الحديث النبوي الشريف لقوله صلى الله عليه وسلم، "يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشـهداء" ويقول على بن أبي طالب رضي الله عنه ".. وإذا مات العالم ثلم في الإســـلام ثلمة لا يســـدها إلا خلف منه"، ويرى الإمام الشـــافعي رضي الله عنه، أن طلب العلم يرتبط بالآخرة، لأنه يعين على فهم الدين، كما جاء في مناقب الشافعي للبيهقي رحمه الله في قوله:

من طلب العلم للمعـاد فاز بفضل من الرشاد

وفي نظرنا أن العالم يظل يتمتع بحرمته الكبيرة، لأنه يقف من قرائه أو طلبته أو مريديه، موقف المعلم الذي يقدم لهم من فنون القول وتنوع الفائدة وتربية الفكرة، بأسـاليب متعددة وأغراض متنوعة، في الدعوة إلى محاربة الجهل والظلم وأســباب الانحراف ومظاهر الفســاد، وتهذيب النفوس، التي تدل على ذهن ثري، وخيال خصـيب، وقدرة تسـتهدف الإمتاع العقلي والنفسيـ، وتسـتهوي جمهور محبي الوعظ والإرشاد والدرس والتحصيل،

فالعلماء هم الصـفوة الممتازة من عباد الله الصـالحين، لقوله صـلى الله عليه وسلم "يشفع يوم القيامة ثلاثة: "الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء" لقد خصهم الله سـبحانه وتعالى بمرتبة هي تلو النبوة وفوق الشـهادة، لأنهم الأرفع شـأنا عنده، والأكثر أدبا وعلما، لما يتمتعون به من تأثير مباشر على العقل والروح معا،

لذا وجب علينا الإقتداء بهم، والاستضاءة برأيهم، لأنهم ينهون عن المعاصي " ونور الله لا يهدى لعاصي"، لقد جمعوا أسـباب الثقافة وعلومَها، وسـما قدر الكثير منهم الذين تحلوا بالأدب وعاشـوا رهبانا، في محراب مسـاجد كتاب الله وبيوتاته،

فهدفنا الأول من هذا التأليف، الذي أسميناه بـــــــ : (كتاب الأثر الآفل والكفيل الغافل، بعد ثقافي وتواصل إنساني، في رحاب أرض القعدة من بادية امهاجة) هو إظهار هذه العينة الطيبة من شـــيوخ العلم والفقه والمعرفة في هذا الجزء من وطننا، من أرض القعدة من بادية امهاجة، التي تدل على ظاهرة حضـــارية أولى للثقافة العربية الإســـلامية، ومدى مســـاهمتها في ارتقاء الكتابة العربية في هذه الفترة ، وإثراء تراثنا الفكري والثقافي، بما يحمل من صـــفات وسمات ومميزات مما لا يتسع المجال لتناولها في هذا المكان،

ومهما يكن من أمر فإني لا أزال أعمل جاهدا في جمع ما تبقى في بطون المخطوطات والأوراق، وصـدور أهل الأذواق الصـافية الواعية، وبمواعد العناية والاعتبار وافية، في تقديم شـــيوخ هذه الديار من أرض القعدة رحمهم الله، لإخراجهم إلى عالم النور ومن زوايا الإهمال والنســـيان، في جزء ثاني من هذا التأليف إن شـاء الله تعالى، الذي لا أزال أقضي- فيها زماني حبيس (دار القرآن الكريم لتعليمه ومعرفة علومه) الذي كان لي شرف تأسـيسـها من عام 2007 للميلاد من أرض القعدة،

آملا من الله العلي القدير، أن أقف لهم يوما على أصـــول صحيحة، في كراريس وسجلات وإضـبارات موثقة، حتى أقدمها للجمهور الكريم تقديما يليق بمكانتها العلمية، خالية من النزوات الفكرية والأهواء النفسية،

ولعلني لا أبلغ إن قلت إن لي فيها من العينات الســـابقة الذكر ما يوفر لي الحاجة الأولية لإثبات تاريخ أغفل، وترجيح رواية على أخرى تناقضها، إن شاء الله تعالى، والله من وراء القصد والهدي إلى سواء السبيل،

التوزيع القروي في تعدد نماذجه

يمكننا وبجهد غير كبير أن نحصي ساكني أرض القعدة من بادية امهاجة في كثير من قراها ومداشرها وبيوتاتها، التي هي عبارة عن مزيج من بربر وقبائل أشراف، وأقوام أخرى استقر بها المقام عن طريق الهجرة والتزاوج، وأدارسة حسنيين من الذين كانوا أنبه شأنا وأعلى قدرا، وأسْيَرَ ذكرا من أن يعرفوا، وآخرون من الذين اختلطوا بأصولها من ساكنيها من العرب من بني عامر، من الذين لا يزالون يتمسكون بأهداب الفضيلة، في عز وكرم وشجاعة، المعروفين بانتماءاتهم البدوية التي تعود في جذورها إلى ما كان عليه أسلافها من سليقة حسنة، وفطرة صافية، وقريحة سمحة،

وقد دانت لآل امهاجة[151] يومئذ العديد من القبائل تباعا، في عز وتقدير واحترام، وذلك بما رزقوا به من حفظ كاف من التعليم والثقافة والتربية والتكوين، ومن جمع للقلوب، وتثبيت للعقيدة الإسلامية في أعماق النفوس، في كتاتيب قرآنية، ومساجد كتاب الله، إضافة إلى ما كانوا عليه من جودة السليقة وعمق التفكير وصفاء فطرة،

وصلاح وفضل وورع وتقي، أئمة في اللغة والآداب، وفقه مالك، وعلم التفسير والأصول وما شابه ذلك،

وبذلك أرى أنه ليس من السهولة بمكان، أن يكتب كاتب أو مؤرخ عن أرض القعدة من بادية امهاجة، وهو لا يملك من معلومات عنها ثابتة ومدونة، ولا من أدواتها إلا قدر ما هو عليه من تعداد مناقب، أو ذكر مآثر، ولا باحث متمرس جمع في منهجيته بين ما كتبه الأوائل، وما سطره التابعون الأواخر، عن هذا الفن أو ذاك، أو هذه الظاهرة أو تلك، في سرد تاريخي، أو فن من فنون البلاغة واللغة والآداب، أو أعمال أخرى من التي لا يفي بوصفها التعبير من الذي أخذ طريقه في اعتلاء صاحبه سلم المجد في شرف وسؤدد، من حيث ما قدمه من فرائد تذكر، في مآثر اجتمعت عنده من المخطوط المدون، أو ما توافر لديه عن طريق روضات المعارف، من شيوخ العلم وفقهاء الدرس والتحصيل، أو من مخزون ظل مكنونا عنده في مخطوط أو تقاييد أو تظابير، حوت أبوابا من المنظوم والمنثور، من التي عادة ما يمتلك بها صاحبها ناصية المعاني وزمام الأمور، ويجعله قادرا على مواصلة عمله في حجج مقنعة، وأدلة ثابتة، كتلك التي يتجاوز بها

---

[151] أنظر (كتاب أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر) للشيخ الطيب المهاجي رحمه الله ص: 111 وما بعدها،

صاحبها حد المعنى في كثير من العلو والارتفاع لغة وبيانا، شرحا وتحليلا، لاستكمال فروعها بأصولها، في بيان يعطي الصورة حقها ويشرح الضرورة منها، حتى لا تكون كتاباته عبارة عن اسوداد صفحات دون ما سند كاف، أو سالف تحصيل من الذي انقطعت أسبابه، أو كادت من ثقافات الأولين، من التي اتسعت لها الحياة في كثير من مضامينها، في حمى ثقافتها العربية الإسلامية من التي شهدتها أرجاءٌ شاسعة من أرض الوطن العربي الكبير يومئذ، وإن كانت فليست بذاك القدر الذي يجعلنا أن نأتي على الكثير من مآثرها بمختلف موضوعاتها الاجتماعية والثقافية،

فأرض القعدة التي لا زالت تجمعها قرى صغيرة في مداشر وبيوتات، من التي لا تكاد تختلف إحداها عن الأخرى من حيث ما هي عليه من تكوين اجتماعي، في أسرة لأب وافد في رحلة أو هجرة طاف بها الزمن في سنين، أو لأفراد أسعدهم الحظ في فصول أزمان، فنزلوا بهذا المكان أو ذاك من أرضها، ممن رغبت به النفوس جوارها، حتى باتت تجمعها بالكثيرين ممن سمت بهم أعمالهم، ودفعت بهم طبيعتهم إلى الاستفادة من خيراتها الممدودة، والنهوض بما أعطاها الله سبحانه وتعالى من أرض خصبة طيبة ظلوا بها يبتغون من فضل الله قوتهم ورزقهم، في مقاصد ونيات، من التي بلغوا بها مآربهم واستقبلوا بها حياتهم، في عز ونشاط، بما استخرجوه منها من ماء وخير سريع، وكونوا لأنفسهم أسرا وبيوتات أصبحت معمورة بفقهاء العلم والدرس والتحصيل، وحفظ القرآن الكريم، ومن شخصيات أكابر قادوا الدهر بما فيه من إحن وما تعاورته من محن،

وبطول زمن سلك أهلها طريقا اختاره السلف وارتضاه، وما حدا الخلف عن جادته سوى القليل النزر، رغم ما أصابها من أهوال مفترقة، وقواطع معترضة، وخيوط أفكار لا زالت تتعالى بها المراتب وتتميز، وتتقرر منها المشارب وتتحيز،

حتى عادوا قوما هم بالإتلاف والاختلاف يبتغون الحياة، وآخرون سعت بهم المنازل في فضل وسعادة وسؤدد، وقد أصبح لهم سلف صالح، مُنْتَمٍ إلى معرفة كبيرة من الموروث الثقافي التليد منه والطارف، في غزارة علم ووضوح معنى، ونهضت بهم همتهم، في كثير من معانيها، فمنهم من سلك طريقة القراءة والكتابة والتعليم في كتاتيب قرآنية، ومنهم من سلك طريق العلم وعلوم المعرفة حتى بلغت بهم الغاية في مراتب تذكر، فانتهضوا بهممها واستبقوا ، ومنهم من استقامت له الحال في أبوة كريمة وبيت معمور ومجد وجهاد،

وظلت هذه البيوتات في سنين تتكون من جزيئاتها الصغيرة، استطاعت بها أن تكون لنفسها واقعا حيا، في ضرورة أملتها عليها طبيعة حياتها اليومية في شيء من الدوام والاستقرار، من حيث مداولة القديم في كل ما يتعلق بالأرض وحراثتها وزراعتها وما إلى ذلك من معارف إنسانية أخرى على صعيدها الاجتماعي والثقافي، من التي لا تزال مذكورة بها عبر تاريخها المديد، في تماسك مرة وتداعى أخرى، ضمن عادات وتقاليد وأعراف،

فهؤلاء هم من كانوا ولا يزالون يمثلون أصالتها في نسب وعز مكانة، في شرف وحسب تليد، وقد زادتهم الأيام بصيرة في الاستقرار بمزيد من العز المكين، في دنيا ودين، وتدرجت في أحوالها وتتابعت في الخلف من السلف في متانة، حتى عادت أمة ينسب إليها خلق كثير بعد أن اختارت لنفسها لقبا يناسب أسمها، في جملة من أشياخ فضلاء، وعلماء أجلاء، وحفظة كتاب الله، ومن المذكورين للنظر في أمور الشريعة وأصول الدين، من الذين كانوا من العلا منبرا، حازوه إرثا تارة، وتعصيبا أخرى، واستوفوا الكمال فيه حقا ونصيبا، ومن العز صدرا تلوذ بهم الصدور، فلله ما أعلى هذا الشرف الجامع بين المتلد والمطرف، السابق في الفضل أمدا قصِيًّا،

وسأحاول جاهدا في هذا التأليف، الذي أسميته (الأثر الآفل والكفيل الغافل بعد ثقافي وتواصل إنساني في حلى أرض القعدة من بادية امهاجة) الذي أنا به قائم، للوصول إلى ما كان الأسلاف عليه من بر وتقي في سمو منزلة وعلو موهبة وملكة،

فهي بحق بيوتات كانت تتوافر على أعلام حفظة كرام، الذي بهم ارتفعت منزلتها، وذاعت شهرتها، تقديرا لعلمهم وتكريما لفضلهم وبما أعطاهم الله سبحانه وتعالى من الأقدام الرفيعة، في كثير من اجتلاء البيان وصقله، والشاهد ونقله،

ونذكر في هذا المقام، من كان منها كبير قومه وشهير سلفه، ممن ذكرته كتب الأنساب والتراجم والسير من المشهورين بعلو الإسناد وكثرة السماع، أو في المقاومة والجهاد في سبيل الله،

أو من كان رأسا في علم الأنساب والتاريخ، راويا مكثرا معروفا بأخلاقه وحسن سيرته، لسعة علمه وغزارة حفظه، ماحين بأنوار الأدلة والبراهين كل شبهة اختلفت حولها الأحوال، وتعاظمت بشأنها الأهوال، في كثير من مسائل تذكر، وأخبار مستقاة لا زالت تتأرجح ما بين أهل العلم والفضل، وبين أهل الرواية الشفوية ممن نشأوا بها نشأة حسنة،

لقد كانت أرض القعدة، في فصول أزمان، بلدة عريقة، دارت بها المداشر والقرى في بيوتات، تحيط بها الكثير من الجبال والأنهر والوديان، و أشجار الزيتون والرمان، والكروم والبساتين المغلة، من تين وعنب وأعين فياضة، حتى غدت منارة الأنوار، ومحطة قوافل العلم والعلماء، وبآثارها المنسوبة لساكنيها من آل البيت المطهرين، من الذين كانوا ورثة علم وفضل وأدب، في مواهب ومناقب، وسمو أخلاق، قبل أن تصبح اليوم منسية عند أهل التاريخ في غير حق، مهملة في غير إنصاف،

وهناك أشياء أخرى كثيرة لا زالت تحملني وإلى اليوم على الاهتمام بإحياء تاريخها والانصراف إلى ضبطه وتدوينه لإنقاذه من الضياع لما ينطوي عليه من محاسن من شأنها أن تزيدها قيمة إلى قيمة، خدمة لجيلها الصاعد، يعود عليهم بكثير من الصدق والنفع ، لأن ما توارثته الأجيال من منقول ومأثور عنها، كان ولا يزال على خير طريقة، لأنه لم يأت بحظ واف يعتد به تاريخا وثقافة، كذلك الذي كان يمثل حياتها التعليمية في كثير من مساجدها وكتاتيبها القرآنية تمثيلا وافيا، وحياة دينية صادقة عميقة،

فهي بيوتات اتخذت من كبيرها خير دار، في حسب ونسب وجاه، غايتها كتاب الله وسنة نبيه الكريم، التي هي بها من القلوب نعيم لا ينقضي أمده، ولا ينفد مدده، ولا ينفصل وصله، وقد أمد الله حياتها في حلل من السداد باهتمامها بسلفها الصالح واقتداء بطريقته المثلى، في سيرة فاضلة، وأحكام عادلة،

فكان منها آل امهاجة الأدارسة الحسنيين[152] المتحلين بالحلي السنية، العريقة النسب في العلا الحسنية لآل بيته الطاهرين،[153] من الذين سكنوا أرض القعدة[154] من بادية امهاجة، وسط قبائل بني عامر، بعد هجرتهم الأولى من أرض

[152] أنظر كتاب الوصل في ذكر رجال العلم وأهل المقامات لأحمد بن يحيى بن المهدي بن عبد الله الحرشاوي التلمساني، مصدر سابق،

[153] أنظر كتاب (دولة الأدارسة- ملوك تلمسان وفاس وقرطبة) لإسماعيل العربي، طب ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1983،

[153] أنظر كتاب (دولة الأدارسة- ملوك تلمسان وفاس وقرطبة) لإسماعيل العربي، طب ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1983

[154] اسمها الحقيقي (عين الفرض) كونها كانت عبارة عن سوق للبيع والشراء، وإليها تتوجه الوجوه، من دان وقاص، وسميت أيضا ب: (عين الأعيان)، أنظر جامع الأخبار والخطب والرسائل والفتاوى

المغرب التي غدت وبطول زمن مركزا للعلم ولقاءات تجمع، في كل ما يروى ويسمع،

ونظرا لما كانت عليه أيامها في علم وعمل بكتاب الله وسنة نبيه الكريم، سميت بأسماء جامعة بين حصافة اللفظ ولطافة المعنى، وقد تنوعت أسماؤها في كثير من معاني منها على سبيل المثال،

بـ (بيت السنة) كونهم من أهل القرآن والسنة النبوية الشريفة، ثم ببيت (الأدارسة الحسنيين)[155] حسبا ونسبا، وقد فتح الله عليهم أبواب الرزق، في كثير من التعفف والتعين، كونهم ظلوا يتعيشون من فضول أملاكهم، في فضل نعيم وعظيم قدر،

ثم ببيت : (المهاجة) المأخوذة من قوله تعالى: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)[156] أي أن منهجهم الكتاب والسنة، ،الذي أصبح الدهر بها راويا لإحسانها وناطقا بلسانها، حتى غَرَّبَ ذكرها وشرَّق، في فضل مذهب وكرم مقصد،

ثم ببيت : (المرابطين) كونهم لا يزالون مرابطين مواظبين عاكفين على حفظ القرآن الكريم في حفظ ودرس وتحصيل، منتابين لرواية وفتيا، يقصدهم الناس

للشيخ أحمد بن محمد بن علي بن مصطفى التراري الوسيني من المخطوط رقم 1304 الورقة 43 وما بعدها، من المخطوط،

[155] نسبة إ إلى ادريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على ابن أبي طالب رضي الله عنه، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنظر كتاب (دولة الأدارسة- ملوك تلمسان وفاس وقرطبة) لإسماعيل العربي، طبع ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1983 ، مصدر سابق،

[156] الآية 48 من سورة المائدة

في بر وإحسان، يهدونهم إلى سبيل الحق من غير أجر ولا تكلفة، طالبين من الله الأجر والمثوبة، حتى غدت أبوابهم ملجأ للإسلام والمسلمين،

ثم ببيت (القرآن)، بحيث أنك لن تجد بيتا من بيوتاتها إلا وبها من يحمل كتاب الله عن ظهر قلب، في رواية واسعة، وحفظ لمتون الفقه واللغة والشعر والآداب، في حسن اعتقاد وجميل سيرة وحسن سلوك،

ثم ببيت (العلم) كونهم من ذوي فضل ودين، وأهل علم بالفروع والأصول، وفي المنثور والموزون، ومن الغريب الذي يوصف ولا يعرف، وبالأثر الوافد منه والآفل ، ما جعلها تحوز السبق في سنين، بسمو الأحوال والرتب العالية، في أصالة رأي، وسعة علم، وجلالة قدر، وليس لها في البدع والخرافات سابق فهم، ولا ثاقب علم، من التي ملأ بها الزمان صدور طائشي العقول، بكثير من الضلالة والجهالة،

وقد شهدت هذه الأرض بفضل ساكنيها حياة امتلأ بها الآذان بذكر الله يتلى ويذكر، الذي عم الرُّبى والوهاد، وأصبح المؤمن بها قوي بأخيه كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضا، حتى تعدد فيها الفقيه الحافظ لكتاب الله، والعالم الجليل، والمجاهد المحارب في سبيل الله، والشهيد والمسبل والفدائي والمتصل، وما إلى ذلك من المصطلحات التي أنجبها العمل الثوري في المقاومة والجهادي يومئذ[157] لقد جمعت هذه القرية نفسها في سنن عن طيب نفس وحسن معاشرة، في أسرة واحدة موحدة، حسبا ونسبا، إخوة وعمومة، بكل ما تقتضيه أواصرها من محبة وإخاء، وما يستدعيه الانتظام والصفاء وطيب المعشر،

157 أنظر (كتاب تاريخ الجزائر الثقافي الديني السياسي والاجتماعي)، مصدر سابق،

كان لها ذلك منذ استقرارها بمكانها المعروف بأرض القعدة من بادية امهاجة وسط قبائل بني عامر كان لها ذلك أيام الغزو الأسباني للبلاد، أو أيام دخول الأتراك العثمانيين بقليل، حيث لا يزالون يعيشون على حالهم في عقيدة ودين، مجتمعين متآلفين، مخلدين أخبارها ومآثر فضائلها وسير شيوخها وعلمائها في تضابير وكراريس ودفاتر[158]، من التي لا زلت أتدارك بها جميع أخبارها ومما ما أمسى لها اليوم شعاعا أدامت به تاريخها في عز وسيادة، وسعة علم وكثرة رواية، في حين أن محيطها الاجتماعي لا يزال يعيش مضرة جهل موصوف بحقائق صفاته، إلا ما كان منها عند بيوتات صلحتْ أمورها، وشرفتْ تاريخها، وورَّثتْ نفسها فضائل علم ودين، وبطول زمن توارثت بيوتاتها درجات من العلم والجاه، بحسب تفاوتها عن بعضها البعض في مواضع أسلاف، من حيث القبول في ترك ما لا يعنيها وإغفال ما لا يهمها، وسأعود لهذا الغرض في مزيد من التفصيل لاستيفاء هذا المطلب حقه الذي أنا به قائم،

ويليها في هذا التعداد القروى، قرى توسعت وتعددت، حسب تعداد بطونها وأفخاذها التي أخذت في التوزع والانتشار عبر محيطها الجغرافي، والتي جعلت من كبيرها علما لها في كنية أو لقب، وفيها بودادي، والمعمم وأولاد مبارك، والبرابير وبيوتات أخرى، ضاعت وثائقها إلا ما بقي منها عند أهل العلم من رواية في أخبار متفرقة، من الذي لا زالت تتصل به أقدام الرواة المشدودة إلى زمانها البعيد، ما جعل البعض منها تحافظ على جوهر منبتها سيرة علما وعملا، من الذي ظلت به أيامها تعطي للأجيال بعدها التاريخي المروي منه والمدون، وبما

---

158 أنظر كتاب (الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر) مصدر سابق، وكتاب أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر للشيخ الطيب المهاجي رحمه الله ص: 122 وما بعدها،

حملته من عوامل ومؤثرات ثقافية ومكونات حضارية، فمن أولى هذه البيوتات التي استمدت تسميتها من كبيرها،

لقد ظلت هذه البيوتات تختلف اختلافا غير قليل من حيث تفاوت حسبها وأنسابها وقوة تمسكها بقيمها البدوية العربية الأصيلة في عادات ومزايا كريمة، كونها ما فتئت تقدم لنفسها أعمالا صالحات في باقيا تفاخر نفسها بنفسها بأنها الأشد تمسا بكتاب الله وسنة نبيه الكريم، ما جعلها تكون أكثر المناطق تنافسا وتفاخرا في بناء كتاتيب قرآنية ومساجد كتب الله من التي لا زالت بها تذكر، وتأتي في مقدمة هذه القرى،

*- قرية (العرايبة)

وهي قرية لا زالت تعرف باسم مؤسسها الأول المعروف بالسيد العربي بن مصطفى بن عبد القادر بن العربي بالفريج المهاجي (..........) الذي اتخذت من اسمه علما لها فسميت كذلك،

وقد أحصيت فيها عددا من الشيوخ ممن كانوا أكثر حفظا للقرآن الكريم وإلماما بعلوم الشريعة وأصول الدين، عدد ساكنيها أبا عن جد، من الذين تفرعوا عنها في فرادى وجماعات وأسامي وألقاب مجتمعين فيها حول أب واحد من الأجداد المعروف (بسيدي ابراهيم) المجمع لآل امهاجة،

وفيها ، سنوني ابراهيم مفلح، ومفلح ابراهيم ، وأولاد مسيد بوزيان مفلح، وأولاد ادريس سنوسي مفلح محمد، * وأولاد سنوسي مفلح ابراهيم، وأولاد الصحراوي ابراهيم،

وقد تعددت معالمها في كثير من أعلامها في حفظ القرآن الكريم، وأشياخ علم ودرس وتحصيل، ومن مشايخها رحمهم الله، على سبيل المثال لا الحصر،

* ـ الشيخ الفاضل، مفلح ابراهيم بن سيدي قدور، الذي كان على الذروة العليا من التمكن بأفانين العلوم الشرعية واللغوية، حتى عد يومها من فضلاء مشايخها، ومحاسن فقهائها، ولا زال الكثير من التابعين يصفونه بكثير من الفهم والذكاء يفوق أكثر أهل عصره حجة وبيانا، لما له من أدلة التمكن في علوم القراءات والنفاذ فيها وحفظ كثير من الفقه والبصر بعلوم اللغة والحديث النبوي الشريف، وهو من هذه القرية المتفرعة أصلا وفرعا لآل امهاجة، وذلك لما جمعناه من أخبار وروايات من أئمتنا السالفين والباقين، ممن كانوا على ذلك متفقين على أن ينسب الرجل إلى مكان هجرته التي استقر بها في سنين ولم يرحل عنها رحيل ترك إلى أن مات ولا زال قبره بها مزارا رحمه الله،

وفيها الشيخ ابراهيم مفلح بن سيدي محمد بالفريح، الذي كان من أكابر فقهاء قومه، حتى كان رحمه الله أجمع للمعاني الفقهية على مذهب مالك بن أنس، اشتهر بتدريس تفسير الموطأ والشيخ خليل في مختصره،، وتفسير القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف ، الموصوف برقة الأخلاق والنباهة والذكاء،

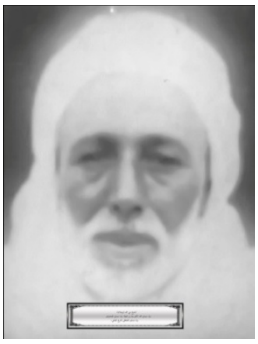

ولد سيدي محمد الكبير ولد بن افريحة ولد سيدي الصحراوى ولد سيدي المصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي، الذي كان أحد أئمة مساجد وهران الكبرى، المتحلى بكثير من العلوم الفقهية واللغوية بأوفر نصيب، وقد وصفه أهل زمانه بأنه الجامع لمحاسن الأخلاق جميل السجايا جم المناقب[159]، وأن حياته العلمية لم تخل من تأثير في الناس لما كان عليه من وعظ وإرشاد، وقد وصفه أهل زمانه بأنه كان رجل فقه ولغة وعلم كلام ، لما له من خصب القريحة ونفاذ الفطنة، وقد واجهته مشاكل عويصة أثناء إمامته بإحدى مساجد وهران الكبرى، أثناء الثورة التحريرية الكبرى من عام 1954 للميلاد، وقد نجا منها بأعجوبة لما كان يحمله من مفاهيم ثورية ونشاط فكري ظل يواصل به الكثير من فعاليته الثورية والثقافية، حتى وفاته رحمه الله،

***وفيها ابنه السيد عبد القادر (بوجلابة)**

(الصحراوي ابراهيم)

[159] أنظر في ترجمته (كتاب الأعلام بمن حل بوهران من الأعلام ص: 210 وما بعدها، أنظر كتاب الإعلام بمن حل بوهران من الأعلام ص: 21 وما بعدها، مصدر سابق، وكتاب الأثر الزاهر في دكر النسب الطاهر، ص: 244 وما بعدها،

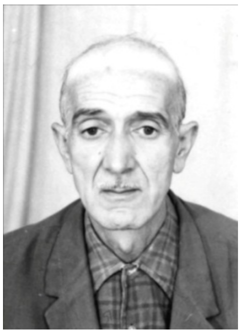

*ولد سيدي محمد الكبير ولد بن افريحة ولد سيدي الصحراوى ولد سيدي المصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي،

الذي كان من أهل العدل في قضاء وهران، وهو في غاية من الفضل والإحسان، حاملا لكتاب الله حافظا للمتون، ملما بكثير من علوم الفقه واللغة والدين، حتى أنه كان يعد من المثقفين المجتهدين من الذين كان لهم أثر بالغ في المجتمع الوهراني وتطور ووعيه الثوريي، لما كان له من حب وتعلق في قراءة الصحف والمجلات العربية التي كانت تصدر في المشرق العربي وعن جمعية العلماء يومئذ، حتى أنه بات متأثرا بكثير مما كانت تكتبه الصحافة المصرية يومئذ، في الدفاع عن الأمة العربية وتنويرها بكثير من الثقافات العالمية، حتى بات بها خبيرا،

وكان رحمه الله ممن يغلب عليهم الحماس الثوري والتفاؤل الشديد بأن الجزائر منتصرة لا محالة، وأن مصير أعوان الاستعمار وأتباعه من الذين هم بمثابة عقارب وأفاعي وضباع من الذين لا يزالون يهتفون لها ويؤيدن خرابها ودمارها لإسكات كل صوت عربي مسلم على أرض الجزائر، طالبا للحرية والاستقلال سيقضي عليهم واحدا بواحد، غداة النصر إن شاء الله، تولى قضاء العقود والزواج بوهران سنوات، ثم انتقل به عمله في أخريات عمره، إلى تولي الإمامة بإحدى مساجد وهران، حتى وفاته رحمه الله ، وهو من مواليد عام 1923 للميلاد

وفيها الشيخ أحمد ابلاحه

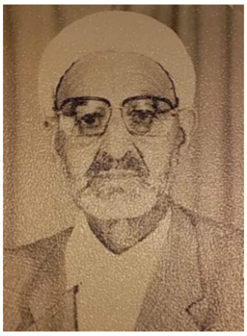

المعروف بـ: (سي ابلاحه) حافظا للقرآن الكريم حفظا جيدا، وله في علوم اللغة والفقه نصيب، تلقاها على يد الشيخ الطيب المهاجي رحمه الله، انتشر ذكره عند أهل القرآن ومحبيه بمدينة وهران، وقد خصه الله سبحانه وتعالى بكثير من فضائل أهل العلم وحفظة كتاب الله، التي أبانته عن جميع معاصريه، لما كان عليه رحمه الله من حسن سيرة ووفرة آداب وخلق قويم، يتمتع بكثير من مظاهر الكرم والوفاء، مشاركا أهله في كثير من أفراحهم، مؤاسيا إياهم في أحزانهم وأتراحهم، وقد امتدت معه هذه الخصال حتى وفاته رحمه الله من عام 1999 ، وهو من مواليد 1908 للميلاد،

وفيها الشيح ابراهيم مفلح حمزة

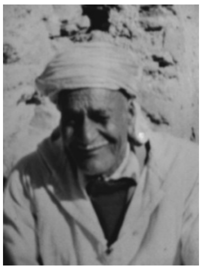

ولد الحبيب ولد احمد صغير، من مواليد 1932 للميلاد بقرية العرايبة من أرض القعدة، التي بها نشأ ودرس وتأدب وحفظ القرآن على يد شيوخ فواضل ممن اختلفوا على تربية النشء وتقويمه بمسجدها العتيق الذي كان مركزا مهما من مراكز الثقافة العربية الإسلامية، حيث اختلف إليه الكثير من طلبة العلم ومريديه، وكانت وفاته رحمه الله عام2011 للميلاد،

*وفيها الشيخ الفقيه سيي قادة (الصحراوي ابراهيم)

ولد عبد القادر ولد محمد الكبير ولد بن افريحة ولد الصحراوي ولد مصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي،

لقد نشأ هذا الشيخ الفاضل حفظه الله ورعاه، نشأة طيبة كريمة، في ثقافة وخلق وسلوك قويم، وفي بيت يسر الله له فيه نجابته، فكان فيها حافظا للقرآن الكريم حفظا جيدا، حتى تمَهَّرَ في نزع آي القرآن الكريم في مواضعها، انصرف إلى دراسة الفقه وعلوم اللغة بوهران على يد الشيخ سيدي الطيب المهاجي رحمه الله، حتى نال بذلك بما ينفعه علما وعملا، ليعود إلى محيطه بأرض القعدة التي بها

نشأ وترعرع، ليبدأ حياته كمعلم وإمام بإحدى الكتاتيب القرآنية، الذي كان فيه وفيا بجميع ما اكتسبه في تعليمه، فانتفع منه الصغار والكبار في سنوات، إلى غداة الثورة التحريرية الكبرى من عام 1954 للميلاد ليهاجر إلى وهران حتى غداة الاستقلال من عام 1962، ونظرا لتملكه ناصية اللغة العربية وآدابها استطاع أن يلتحق بسلك التعليم بإحدى المؤسسات التعليمية التربوية بوهران، فكانت له دليل سعادة في حسن عمل وجميل طوية، لينتقل بعدها إماما متطوعا، خطيبا ومحدثا ومرشدا وواعظا، إلى أن خرج منها منهيا عمله بسلك الشؤون الدينية، حفظ الله شيخنا وأعانه على العلم والعمل به في نشر الوعي الثقافي الديني والتعليمي، وهو من مواليد عام 1930 بقرية (العرايبة) من أرض القعدة،

*ـ وفيها الشيخ الفريح بن عبد القادر (الصحراوي ابراهيم)

ولد عبد القادر ولد محمد الكبير ولد بن افريحة ولد الصحراوي ولد مصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي،

من مواليد عام 1937 للميلاد، حافظا لكتاب الله، وعلى قدر عال من حسن السيرة والسلوك في ثقة واستقامة، محبا لأهله وبني عمومته ،

عاش حياته بوهران في تجارة حرة، ظل يستمد منها قوته حرا كريما، بعد أن درس مجتمعها الراقي منه والبسيط، حتى نال بسيرته وخلقه القويم رضا سواد الناس ، مستثمرا علاقته الوثيقة مع أهل العلم وحفظة كتاب الله، علما أن مجتمع

وهران كان يسير بزخم شديد نحو تطور فكري وثقافي من غير تعقيد ولا تقليد، لما هو عليه مجتمعها من طبيعة اجتماعية من حيث التمدن والتوسع، إلى أن ترك عمله بكامل الرضا وحسن العمل رحمه الله،

* وفيها الشيخ بن عيسى (الصحراوي ابراهيم)

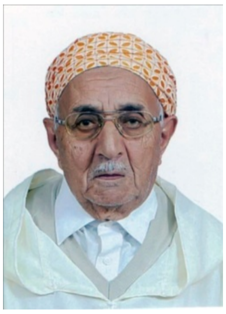

ولد عبد القادر ولد محمد الكبير ولد بن افريحة ولد الصحراوي ولد مصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي، من مواليد عام 1935 للميلاد، دوار العرايبية، من أئمة أهل القرآن حفظا مبينا رسما وترتيلا وهو لا يزال به قائما، هاجر أرض القعدة غداة الثورة التحريرية الكبرى من عام 1954 للميلاد إلى مدينة وهران، حيث انتهى به عمله في إحدى مؤسسات وزارة الصحة بوهران حتى أنهى خدمته فيها، و هو شيخ فاضل قويم السيرة، حسن الخلق، محبا لأهل القرآن كثير العناية بهم. وهو كما تراه في هيأته الحالية تبدو عليه إمارات الحياء، معتما بعمامة عاداتها الشيوخ والفقهاء، مكتسيا بجلابة عربية إسلامية جزائرية، تحدوه الهيبة والوقار، وهو لا يزال على حاله وإلى آخر لقاء به من عام 2020 محافظا على هدوء سيرته وأخلاقه الحميدة، إلى أن وافته المنية عشية يوم الخميس 30/ 07 / 2020 للميلاد، رحمه الله،

وآخرون لم نتمكن من معرفة سيرتهم رغم تقربنا ممن كانوا على اطلاع واسع برجالات هذه القرية وشيوخها،

وقد بلغت هذه القرية من الشهرة وذيوع الصيت بفضل ما كان لها من شيوخ وعلماء وحفظة كتاب الله،

***ـ قرية (المصاطفة)**

التي بجاه كبيرها نالت البر والإحسان، والشهرة والمقام المحمود، والقول المسموع، والذكر المرفوع، منها ما شرفها الله سبحانه وتعالى بكرم الشهداء من الذين بهم تاريخها تحلَّى، فهم في رحمة من الله تعالى التي وسعت عنده كل شيء

آمالها،ومن بيوتاتها:- أولاد بودادي،- وأولاد البرابير، - وأولاد امبارك،- وأولاد امعمم،

فهذه أسرة (أولاد بوداد) المكونات لإحدى فروعها، التي أدام الله تعالى أمرها وأعز نصرها، بما كان لها من أحقية نعمة الجهاد والاستشهاد في سبيل الله غداة الثورة التحريرية الجزائرية الكبرى من عام 1954 للميلاد، إلى جانب من جهز لها جهازها عبر الوطن لمثل ندائهم في الثورة والجهاد، ضد عدو محتل غاصب، الذي ما كان من ناج حربٍ دونهُ الأجل، أو شهيد مضى لما عند الله عز وجل مكن أجر وثواب، لقوله تعالى:[160] (من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)

وما زالت الأيام تتردد على ذكر الثورة الجزائرية التحريرية الكبرى في طول الوطن وعرضه، حتى كان لهذه الأسر ما كان، من أب سقط شهيدا جزاء وفائه لوطنه وأرضه، في مقاومة ونضال له ولبنيه إما النصر أو الموت دونه، فهذا شيخها الفاضل المعروف بـ: (المدني بودادي) الذي سقط يومها شهيدا رحمه الله ودفن في تربته المجاورة لسكناه، في يوم مهيب شهدت فيه أرض القعدة من أعلاها إلى أسفلها حشودا من الجيوش الفرنسية ما أنزل الله بها من سلطان، وتوالت الأخبار يومها بسقوط العديد من الشهداء، وإني لا أزال أذكر هذا اليوم الذي لا زالت صورته تستنطقني بكثير من الحقائق من التي لا زال صداها يتردد في أرض الوطن وبخاصة أرض القعدة،[161]،

---

[160] الآية: 22 من سورة الأحزاب،

[161] أنظر كتاب (تاريخ الجزائر الثقافي الديني السياسي والاجتماعي) ومقالتنا بجريدة الرأي اليومية تحت عنوان (القعدة تتذكر بطلها) المنشورة بتاريخ 06 رجب 1431 هـ الموافق لـ: 20 جوان 2010 م

وقد أحكمت فرنسا قبضتها على جميع ربوع أرض القعدة في حملة دامت أسبوعا كاملا، إحكاما كملت به أهدفها وغايتها، مما تركته من جوانح وأضلع كسيرة لدى العديد من بيوتاتها ، التي فقدت فيها الكثير من أبنائها النجباء، ورجالاتها الصلحاء الأخيار، منهم الحافظ لكتاب الله وسنة نبيه الكريم، ومنهم البالغ في الفقه واللغة والآداب، ومنهم من لا يزال يطلب العلم في أماكنه شابا طريا، ومنهم من كان في العمل مهاجرا، ومنهم من كان من أعز رجال زمانه، كرما وسجايا وطيب شمائل، رحم الله من نال الشهادة منهم في الجهاد ومرضاة ربه، وقد ألمت بهذه الأسر يومها حوادث كثيرة لا زالت الأيام بها مذكورة[162]

وسآتي عليها في جملة من أخبارها والتعريف بها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض، ويأتي في مقدمتهم شيخها الفاضل ـ السيد (بودادي) مدني ـ ولد عبد القادر ولد المدني ولد محمد ولد بن عبد الله ولد بن عدي بن بغداد رحمه الله ، الذي سقط شهيدا يومها من عام 1957 للميلاد أمام جمهوره الكريم وأناسيه الطيبين، في يوم شهدت فيه أرضها ال إرهابا عنيفا وانتقاما لم تشهده له الأيام مثيلا، بما قامت به فرنسا على هذه الديار،

***وفيها الشهيد السيد ــ بودادي) مدني ــ**

[162] أنظر كتاب (الشهيد بودادي أحمد بن مدني، سيرة وجهاد) طبع ، دار الأديب للنشر والتوزيع 2005 للميلاد،

ـ التي كانت به أرض القعدة عامر بكثير من الجود والكرم والإحسان[163] وهو من مواليد عام 1885 للميلاد بحكم قضائي تقريبي، حاملا لكتاب الله، المذكور بالعقل والفضل، نال الشهادة على أرضها الطيبة، في أعز ثورة وجهاد ، ولا زال قبره بها شاهدا عليه رحمه الله، إنا لله وإنا إليه راجعون على هذا الحدث الجلل الذي شهدته أرض القعدة في هذا اليوم العظيم عظيم ثورتها المجيدة من عام 1954 للميلاد،

*وفيها الشهيد السيد احمد[164](بودادي أحمد)

---

[163] أنظر في ترجمته كتاب (الشهيد بودادي أحمد بن مدني، سيرة وجهاد) طبع ، دار الأديب للنشر والتوزيع 2005 للميلاد،

[164] أنظر كتاب (الشهيد بودادي أحمد بن مدني، سيرة وجهاد) ص: 21 وما بعدها، طبع ، دار الأديب للنشر والتوزيع 2005 للميلاد،

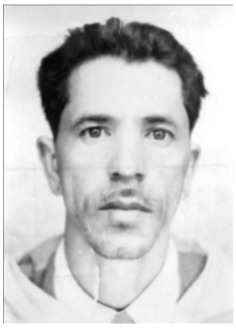
بن مدني ولد عبد القادر ولد المدني ولد محمد ولد بن عبد الله ولد بن عدي بن بغداد، رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه، الذي سقط شهيدا في ميدان المعركة من عام 1957 للميلاد بجبل اسطنبول التابعة في محيطها الجغرافي لأرض القعدة من بادية امهاجة،

فبعد استظهار هذا الشهيد للقرآن الكريم، التحق بالقرويين بفاس من عام 1953 للميلاد الذي كان فيه مقدما في كثير من علوم اللغة والفقه،أخذ جل علومه بأرض المغرب الأقصى بمدينة فاس بجامعة القرويين،

* وفيها الشهيد السيد عل الشريف (بودادي أعلي شريف)

*بن مدني ولد عبد القادر ولد المدني ولد محمد ولد بن عبد الله ولد بن عدي بن بغداد، الملقب بـ : (عبد السلام) وهو الاسم الحربي الذي أخذ به شهرته أيام الثورة التحريرية الجزائرية حتى نال به الشهادة من عام 1959 للميلاد رحمه الله،

لقد تلقى هذا الشهيد رحمه الله تعليمه في حفظ القرآن الكريم وأولية علومه بقريته على يد شيوخ أفاضل من الذي لا زالت الأخبار بهم سائرة، وله وجود في اللغة الفرنسية وآدابها،

*وفيها السيد محمد المعروف بـ : (الصحبي)[165]

بن مدني ولد عبد القادر ولد المدني ولد محمد ولد بن عبد الله ولد بن عدي بن بغداد، المدعو منيـــر وهو الاسم الثوري الذي لا زال بت معروفا عند رجالات الثورة، هو الآخر التحق بالثورة التحريرية الكبرى من عام 1957 للميلاد، وعمر بها طيلة سنواتها العجاف المملوءة بمشاهد الرعب والهول والقتال والاقتتال، حتى غداة الاستقلال من عام 1962 للميلاد، ولا زالت أيامها به مذكورة، وكثير من رجالاتها من الذين كانوا إلى جانبه في الجهاد أو ممن سبقوه في أيام من انطلاقها

[165] أنظر في ترجمته كتاب (الشهيد بودادي أحمد بن مدني سيرة وجهاد) طبع دار الأديب للنشر والتوزيع، 2005 ، مصدر سابق،

حاملا لكتاب الله ، التحق بمعهد بن باديس عام 1953 للميلاد، وظل به سنوات، اختلف فيه إلى كثير من المؤدبين والفقهاء من مشايخ العلم، حسن السيرة، في فهم وخلق قويم،

وفيها السيد بن عبد الله بودادي

بن مدني، ولد عبد القادر ولد المدني ولد محمد ولد بن عبد الله ولد بن عدي بن بغداد، الذي كان له نصيب غير قليل في الثورة الجزائرية التحريرية الكبرى،

وفيها الشيخ بودادي الحبيب (بودادي الحبيب)

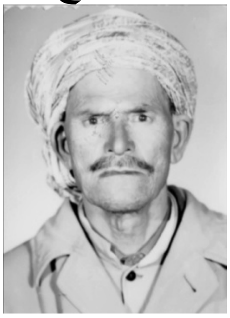

بن سليمان ولد مدني ولد محمد ولد بن عبد الله ولد بن هدي ولد بودادي، الذي كان من أهل القرآن، حافظا له، دربا في أمور السياسة ودنياها، وجيها، تولي رئاسة بلدية زهانة، في سنين، واستلم ركنها بيده في كامل جلالة وأصالة، حيث كان فيها صابرا على القعود للناس، مواظبا على الاستماع لهم يومه كله، حتى أتبعه الناس أيام رئاسته لها ثناء وتقديرا، في صبر جميل واحترام كبير، ، وكانت وفاته رحمه الله عام 2002 ، وهو من مواليد 1909 بأرض القعدة،

***وفيها الشيخ بن حكة الغالي (بن حكة الغالي)**

ولد محمد ولد بومدين ولد جلول ، الذي كان رحمه الله كيس الأخلاق، متأدبا فاضلا صاحب دين وآداب، مذكورا بالخير، من مواليد 1934 وكانت وفاته رحمه عام 2002 بأرض القعدة،

*وفيها الشيخ الفقيه بلخضر بودادي (بودادي بلخضر)

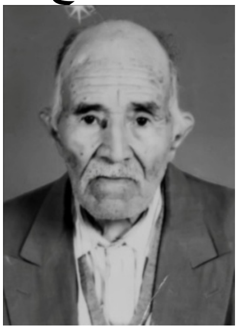

الذي أفنى عمره في تعليم القرآن الكريم حتى وفاته رحمه الله، مستكتبا للقرآن الكريم بكامل تقاييده وأحكامه، عاش طيلة أيامه منقبضا عن الناس عفيفا، اختلف إليه الكثير من طلبة القرآن الكريم، وهو من المذكورين عند أهل القعدة في بابه رحمه الله

*وفيها الشيخ سيدي الطاهر، (عدة ابراهيم) [166]

166 أنظر كتاب الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر ، مصدر سابق،

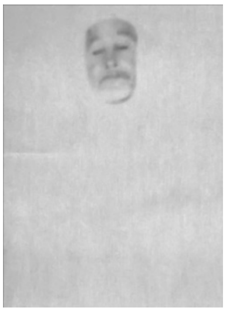

ابن الشيخ الفقيه سيدي الميلود - بن ابراهيم المهاجي - ولد محمد الكبير ولد سيدي عده ولد سيدي مصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي، الذي كان من حفظة القرآن الكريم في علو سند وكبير رواية، الذي أتاه عن والده رحمه الله، الذي سمع منه معظم ما عنده، وأجاز له سائرها، في فقه ولغة ودين، تولى الإمامة بها غداة استقلال الجزائر من عام 1962 للميلاد في ستين، فكان بذلك أول إمام فيها للصلوات الخمس وأيام الأعياد والجمعة، حتى توفاه الله عام 1981م. وهو من مواليد عام 1892، رحمه الله

لقد كانت لهذه المعركة التي شهدتها أرض القعدة يومئذ موقظة للقلوب، باعتبارها أتت كاشفة لوجه الاستعمار الحقيقي، بما ارتكبه في حق أهالي هذه الديار من جرائم كبرى من التي لا زال يتعامل بها مع الشعوب الضعيفة التي لا زال يسلب منها حريتها ويستغل خيراتها في سنين،

ولا يزال هذا اليوم من تاريخها المرير يذكي في نفوس ساكنيها الكثير من الآلام هروبا من جحيمها ليلا قبل المعركة بقليل، هروب فرادى وجماعات دون مأونة أو زاد يقيهم من شر ما هم فيه، وفي الغد من يومهم ذاك ترك الاستعمار ما ترك من البقية من ضحاياه، ممن لم يسعفهم الحظ من الانسحاب، جامعين

أنفسهم وعلى كثير من الضحايا واقفين، منهم من سقط شهيدا، ومنهم من نجا بأعجوبة حاملا معه يدا مبتورة، أو عاهة مستديمة ظلت ترافقه حتى يوم وفاته رحمه الله، وآخرون سيقوا إلى السجن حيث قضوا فيه بقية زمان الثورة تحت القهر والتعذيب، وذهبت البقية إما للجبال كثوار محاربين مقاتلين، أو في توزع وتشريد نحو مدن كبرى لغرب البلاد، حينها عمد الاستعمار إلى تجميع من تبقى منهم في مكان واحد ليكونوا تحت أمرة سلطته وسلطانه، خائضين طائعين لأوامره، حتى أن البعض منهم من قليلي الإيمان ألقوا بأنفسهم في أحضانه عونا له ، ظنا منهم أنهم أمَّنُوا لأنفسهم وأولادهم حياة أمن واستقرار، وعاشت البقية من المؤمنين بالثورة في عداوة معهم بين آكل ومأكول[167]، ما جعل الثورة بسببهم تطول وتشتد في سنين، حيث لا يزال الخبر عند الخلف والسلف من ساكنيها يجر الكثير من مصائبهم الجليلة، وأعمالهم المؤذية، وقد أمد الله زمانهم حتى بات الجميع الذين هم من جيل الاستقلال شاهدين آخذين أخبارهم بكثير من التواصل والرواية، بحيث لا يكاد يخلو جمع يكون فيه ذكر للاستعمار الفرنسي إلا وتسمع أخبار من باع وطنيته وعزته وشرفه لها، وبكثير من الحصرة والألم يقصون ما سببه هؤلاء من أذى في خوف ورعب أو قتل أو سجن أو تشريد، إما في وشاية كاذبة، أو روح انتقامية، اتجاه كل من كان يعادي فرنسا أو يرميها بسوء،

غير أن الدهر كان ولا يزال كفيلا بإظهار كل ما عهدته تلك الأيام في أمدها البعيد، وأن التاريخ لن يرحم أحدا كان من كان، فهو حي لن يموت وفي اتصال دائم بينها وبين خصومها لا يزال حيا خالدا وإلى يوم الدين،

---

167 أنظر كتاب تاريخ الجزائر الثقافي الديني السياسي والاجتماعي،

* أولاد سيدي الفريح المهاجي[168]

وهي قرية[169] نطق الشرع والدين فيها مبكرا، في صلاة تجمع، ومنبر يرفع، في سالف أزمان، بفضل ما أعطاها الله سبحانه وتعالى من شيوخ نجباء لا زالوا يتمثلونها أساسا ومسارا من التي انطلقت بهم أيامها الثقافية والفكرية التي لا زالت تصل بهم جذور أبنائها، الماضي بالحاضر، المرتبط في أعماقها مع الزمن عبر عصورها البعيدة، التي جادت بالكثير من علماء وشيوخ من بني العمومة في الفقه واللغة والشريعة وأصول الدين، ووشت بأسرار عظيمة جراء رحلتها الطويلة في بعدها التاريخي الديني الجهادي والثقافي، السياسي والاجتماعي، حتى أنها باتت تمثل عند أهلها واقعا متطورا، لولا ما أصابها من دمار وتخريب بعد أن أتى عليها الاستعمار الفرنسي غداة الثورة التحريرية الجزائرية الكبرى من عام 1957 للميلاد ليجعلها أثرا بعد عين، كغيرها من البيوتات والقرى من أرض القعدة، في معركة تركت خلفها العديد من أبنائها شهداء وأرامل وجرحى ووقع عدد منهم في الأسر وسار البقية مهاجرين حتى اليوم من عام 2019 للميلاد،

وبطول زمن أخذت هذه القرية مسميات كثيرة، عند أهل العلم والتاريخ،

---

[168] أنظر كتاب الأحكام في ذكر الأعلام من الشيوخ والفقهاء وأرباب الكلام، للشيخ العلامة الهادي بن محمد بن عبد الله بن عبد القادر المكي الوزاني السني، ص: 36 وما بعدها من المخطوط، رقم أ/43 . م .م .خ،

[169] أنظر كتاب (الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر) للدكتور قدور ابراهيم عمار المهاجي، مصدر سابق، وكتاب (تاريخ امهاجة بين المدلول اللغوي والرسوخ الجغرافي والامتداد التاريخي)،ص: 57 وما بعدها، مصدر سابق،

منها بيت امهاجة، وبيت العلم، وبيت المرابطين، وبيت القرآن، وبيت الأشراف الأدارسة،ثم ببيت السنة، إلى غير ذلك من التسامي التي ظلت تلحق بأهلها تقديرا واحتراما،

ومن فروعها: ـ **عدة ابراهيم، ـ الصحراوي ابراهيم ، ـ الفريح ابراهيم، زدور ابراهيم، ـ قدور ابراهيم، ـ الطيب ابراهيم،**

وقد أورثت هذه الأسرة أبناءها أبا عن جد العلم وحفظ القرآن الكريم، وبما أسست لنفسها من مسجد عد ساعتها من المساجد الفقهية المالكية الكبرى للوطن، درس فيه طلبة العلم، وحفظة كتاب الله علوم القرآن وفقه مالك، على يد فقهاء وعلماء أفاضل من شيوخها ورجالاتها أمثال:

الشيخ سيدي الفريح بن ابراهيم المهاجي[170]،

والشيخ سيدي الطيب بالفريح المهاجي صاحب الدرة الوهاجة في نسب سيدي الفريح من آل امهاجة الأدارسة الحسنيين، ومن رجالات القضاء والإفتاء والتدريس، زمن الأتراك العثمانيين[171]،

والشيخ سيدي محمد الشيباني بالفريح المهاجي، صاحب المخطوط النسبي، والمصحف الشريف،وجواهر أخرى من خطه وتواقيعه رحمه الله،

---

[170] أنظر كتاب الأحكام في ذكر الأعلام من الشيوخ والفقهاء وأرباب الكلام، للشيخ العلامة الهادي بن محمد بن عبد الله بن عبد القادر المكي الوزاني السني، ص: 36 وما بعدها من المخطوط، تحت رقم أ/43 . م .م. خ،

[171] أنظر كتاب أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر) ص: 122 وما بعدها، مصدر سابق،

والشيخ سيدي عبد القادر بالفريح المهاجي[172] الذي كان من أفاضل العلماء ثبتا وتحقيقا، حافظا للفقه والحديث والتفسير[173]،
والشيخ سيدي الحاج محمد بالفريح المهاجي[174]،
والشيخ الفقيه سيدي محمد مكنوس بالفريح المهاجي،
والشيخ الطيب المهاجي، في تآليفه التي تألق بها واشتهر، وتصدر بها أهل العلم، بعد أن اطمأنت به الدار، واستقر به الحال في مدينة وهران، إلى وفاته رحمه الله من عام 1969 رحمه الله،

وآخرون ممن كانوا أشد الناس انكبابا على طلب العلم وتنافسا فيه، وتلك هي الغاية الأسمى التي ظلت هذه الأسرى تسعى إليها طيلة حياتها، وإلى عهد متأخر كانت تشهد هذه القرية العديد من حلقات الدرس والتحصيل المملوءة بكثير من المجادلات الفقهية واللغوية العميقة، وقد بلغت بهم زوائد الدين على أصوله إلى كثير من محاربة الخرافات والبدع والمنكرات،
ومما جاء في ذكر أحد مشايخها الأوائل قول صاحب كتاب جامع الأخبار[175]، قوله:

---

172 المصدر نفسه،

173 أنظر كتاب الأحكام في ذكر الأعلام من الشيوخ والفقهاء وأرباب الكلام، للشيخ العلامة الهادي بن محمد بن عبد الله بن عبد القادر المكي الوزاني السني، الورقة: 36 وما بعدها من المخطوط، تحت رقم أ/43 . م .م. خ،

174 كتاب أنفس الذخائر، مصدر سابق،

175 أنظر كتاب جامع الأخبار والخطب والرسائل والفتاوى لشيوخ الذكر من أهل الزوايا والتكايا والربط ومساجد كتاب الله ، الورقة: 10 من المخطوط، مصدر سابق

(..لقد كان لهذه الديار رجالات صلحاء أخيار وفقهاء علماء أجلاء من أهل الذكر وعلوم اللغة والبيان، فهذا أحد شيوخها وأئمتها الكبار، سيدي الفريح بن سيدي محمد بن ابراهيم المهاجي[176]:، العالم بالأصول والفروع، الحائز على مراتب العلم وعلوم المعرفة والأصول في بيان، نال بها التعظيم والتقدير والاحترام، اشتهر ببادية امهاجة بكثير من الكرم والوجاهة، جيد النظر عند الحوادث والملمات، جاءني ذكره في كثير من نص وبيان، وفي أكثر من مقام، ممن فتح لي باب مخزونه من غير افتعال، وهو الواحد ممن صنف في هذا المجال، وسرد أسماء اكتمل لي من طبعها إظهار الكمال، وحلاها بالأوصاف الجميلة، باتت للأصل عنده في أكثر عطاء، فيها حوادث الأمم والأزمان بحقائق ثابتة، ومن مجرى أمور الدين والدنيا ما هو مبعث آيات وبرهان، فقلت: هو الشيخ العلامة سيدي الفريح المهاجي[177] بن سيدي محمد بن ابراهيم بن القندوز بن مفلح بن أحمد بن أيوب بن محمد بن_براهيم بن محمد بن سيدي ميمون بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عيسى بن الحسين بن عمران بن ابراهيم بن علي بن الحسن بن أحمد بن محمد بن ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ابن

---

[176] أنظر كتاب (أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر) ص: 122 وما بعدها، ، مصدر سابق، وكتاب الأحكام في ذكر الأعلام من الشيوخ والفقهاء وأرباب الكلام للشيخ الجليل العلامة الهادي بن محمد بن عبد الله بن عبد القادر المكي الوازاني السني المتوفى عام 1317 للهجرة الورقة رقم: 10 من المخطوط،

[177] أنظر كتاب (تاريخ امهاجة بين المدلول اللغوي والرسوخ الجغرافي والامتداد التاريخي)، ص 64 وما بعدها، وكتاب (أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر) ص: 109 وما بعدها،

أبي طالب رضي الله عنه)[178] هكذا قرأت نسبه الشريف بخطوط أيادي من كانت لهم كثير العناية بتقييد الأنساب ، في كثير مما كانوا عليه من حفظ في ثبت وعدل وإحسان، وعند كثير ممن تكرر على أيديهم هذا النسب الشريف بخطوط أيديهم في كتب التاريخ والسير والأنساب، وهو عند الفقيه الحجة سيدي محمد بن عتيق بن ابراهيم القروي، ثبتا في أحكامه، وله فيه مدون كبير، جمع فيه من تقاييد أهل العلم والآثار والسنن والسير والأنساب[179]، محصلة علمية نال بها السبق في كثير من ثبتها وحقائقها في أصول وفروع، لما فيها من موروث ضاعت وثائقه، وانعدم التدوين فيها..)،

إلى قوله: (..هذه جملة أسباب ذكرتها في أحقية هذا الشيخ الجليل سيدي الفريح المهاجي[180] بن سيدي محمد بن ابراهيم، حسبا ونسبا، الذي لحقه (............)[181]من نسبه الشريف لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأبي الأنبياء سيدنا إبراهيم ولآدم عليهما السلام،[182] لقد كان هذا الشيخ رحمه الله من أكابر أهل العلم زهدا ونسكا ، فضلا واتباعا، لما كان عليه

---

[178] أنظر مقدمة المخطوط الموسوم ب: (كتاب الوصل في ذكر رجال العلم وأهل المقامات ، مصدر سابق،

[179] أنظر كتاب جامع الأخبار والخطب والرسائل والفتاوى لشيوخ الذكر من أهل الزوايا والتكايا والربط ومساجد كتاب الله للشيخ أحمد بن محمد بن علي بن مصطفى التراري الورسيني المتوفى عام 1304 ، الورقة: 12 من المخطوط، الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم: 1256 /هـ/ ت/ هـ

[180] أنظر في ترجمته كتاب (أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر) ص:122 وما بعدها، ، مصدر سابق،

[181] هكذا في الأصل ، ولم أقف له على تتمة،

[182] في الأصل: مطموسة، ولعلها "الإسلام"

المتبوع محمد صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا، في مناقب ومآثر طارت بها الركبان شرقا وغربا، وتعطرت بنفحاتها الأرجاء، وخلد له التاريخ في قراطيسه مآثر ما يشهد لكمال فضله وارتفاع قدره، وأبقى له ذكرا حسنا على مر السنين وجعله لسان صدق في الآخرين[183]،

وليس له في علمه أحد سواه، مكانا وتقديرا وثناء، بذكره تتلى المقاصد في بيت عمرها الله بالعلم والذكر وحفظة كتاب الله علما وعملا، من التي جاءتها هدايتها عن طرق أسلافها من الذين ما أنزل الله بهم من سلطان، عددهم في العلم من الكثرة لا تحصى ـ ولا تعد، هم شيوخ صلحاء[184] أطهار، وفي العلم فقهاء أجلاء أبرار[185]، أثناء الجمع يتلون الفاتحة ، ويصلون على النبي المختار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأضعافها مرات، ويعطفون سورة ياسين والفتح والملك ويضيفون الرحمن، تلاوة ترتيل وبيان، يسكنون الصوت فيه وبالمد يعملون، وهم في دراسة القرآن وعلومه صبحا ومسا يتعجلون، تنزيها بفهمه وافتخارا بجمعه، إقرأ ما شئت فيهم فهم لك طائعون، سامعون مرددون، وفي سورة البقرة عندهم تلاوة، ولا تنس طه ومريم وكذا المزمل والمدثر، ويكثرون في العبادة من ذكر سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وبعد كل صلاة عشاء يتلون القرآن تلاوة جمع، ويختمونه بالدعاء، ودرسا في الفقه والتفسير على السواء،

وعند كل صالة الصبح يتلون دعاء القنوت الذي تعلمناه صبية في الكتاب على اللوح وعباراته اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونتوكل عليك

---

[183] وهو اقتباس من قوله تعالى : "واجعل لي لسان صدق في الآخرين" الشعراء الآية: 26.

[184] في الأصل "طلحاء"

[185] ورد في الأصل هكذا "أرار" والصواب ما أثبتناه،

ونخنع لك ونخنع، ونترك من يكفرك، اللهم إياك نعبد، ولك نصـــلي ونســـجد، وإليك نســـعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخاف غذابك الجد، إن عذابك الجد بالكافرين ملحق وأذكار أخرى لا تخرج عن القرآن بها تقوى الله تعالى، والعمل بطاعته، والاسـتعانة به والتوكل عليه، والشـكر له سـبحانه أولا وآخرا، وقد سار على منواله أحفاده من بعده بما استقرأوه من آثار البر والإحسان من مواقع خطاه، .....)[186]

وفيها الشيخ سيدي الطيب[187] بالفريح رحمه الله ،

الفقيه الكاتب والمحدث البليغ، الذي كان من أكابر علماء المذهب المالكي بأرض امحاجة التي بها ولد، وبها نشأ، وقرأ وأقرأ، إلى أن شاع ذكره في الناس وذاع، وقد تولى الإفتاء بأرض وهران أيام الدولة العثمانية في سنين، وقد ذكره الشيخ الطيب المهاجي رحمه الله وأثنى عليه بكثير من التقدير والاحترام، واصفا إياه بأنه كان مشهور الذكر، معلوم القدر[188]، عند أهل العلم في مسائل منها (أنه اشتكاه بعض الصالحين ضرر الأتراك فقال رحمه أنكم تعتقدون أن كل ما يصيب الإنسان في دنياه هو من قضاء الله وقدره، فكيف أرده..... وتلي قوله تعالى:(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض)[189]

---

[186] أنظر كتاب جامع الأخبار والخطب والرسائل والفتاوى لشيوخ الذكر من أهل الزوايا والتكايا والربط ومساجد كتاب الله ، مصدر سابق،

[187] أظر كتاب (أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر) ص: 120 وما بعدها، وكتاب الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر ، ، مصدر سابق،

[188] المصدر نفسه،

[189] الآية 251 من سورة البقرة،

ومما يروى عنه رحمه الله[190] أن أيامه كانت حافلة بمجالس العلم والذكر، حتى أنها باتت في كثير أيامها ولياليها، محفوفة بكل لطيفة وسيعة، من دقيق المعاني وجليل المعالي،

هكذا جاءت أوصافه على لسان ممن عاصره من العلماء ممن كانت لهم دراية فيمن له ذكر في بعض فضائل أهل العلم وسيرهم ،

ومن أعماله رحمه الله قصيدته النسبية التي لا يزال بها مذكورا الموسومة بـ: (الدرة الوهاجة في نسب سيدي الفريح من آل امهاجة الأدارسة الحسنيين،) قوله[191]:

يَبْلى الزمـــانُ ويفنَى المـــالُ والنَّشَبُ
ويَخْلُدُ الذِّكْرُ والأعمـــــــــالُ والنّسبُ
لاسيمـــــــا نسبٌ يرقى لسيّدِنا
زوجِ البتـــــولِ وفيـــه تَفْخَرُ العربُ

تلك المكــــــارِمُ تحصِيهَـــا قِلادتنا
في آل طــــــــه وما في ذلكم عَجَـبُ
لوْ لمْ يكُنْ نسبُ الأشـــرافِ مَكرُمةً

[190] روايات لا زالت تتناقها ألأجيال بهذه الأرض التي كانت قرارة كل فضل، ومنهل كل خير،

[191] لقد سبق نشرها في كتاب (الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر) ص: 196 وما بعدها مع شرح وتعليق، وله مخطوط ثاني في النسب نثرا ، وقد ثبته الشيخ الطيب المهاجي في كتاب أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر ص: 120 ، وما بعدها،

تبقَى لما أُلِّفَتْ في فضْلِهَــــــا الكُتُبُ

ولا تناولَتِ الأقــــــــــلامُ سيرتَهَا

فليس يَعْدِلُهـــــــــا درٌّ ولا ذهبُ

أقـــــــولُ ذَا وبذهني من مفاخـــرهِمْ

سيدي "الفريح" وقد زادَتْ له عَقِـــبُ

فكيـــــــف لا ولآل امهاجـــــــةَ النسَبُ

إن الكريــــــمَ إلى الأخيـــار ينْتَسِبُ

أنسابهم في قلـــوب الناس خالــــدةٌ

على يديهم هــوى الأوثــــانُ والصُّلُبُ

إن قصّـــــرَ الشِّعْرُ عن مدحٍ فلا عجبُ

على يدهِمْ يقُــــومُ الشّعْـــرُ والخُطَبُ

هم إخْـــوةٌ سِتّةٌ دارُوا على فلـــكٍ

يَجْـــرِي بهم وأبوهُمْ "مصطفى" قُطُبُ

مُكرّمُونَ شيُـــــوخٌ لسْتَ تَعْدِلُهُمْ

بثرْوَةٍ طــــــــابَ أمٌّ منهــم وأبُ

فبِكرهم "عـــــدّةٌ "شيـــخٌ يحيطُ به

لدَى المَحَافِـــلِ جمْعٌ ســـــــادةٌ نجُبُ

شقِيقُهُ الشيخ "صحراوي" لو اسْتَعَرَتْ

في النـــــاس مَكْرُبةٌ تُجْلَى به الكُـــرَبُ

وفيهم سيد "الفريـــــح" قد شهِدَتْ

له الأقـــــــارِبُ إنْ حَلّتْ بِهِـــمْ نُوَّبُ
ورابعُ الأخـــــــوةِ "السني" كـان له
دورُ القُضَـــــاة حَـوَاهُ ثوبُـــهُ القَشِبُ
وكان "قـــــدور" فيهم حافظًا فطنًا
سُرّتْ بطلعَتِـــهِ السّاحَـــاتُ والرُّحبُ
و"الطيّبِ" الأصلِ لم تفْتُــرْ عزِيمَتُهُ
تــراهُ بالعلمِ والإيمــــــانِ يخْتَضِبُ
أولئكَ السِّـتَّةُ المشْهُـــــــودُ فضْلُهُمُ
أبوهـــــم"مصطفى"للخيـــرِ يُنْتَدَبُ
ابن "الفريـــــح" سليلُ العلمِ سِيرَتُهُ
في الناس معروفـــةٌ حفّتْ بها الشُّهُبُ
ابنا محمـدٍ ابراهيمَ فخْرُهُـــــــــــمُ
لو كـان في الـناس بعضٌ منه ما احْتَرَبُوا
ابن المنادى "بكنــــــدوزٍ" مكارِمُهُ
وادٍ خصِيبٌ ومنه النـــــاسُ تَجْتَلِبُ
ابن "مفلح" قد نِيطَ الفـــــلاحُ به
فأقْبَلَ الخيْـرُ والأمجـــــــادُ والرُّتَبُ
"ابن أحمدٍ نال في الأقـــوام معرفةً
في كلِّ أحوالِـــــهِ يُرْجَى ويُصْطَحَبُ
ابن سميّ النبِيِّ أيــــوب"لو مُلِئَتْ

عنه الصّحائــــــفُ ما وَفُّوا ولا كتبُـوا

وابن سميِّ أبي الزهـــــراءِ سيِّدِنَا

"محمدٍ" عشِقُـــوا لُقْيَـــــــاهُ فاقتربوا

ابراهيم أبــــــوهُ الذي يُدْعَى مجمِّعُهُمْ

إليه قد أودِعَ المأثُـــــــورُ والحَسَـبُ

أعنِ فتىَ المَجْـدِ ابراهيـــم من خُتِمَتْ

به المكارمُ والأخْــــــــلاقُ والأدبُ

محمدٌ قد تولّى نهـجَ والــــــــدِهِ

فــليس يرْهِبُهُ نبْـــــــعٌ ولا غَـرَب

بن سيدي "ميمون" راعِى العلمَ قد نشأتْ

على يديــه صُـرُوحُ العلـــم تنْتَصِبُ

ابن "محمد" عبـــــــــد الله يقْدمُهُم

"موسى" و "عيسى" بهم قد أُبْدِعَ الأدَبُ

أبوه "يحي" بن "عمرانٍ" لو ألتَمَسُــــوا

من ربهـــــم سِرَّ علمٍ تُكْشَفُ الحُجُبُ

"ابنا بْراهيـــــم" يقفوا خُطْوَ والِدِهِ

عليُّ المُرْتَجَـى ما جَـــــــدّهُ الطّلَبُ

و"الحســـن" المتَّقي بن "أحمــــدٍ" فإذا

سارًا لفضلٍ تقـــولُ الأرضُ والسُّحُبُ

ابنا "محمــــدٍ" بن "ادريس" أصغرِهــمْ

فإن أتى "الأكبر" ازدانَتْ به الحُقَـــبُ

أبوهُ "الكاملُ عبــــد الله" مَنْ وُصِفَتْ

عُلُومُــــــــهُ في البرايَا أبْحُــرٌ لُجُبُ

ابن " الحســـــن المثنى" سِرُّ دوْحَتِهِمْ

"الحسـن السبط" إنْ يَسْبـقْ فلا عَجَب

فوالِـدَاهُ "عليٌّ" ثم "فاطمـــــــــةٌ"

لما استجابُـــوا لأمـرِ اللهِ قدْ غَلَبُـوا

وصادف الاشتغال بهذا التأليف وصول أستاذي الفاضل وشيخي العالم الجليل الأديب الشاعر، الدكتور عادل جاسم محمد البياتي من العراق الشقيق بلد الرافدين ـ الأستاذ بجامعة بغداد ـ في زيارة علمية لجامعة وهران، واطلع على بعض صفحات هذا التأليف في مسودته وتوقف عند التراجم والسير وبخاصة هذه القصيدة المسماة ب : (الدرة الوهاجة في نسب سيدي الفريح من آل المهاجة الأدارسة الحَسَنِيّين) التي استهوته أخبارهم، وأعجبته سيرتهم، وما يتصفون به

من فضل وعلم وجاه، ولما جاء في القصيدة من تسجيع وتقفية الذي هو دليل على ما كان عليه صاحبها من قوة طبع وكثرة مادة، حيث أبدى استغرابه من كون هذه القرية الصغيرة تظم هذه الفئة الكبيرة من العلماء، من ذوي الإطلاع والمعرفة في التراث الديني العربي الإسلامي،

إضافة إلى اطلاعه على العديد من المخطوطات التي لا زالت تتوافر عليها الأسرة في العديد من بيوتاتها وما أتوافر عليه أنا الآخر منها في مكتبتي، والتي يعود تاريخها إلى القرن السابع والثامن وكذا العاشر والثاني عشر للهجرة، وما كان منه في القرون المتأخرة من التي كانت لأصحابها السبق والإجادة في الكشف عن مدى التجديد في خيالاتهم ومعانيهم ومدى إجادتهم لها في كل ما كان يشغل بالهم يومئذ وبخاصة منها العلوم اللغوية والفقهية وكذا التاريخ والسير والتراجم والأنساب،

فأثارت هذه الحوافز في نفسه سبحات الشعر والإلهام، ما جعله يقدم على تتمتها بأبيات تماثلها في الشكل والمضمون إلى آخر نسب أقف عنده، معتبرا هذه التتمة، هدية منه إليَّ، بعد أن استقرأها وتلمس ما فيها من جمال لفظي وتحليل معنوي القائم على عمق الذوق اللغوي وفهم أسرارها، حيث راعى فيها الوزن والقافية، وكذا الخصائص الفنية الأخرى التي تعكس على لغته قيمتها الفنية التي كثيرا ما يفصح بها الأديب عما يجيش في نفسه من العواطف والانفعالات، وكل ما يتصل بذلك من خصائص جمالية للأسلوب، فجاءت وكأنك بصاحبها الشيخ الطيب بالفريح المهاجي المتوفى عام 1165 للهجرة، يواصل اليوم ما أنشأه بالأمس الذي بلغ زمانه عقودا من الزمن، فوصلها بآخر نسب لي كما أراد لها صاحبها زمان إنشائها، جزاه الله خير الجزاء ومنحه الصحة والأمان وزاد في فضله وعلمه وجعله ممن وعدهم الله بالإيمان إنه سميع مجيب، قوله:

أحْمِلُهَا[193] إلى "عمار" هـــذي اللآل[192]
هديـةً رضيَ الحســـادُ أمْ غَضِبُــوا

أمّا القِلادةُ بالإسنــــــادِ يُـــورِدُهَا
"عَمَّـــارُ" مُرْتهِبًا منها ويَحْتَسِـــــبُ

بديهةً تدْخُلُ الا سمــــــاع صادقـــةً
لاسيما حِيـــنَ يَرْوِيهَـــــا ويكْتَتِبُ

"محمد" الشيـــخ في الأنســـاب والِدُهُ
ابـن "الحبيب" بتاج العلم يَعْتَصِبُ[194]

"محمد" بن "مصطفى" هـــــدًى وتقًى
أبـــوهم قـــــدور للمجــــد يَنْتَسِبُ

قِلادَةٌ من شريف اللفْـــــظِ رمْتُ بها
لآلِ بيْتِ رســــــولِ الله أقْتَـــرِبُ

ذُرِّيةٌ شيْخُهَا سيـدي الفريـــح فَهُمْ
شُمُوسُ أُفْقٍ على الأكْـــــوَانِ تَلْتَهِـبُ

ذَرْأُ[195] النبـوّةِ ابراهيــــــــمَ أولُهُم
تَلَتْـهُ ذريةُ اسماعيـــــــلَ ما اغْتَرَبُوا

---

192 اللآل: جمع لؤلؤة، وهي أبيات القصيدة ومفرداتها،

193 ويعني به صاحب هذا التاليف، الأستاذ الدكتور قدور ابراهيم عمار المهاجي،

194 يعتصب: يتخذ التاج عصبة فوق رأسه.

195 ذرأ النبوة: زرع النبوة أي أبناء سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام،

وهكذا نراه حفظه الله ورعاه قد ختم هذه القلادة بتتمة أوصلها إلى "عمار"[196] أحد أحفاد هذه السلسلة السنية من النسب الشريف، وكاتب هذه التأليف الموسوم ب: (الأثر الآفل والكفيل الغافل) وذكر الناظم أنه "عمار" بن "محمد" بن الشيخ"الحبيب" وقال عن الحبيب أنه كان معتصبا بتاج العلم وجده "محمد" بن مصطفى بن سيدي "قدور" وقدور سادس الإخوة المذكورين في القلادة التي قال الناظم إنه أراد في مديحه لهذه الأسرة الطويلة أن يتقرب بها إلى خالقه عز وجل، لأنه بمديحهم إنما يمتدح البيت النبوي الشريف والأصل العلوي العفيف، ومما جاء فيها قوله:

أمّا القِلادةُ بالإسنـــــــادِ يُورِدُهَا
"عَمَّــــارُ" مُرْتِهبًا منها ويَحْتَسِـــــبُ
بديهةً تدْخُلُ الا سمـــــاع صادقةً
لاسيما حِيـنَ يَرْوِيهَـــــا ويَكْتَتِبُ
"محمد" الشيخ في الأنســـاب والِدُهُ
ابن "الحبيب" بتاج العلم يَعْتَصِبُ

وله في أخرى له نثرا،[197] قوله:

(الحمد لله وحده وصلى الله على ما لا نبي بعده ليعلم الواقف على هذا الرسم من الأمة المهتمين وفقنا الله وإياهم إلى إتباع سنة سيد المرسلين، إني موافق موافقة تامة شرعية لأولئك السالكين سنن سيدي الصالحين الواقفين بباب السنة القائمين بحدود الله على ما رقموه بخطوط أيديهم من ثبوت نسب

196 يعني به صاحب هذا التأليف الأستاذ الدكتور قدور ابراهيم عمار المهاجي،

197 أنظر كتاب أنفس الذخائر وأطيب المآثر ، ص: 109 وما بعدها،

الماسكين للرسم المذكور، وهم السيد عبد القادر والسيد بن افريحة والسيد أبو زيان من أولاد سيدي بن منصور العفيفي المتصل نسبه بسيد البشر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم،

فهؤلاء الماسكون للرسم نسبهم محقق للشهرة حيازتهم له بدون منازع مع طول المدة، وقد قيل إن الأنساب كالأملاك تثبت بالحيازة مهما طالت مدتها بلا منازع، فمن وقف على وثيقة هذا النسب وجب عليه العمل بمقتضاه والأخذ بما تضمنته، وليس له المخالفة ولا يسعه إلا احترام من ثبت لهم النسب الحسني أو الحسيني، والأدب معهم بقدر الإمكان إرضاء لجدهم صلى الله عليه وسلم، كما يجب على العلماء والمؤرخين الاعتناء بضبط النسب الشريف وبحقية من يدعيه، كما حقق نسب الماسكين للرسم المذكور ومتى ثبت النسب الهاشمي لأحد فالواجب احترامه وتوقيره والأدب معه أداء لواجب آل البيت النبوي، ومن قصر في حقهم فلا يلومن إلا نفسه والله يهدي من ضل سواء السبيل، وبتاريخ أواسط شهر رمضان المعظم عام اثنين وثلاثين ومائتين وألف ثم أعود فأعلن بثبوت نسب هؤلاء الإشراف المنتسبين للمنتخب من البطون الظراف والمصطفى من ولد عبد مناف صاحب الشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم، كتبه الطيب بالفريح المهاجي وفقه الله آمين، اللهم ارزقنا محبة آل البيت وأعنا على ما فيه رضاك ورضاهم"[198]،......)،

---

[198] أنظر كتاب "تاريخ امهاجة بين المدلول اللغوي والرسوخ الجغرافي والامتداد التاريخي، ص: 57 وما بعدها." مصدر سابق،

وكتاب جامع الأخبار والخطب والرسائل والفتاوى لشيوخ الذكر من أهل الزوايا والتكايا والربط ومساجد كتاب الله ، مصدر سابق،

وفيها الشيخ سيدي محمد الشيباني[199]بالفريح المهاجي،

الذي قضى عمره في ستين سنة متصدرا الدرس في معرفة واطلاع، قائما على كتاب الله وسنة نبيه الكريم، ولد في قريته المعروفة باسم (أولاد سيدي الفريح المهاجي) التي بها نشأ وشب وترعرع وتعلم، وقد كان فيها رحمه الله موفور الحظ من علوم اللغة والفقه وحفظ القرآن، ميسور الحال، الشيء الذي مكنه من التنقل إلى مراكش بأرض المغرب الأقصى التي كانت يومئذ حاضرة العلم والعلماء، حتى بلغ بها الشأو البعيد في كثير مما تحفل به من درس في كثير من علوم اللغة والأدب والفقه والشريعة والدين، بعد أن رأي فيه والده نجابة في ذكاء وحدة فهم، فاق بها أقارنه من شبيبة بني عمومته ذكاء ليعود إلى باديته بعد غياب دام عشر سنوات أو يزيد،

وقد وصفه[200] صاحب كتاب الوصل في ذكر رجال العلم وأهل المقامات، على أنه كان(.. من ذوي النباهة، وجمال السيرة، وطهارة الخلق، ووفرة العلم والأدب، وصباحة الوجه ....) حتى أنه رحمه الله كان يقرن إلى جده سيدي الفريح المهاجي، بما أضافه إلى أسرته من مجد وفخر حتى اختاره الله سبحانه وتعالى لجواره بعد سنين اختلف فيها إلى العمل التربوي حتى نال فيه المنزلة العليا والدرجة الرفيعة[201]،

---

[199] أظر كتاب(أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر) ص: 27 وما بعدها، للشيخ الطيب المهاجي رحمه الله،

[200] أنظر كتاب الوصل في ذكر رجال العلم وأهل المقامات لأحمد بن يحي بن المهدي بن عبد الله الحرشاوي التلمساني المتوفى عام 1236 ه الورقة: 16 من المخطوط،

[201] وقد وصفه لي أحد الشيوخ من بني عمومتي على أنه كان رحمه الله من كبار علماء أسرته حظا من خدمة العلم وأجلها أثرا،

وهو في علم الأنساب آيات في موضع الصحيح من الاستشهاد، وقد شهد له باللباقة والقدرة إلى الحديث عن نسبه من آل امهاجة لآل بيته المطهرين، الذي كان فيه ثبتا راوية، وإماما حافظا، تعقب مصادره في كثير من أماكنه، مستدلا بصالح الرواية من المخطوط المدون، في تقاييد كثيرة، حتى كان فيه من الذين حكموا على ما غاب بما حضر ، وبما أفادتهم أولي الألباب ممن يفهمون فصل الخطاب، بتدقيق من النظر، وعمل فيه الرَّوِيَّةَ والفكر، ومن بالغ حكمته رحمه الله، آثر بخطه رواية نسبه الذي انتهى به إلى كمال الفضل ومنتهى الحسب والنسب سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أوردناه كاملا في سياق يفهم، في أكثر من مكان حتى يحفظ ثبتا في فِطَرِ العقول عن بيوتات الحسب والنسب من آل امهاجة أدام عليهم السلام قال عز وجل: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى)

وقد جاء هذا المخطوط النسبي عنده في مقام رفيع من حيث سلامة الأسلوب في بلاغة من اللفظ والبيان، وبما ألبسه من ثقافة عالية السند عن كثير من الأسر والبيوتات من التي أدخلها التاريخ باب الحسب والنسب، وهذا نص الوثيقة النسبية قوله[202]:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فطر بقدرته الإفهام، والرضي على آله البررة الأعلام، وصلى الله على سيدنا محمد خير الأنام، وسلم تسليما كثيرا وبعد،

---

[202] أنظر كتاب (تاريخ امهاجة بين المدلول اللغوي والرسوخ الجغرافي والامتداد التاريخي) ص:64 وما بعدها،

فلما كانت العناية بتدوين النسب عند أهل العلم في باديتنا من أرض امهاجة قد ظهرت في النفوس أفعالها، واختلف بحسب الوارد أحوالها، وقد تفطن لهذا المعنى من يعنى، وأعرق فيه أتم الإعراق، فكان نسبا على الإطلاق، وتبعهم الأوائل الأواخر، وخاض في أموره علماء أجلاء، أنزلوه منزلة عالية ومرتبة سامية، ورفعوا به بعضهم البعض ترفيعا وعظيما، فساروا به أحسن سيرة، وأقوم طريقة، فقرأت روايته عليهم، وأخذت علو سنده عنهم إلى أن أصبحت كثير العناية به، شديد الاهتمام بجمعه، فقيدت هذا التقييد في روض هذا النسب الحسني الشريف، بحسب الأصول والفروع، وقد أضحت لي طرائق مددا، مستكملا بذلك عمل أهله من امهاجة العارفين، والعلماء العاملين، معتمدا على ما علمته وتحققته من المخطوط المدون، المختوم بخواتم أمراء وسلاطين وحكام، لجمع من سادة كرام وفقهاء أجلاء عظام،من رؤساء النحويين وكبار المتأدبين العاملين بالكتاب والسنة، الحافظين لعلم الخبر والنسب والرواية، ونسبت كثيرا من ذلك إلى روايته وحفظته ممن لهم حظ في ضبطه وتدوينه، أو من قاله لي ممن لحقته بسني، وشاهدته بنفسي وقيدته بخطي، فخرج هذا التقييد مكمولا، والنسب فيه موثوقا، والرواية فيه مدونة، قرأته على مشايخنا الكبار ممن عنوا بالنسب والتاريخ والآثار، وأتقنوا حمله وميزوا طرقه وعلله وقسموا فروعه واعتمدوا أصوله، وخاضوا في أموره الشائعة، وما تأسس منها وما تأثل، وما كان منه عند العرب جوهر، فأجازوه بخطوط أيديهم، فاقتصرت في ذلك على من اشتهر منهم بهذا النسب الرفيع، حسبما ورد في الخبر المنقول بخط نتائج القرائح والعقول، وهم أولاد سيدي أبي ويس، وأولاد سيدي الهاشمي، وأولاد سيدي مفلح المعروفين بالعرايبة، وأولاد سيدي اسعيد، وأولاد عبد الرزاق، وأولاد سيدي أبي راس، وأولاد أبي قلمونة، وأولاد سيدي سحنون، وأولاد سيدي الفريح الذي منهم نسبي،

فقلت إني محمد الشيباني بن مصطفى بن قدور بن مصطفى بن سيدي الفريح المهاجي بن محمد بن ابراهيم بن القندوز بن مفلح بن احمد بن أيوب بن محمد بن سيدي ابراهيم الجامع لفروع امهاجة بن محمد بن سيدي ميمون بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عيسى بن يحي بن عمران بن ابراهيم بن علي بن الحسن بن احمد بن محمد بن ادريس الأصغر بن ادريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم،

ولم يزل هذا النسب معظما عندهم، عالي الذكر فيهم، فانتفع الناس به، ووثقوه في أمور دينهم ودنياهم، ولجئوا إليه في مهماتهم فمن وقف على هذا المخطوط النسبي الذي لا يناله الخلاف، ولا يدفعه الإنصاف، وجب عليه

الأخذ بما تضمنه، والعمل بمقتضاه، إرضاء لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولآل بيته الطاهرين، يسر الله نجابته وعجل تلبيته لداعي الرشد وإجابته،

كتبه العبد الضعيف الفقير إلى مولاه محمد الشيباني بن مصطفى بن ابراهيم المهاجي في جمادى الأول سنة ست وعشرين ومائتين وألف، انتهى هذا التقييد والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبي المرسلين،

وهذه النسخة الأصلية التي جاءت بخطه رحمه الله عن نسبه الشريف التي هي أقصى ما يفعله رجل مثله لنفسه، وهي عبارة عن مجموعة أوراق أصلية، مستلة من مخطوط كتابه (كتاب العبادات) والتي هي عبارة عن ثبت لنسبه الشريف[203]

---

[203] أنظر ص: 341 من هذا التأليف،

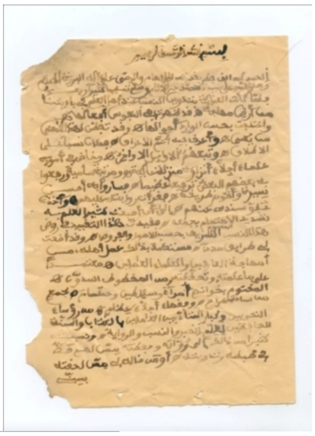

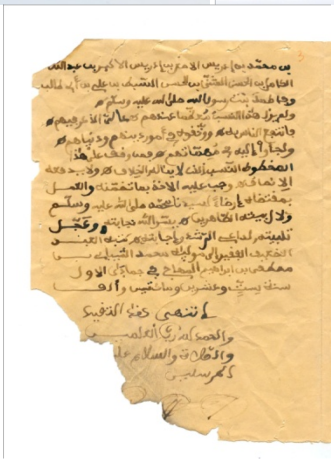

وقد عرفه الكثير من الفقهاء الأعلام[204]، على أنه كان مقدما مذكورا، في علم النسب والآثار والأخبار، لما لصاحبه فيها من مجالس مذكورة، ومحامد مأثورة،

[204] أنظر كتاب الوصل في ذكر رجال العلم وأهل المقامات لأحمد بن يحيى بن المهدي بن عبد الله الحرشاوي التلمساني المتوفى عام 1236 للهجرة،

وجهود عالية السند، تضمنتها أيامه في تقاييد ودفاتر، في حكمة تروى، وأثر يردد، جمعت عنده بين الذكاء والفهم، وبين الفطنة والعلم،[205]

كما ورد ذكر الكثير من أكابر زمانه علما وجاها، في أبواب متفرقة من هذا المخطوط الذي هو غاية في التدوين، من حيث ما هو عليه من سـير وتراجم ومساجلات عمرت بالخواطر الذهنية، واللمحات الإنسانية، في أسباب من الحياة الثقافية والفكرية من التي أخذت مكانتها في التأليف والتدوين يومئذ،

فكان بحق رحمه الله قدوة لآل امهاجة [206] من أرض القعدة، الذي كان فيها أشهر حفظا ورواية، ومن الذين يدعون إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقد عده البعض من علماء عصره على أنه كان للعلم سلطانه، وللأدب جلاله وزينته،[207] حيث كان مولده ونشأته بها حتى وفاته المنية في بيته، وسط أهله وأقاربه رحمه الله، وقبره لا زال مشهودا بمقبرة أولاد سيدي الفريح المهاجي، المعروفة بالمالحة،

ومن آثاره أيضا رحمه الله مصحف شريف خطه بيده، وقد أجاد فيه وأحسن، كونه كان يحسن الخط وعلى معرفة تامة بالقراءات العشر، وحفظ مشكله ومتشابهه، مما جعله يترك لنا هذا المخطوط القرآني الذي تجاوز فيه حد الوصف، من حيث الخط الجميل والألوان الزاهية التي استعملها في التمييز بين السور والأحزاب وقد أطال تكرارها في تبيين الثابت والمحذوف وهاتان الورقتان

---

[205] أنظر ص: 49 من هذا التأليف وما بعدها،

[206] أنظر كتاب (تاريخ امهاجة بين المدلول اللغوي والرسوخ الجغرافي والامتداد التاريخي) ص:72 وما بعدها، مصدر سابق،

[207] أنظر الورقة رقم: 33 من مخطوط كتاب الوصل في ذكر رجال العلم وأهل المقامات مصدر سابق،

تمثلان (الورقة الأولى والأخيرة) من مصحفه الشريف الذي خطه بيده الكريمة رحمه الله،

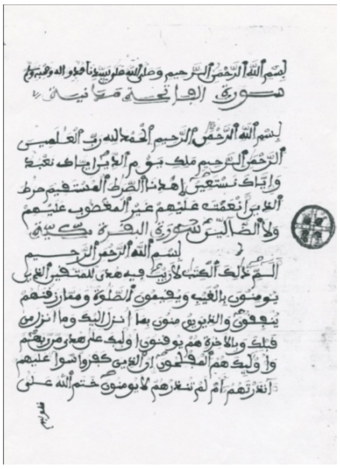
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
سورة الفاتحة مكية
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العلمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصرط المستقيم صرط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
سورة البقرة مدنية
بسم الله الرحمن الرحيم
الم ذلك الكتب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقنهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على

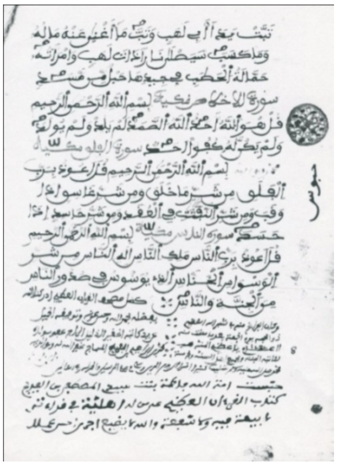
تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد
سورة الإخلاص مكية بسم الله الرحمن الرحيم
قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد
سورة الفلق مكية
بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفثت في العقد ومن شر حاسد إذا حسد
سورة الناس مكية بسم الله الرحمن الرحيم
قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس
كمل مصحف الله العظيم

وفيها الشيخ الفقيه سيدي محمد مكنوس[208]

(الطيب ابراهيم)

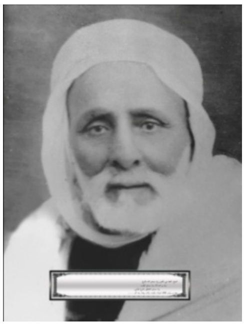

ولد سيدي الحاج محمد بالفريح ولد سيدي الحاج بن عبد الله ولد سيدي الطيب بالفريح ولد سيدي المصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي، الذي أخلف

208أنظر في ترجمته كتاب (تاريخ امهاجة بين المدلول اللغوي والرسوخ الجغرافي والامتداد التاريخي) ص: 187 وما بعدها، مصدر سابق،

والده الشيخ سيدي الحاج محمد الذي كان وريثا له في العلم والجاه، ليواصل رسالة والده في العلم والتعلم والدرس والتحصيل، التي كان فيه كثير الحافظ قوي الحجة والبيان، ابتدأها بمسجد والده بأرض القعدة الذي عمر فيه سنوات ثم انتقل إلى مدينة سيق مؤسسا فيها مدرسة شبيهة بالتي كانت عند والده رحمه الله، ليقضي فيها بقية عمره حتى وفاته رحمه الله، ومن كتاباته رحمه الله ننقل له رسالة بعث بها إلى أحد الشيوخ بالمدينة المنورة تحمل خطه وتوقيعه وقفت عليها ضمن مجموعة أوراق مدتني به سيدة فاضلة من بني عمومتي وقد أشرت إلى ذلك في كتابي الموسوم ب : " تاريخ امهاجة بين المدلول اللغوي والرسوخ الجغرافي والامتداد التاريخي" ، الذي كانت تربطه به علاقة علم ومحبة، يجيبه فيها عن أسئلة طرحها شيخ المدينة المنورة عليه، حبا منه في معرفة مآثر شيخنا الفقيه سيدي محمد مكنوس التاريخية ونسبه الشريف وحسبه التليد، قوله[209]:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى سماحة الشيخ الفاضل مولاي بن عبد الحق المكي سلام الله عليكم وبعد

فقد وصل إلينا جوابكم وفي طياته أسئلة كثيرة لسنا ندري أيها نقدم وأيها نؤخر طالبين منا الاختصار بحيث يكون الجواب فيه قدر السؤال، وسلاما حارا ودعاء لي ولأسرتي بالخير والبركة،

أقول لك أخي مولاي بن عبد الحق المكي الصوفي أطال الله عمرك سأكون فيها واضحا بحوله تعالى وحسن عونه،

أحوالنا في امهاجة من أرض القعدة وفي الجزائر بصفة عامة بخير ندعو الله أن تكونوا وعائلتكم بكامل الصحة والهناء،

---

[209] أنظر المصدر نفسه،

فسؤالكم عن العربية والإسلام ومكانتها في بلادنا، فهما بخير والحمد لله وذلك بفضل ما تركه لنا آباؤنا وأجدادنا، من الموروث المدون، برواياته وأخباره الممتدة إلى زمن بعيد، فهو تراث يحتوي على مجموعة كبيرة من الرسائل في الفتوى والرواية والخبر والمختصرات الفقهية واللغوية وإضافات على بعض المدونات وأخرى تحمل طابع التاريخ والتراجم والسير، فهي طويلة ممعنة في الطول فيها من المعنى المليح والفكرة البديعة وحسن الاقتباس من القرآن الكريم ومن كتب الفقه والسنة النبوية الشريفة،

لقد كنا ولا زلنا من البيوتات التي أصاب النبوغ أفرادها وأدخلها التاريخ في الجهاد والسياسة والمكانة العالية وعلوم الشريعة والدين،

فهي تحفل اليوم كما كانت بالأمس، بمجموعة كبيرة من العلماء النابهين كأولئك الذين كانوا معي في ضيافتك، والشيوخ العاملين ممن رفع العلم شأنهم وعظم قدرهم، وحفلت بهم أخبار الزمان.

لقد كان العلم ظاهرة طبيعية فيها، جعل من أفرادها المعروفين بأولاد سيدي الفريح المهاجي بأرض القعدة من بادية امهاجة، يقبلون عليه ابنا عن والد وحفيدا عن جد ويتخصصون فيه ويتألقون جميعا في سمائه،

فهم عرب من آل امهاجة استوطنوا الغرب الجزائري[210] وسط قبائل بني عامر فاشتهروا بذلك، من قبيل السكن والنشأة وإلا فإن نسبهم هو في حقيقته يصل إلى إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر حسبا ونسبا، فهم يعرفون آباءهم أبا فأبا وقد أحاطوا بذلك أحسابهم وحفظوا أنسابهم، بحيث لا زال الأبناء يحملونه في

[210] هذه الرسالة وجدتها ضمن ضميمة أوراق، تضم عددا كبيرا من التقارير والتقاييد والحواشي والتعاليق حول العديد من كتب التفاسير والأحاديث والحكم والأمثال، وسوف أتوفر على تحقيقها ونشرها إن شاء الله تعالى.

حنايا قلوبهم وخبايا عقولهم، وهي بحق من رضى الله بنعمته بشكره، أن يطمئن الإنسان على نسبه ومحتذى شرفه،

متبعين أحكام القرآن والسنة، مستقيمين على طريق الحق، فنحن من أسرة عتيدة لها مكانة سامية سامقة في دنيا العلم والفضل، متصفة بالنصفة والكرم، ولها مكانة تذكر، يحفظها التاريخ وترويها الأجيال، وأيام ناضرة مشرقة، بين ماضيها وحاضرها،

لقد اشتهرت بكثرة كتاتيبها القرآنية، وبمساجدها الدينية المكينة في علوم الشريعة والدين واللغة، فكانوا مثالا في حمل كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمل بهما متخذين من أخلاقية القرآن الكريم وعقيدتهم الإسلامية وقيمهم العربية منهجا لهم، لأنهم يعرفون مقدارها ويعلمون أسرارها، ولا يزالون مواظبين مرابطين قائمين على تأدية واجباتهم الدينية من صلاة وزكاة وصوم وشرائع وأحكام، وما إلى ذلك، فالفرض عندهم فرض في وقته والسنة عندهم واجبة في وقتها، فبحفظهم للكتاب والسنة واللغة والتاريخ والآثار استطاعوا أن ينالوا هذه الشهرة الدينية العلمية بين القبائل والمداشر والمدن والقرى والأمصار، القريبة والبعيدة بحيث أصبحوا لا يعرفون إلا ببيت امهاجة أو بيت العلم أو ببيت المرابطين وغيرها كثير من الأسماء التي تليق بمقامهم الشريف لقد لحقتهم هذه الأسامي لكونهم كانوا على الدوام قبلة لمن أراد الاستفسار عن حلال أو حرام، فهم معروفون بسماحة خلقهم ورجاحة وعقل في معالجتهم لمستعصيات الأمور الفقهية وإقامة الشرائع المفروضة، وإنفاذ حكم الله المنزل، واقتناء السنة المأثورة،

لقد علا شأن هذه الأسرة وسمت منزلتها، بفضل رجال العلم فيها وشيوخ الوعظ والإرشاد الذين استفاضت شهرتهم وضرب بهم المثل بفصاحتهم وعلو مكانتهم في الكرم والحلم والحكمة والدين والآداب في رشدهم للناس ودعوتهم إلى التوحيد

والإيمان بما أنزل الله من شرائع وأحكام، فأخبارهم ليست بالبعيدة عن ذاكرتنا، فهم يعيشون في كياننا وأسباب وجودنا واستمرار بقائنا، لقد كانوا ولا يزالون يمثلون أهم فترة من تاريخ هذه الأسرة، التي بنت بهم مجدها وحصنت بهم تاريخها وعلت بهم مكانتها في العلم والجاه والسلطة،

لقد كان والدي رحمه الله الشيخ الحاج محمد بن عبد الله بن الطيب بن مصطفى بن سيدي الفريخ المهاجي رجلا صالحا، وممن شرح الله صدره بعلوم القرآن والسنة النبوية الشريفة وعلمه الحكمة وأنطقه بالحق وحسن البيان، في صدق الحديث وإنجاز الوعد، لقد تعلمت منه رجاحة عقله، وأصالة رأيه، وحسن تمييزه، وحكمة تدبيره للأمور، ففزت بحبه ونلت رضاه، فهي نعمة أشكر الله عليها، وله من الصفات والسمات مما لا يتسع المجال لتناولها في هذا المقام، ولا أنسى أخي وسيدي فضلكم علينا أيام تواجدنا في كل من الحرمين الشريفين مكة المكرمة أعزها الله والمدينة المنورة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم قاصدين الحج والعمرة، مما أسديتم به علينا من كرم وحسن الضيافة، لقد كنتم بالنسبة لنا يومها سراجا منيرا استضاءت به قلوبنا، وتفتقت به أفكارنا، ومنهجا مبينا جعلنا أن نهتدي بهديكم ونسلك سبيل عملكم في العلم والمعرفة، فجزاهم الله عنا خير الجزاء،

هذا أخي الشيخ مولاي بن عبد الحق المكي صاحب الفتوى والشريعة وأصول الدين للديوان الملكي بالمملكة العربية السعودية كل ما عندي من جواب حول استفساراتكم عن معرفة نسبي، وغاية أهلي، ومنبع ثقافتي وإدراك علمي، الواردة لنا في خطابكم المؤرخ في 02/12 / 1916 للميلاد، الذي أحفظ منه ما علق بقلبي والتحم بصدري من غير تكلف ولا قصد،

أدعو الله لي ولك أخي الفاضل ولجميع من تحبونه وترضونه من زوجة صالحة طيبة وبنين أعزاء، وأخوة وأصدقاء لكم ولنا من أساتذة وشيوخ وفقهاء كرام، دوام

الصحة وأدوم النعمة وأصبغها وأكمل العوافي وأتمها، طالبين الجواب على عجل حتى أسمع رأيكم وأستمتع بأخباركم، من عبد ربه الشيخ محمد مكنوس بن الحاج محمد بن عبد الله المهاجي،

فهي رسالة بليغة تحمل المعنى الكريم والصياغة السلسة واللفظ المختار، مستخدما فيها شيخنا الفقيه الطيب ابراهيم محمد "مكنوس" السجع حينا والمزاوجة حينا آخر، رغم أنها رسالة محدودة الاتجاه، في الفكرة والطرح والسؤال، لكنها تعمد إلى أسلوب المؤرخ الأديب في سمو البلاغة وتسلسل الأفكار التي كثيرا ما يجد المرء نفسه متقبلا لها أو مخالفا،

ومن هذا النموذج وغيره كثير الذي وقفت عليه في هذا الموضوع الذي يبين فيه صاحبه قدرة معلوماته الواسعة حول نسبه الشريف ومعارفه والمباهاة بحفظه واطلاعه وسعة علمه وإدراكه،

وفيها السيد الحاج المختار

(الطيب ابراهيم) [211]

ولد مكنوس ولد سيدي الحاج محمد ولد بن عبد الله ولد سيدي الطيب بالفريح ولد سيدي المصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي، الذي كان رحمه الله، عميم الفضائل، كريم الشمائل، في أخلاق عالية، وأوصاف حميدة، في وقار ومهابة حال، وإعظام الجليس، حتى أنها لا تكاد تنقطع مكارمه في مدى شكره،

---

[211] أنظر كتاب (تاريخ امهاجة بين المدلول اللغوي والرسوخ الجغرافي والامتداد التاريخي) ص: 231 وما بعدها، مصدر سابق،وكتاب الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر،ص: 276 وما بعدها مصدر سابق،

لا زال جامعه بأرض القعدة شاهدا على أعمله الخيرية، من التي كان لا يبخل بها على أهل العلم وحفظة كتاب الله مشجعا لأهله، ومن محبي أهله من الفقراء وذوي الحاجة، فهو شخصية متميزة، حاملا لكتاب الله ملما باللغة العربية وآدابها والفرنسية ومصطلحاتها وله فيها اطلاع واسع، إضافة إلى ما كان يتوافر عليه من معلومات دينية ثقافية، في فكر وعلم ومعارف إنسانية، ظلت تتسع عنده بكامل أبعادها وحقائقها، ما مكنه أن يتولى مناصب عليا في الدولة الجزائرية الحديثة حتى وفاته رحمه الله من عام 1999 للميلاد،

وفيها الشيخ عبد القادر مكنوس
(الطيب ابراهيم) [212]

---

[212] أنظر في ترجمته (كتاب الأعلام بمن حل بوهران من الأعلام ص: 210 وما بعدها، وكتاب الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر،

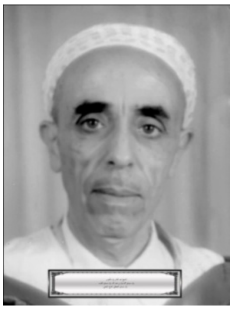
ولد سيدي محمد مكنوس ولد سيدي الحاج محمد ولد سيدي الحاج بن عبد الله ولد سيدي الطيب بالفريح ولد سيدي المصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي، الذي انتهج لنفسه نهج الصادعين بأحكام الشريعة وبيانها، فكان فيها كافيا، وبآثارها وافيا، صدقا وحقا، حتى أنه كان رحمه الله يضمن خطبه حقائق في مذاهب ومشارب اتسعت عنده وتشعبت بصورة جعلت منه أن يلم بكل تفاصيلها وجوانب نشاطها الإنساني بكامل أبعاده الدينية والاجتماعية، في غزارة علم وفصاحة بيان، حتى أن صلاة الجمعة عنده كانت تمتلئ بها الشوارع رحمه الله المؤدية لمسجده، وقد سمحت السلطات الجزائرية يومئذ بذلك، حيث كانت ترى توجيها لما يمكن أن يحدث من تغييرات في مجتمعنا إيجابا أو سلبا، وبقي به قائما حتى وفاته من عام 1998 للميلاد رحمه الله،

وفيها الشيخ الفقيه سي الطيب رحمه الله
(الطيب ابراهيم) [213]

[213] أنظر كتاب (تاريخ امهاجة بين المدلول اللغوي والرسوخ الجغرافي والامتداد التاريخي) ص:193 وما بعدها،

بن عبد القادر ن سيدي الحاج عبد الله بن سيدي الطيب بالفريح بن سيدي المصطفى بن سيدي الفريح المهاجي، الذي تصدر للدرس ونشر العلم بأرض القعدة سنوات فانتفع به الكثير، وانثال عليه الناس للأخذ عنه في سنوات،

لقد كان هذا الشيخ رحمه الله يسير على طريقة الأقدمين في الدرس والتحصيل، في اعتماده تدريس مختصر خليل من أوله إلى آخره حتى أنه كان يختمه مرتين في السنة، وفتح الباري لابن حجر، ورسالة أبي زيد القيرواني، وحاشية الدسوقي للإمام العلامة الشيخ أبي البركات سيدي أحمد بن محمد العدوي الشهير بالدرديري المتوفى عام 1201 للهجرة، وألفية بن مالك للشيخ الجليل وإمام النحاة، أبو عبد الله جمال الدين محمد بن مالك، وشرح قطر الندى وبد الصدى لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، ومن اللغة العربية ألفية ابن مالك، وكان رحمه الله يختم على طلبته من كل سنة أربعينيات النووي فيها من القراءات والسماع والتفقه بكل ما أجازه أشياخه في ذلك، وألفية ابن مالك وقد أجاز الكثير من طلبته رحمه الله من مروياته لهذه الشروح،

وفيها الشيخ الحبيب ولد سي الطيب

(الطيب ابراهيم) [214]

---

[214] تاريخ امهاجة بين المدلول اللغوي والرسوخ الجغرافي والامتداد التاريخي) ص:221 وما بعدها،

ولد عبد القادر ولد الحاج بن عبد الله ولد سيدي الطيب بالفريح ولد سيدي المصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي الذي أمتعه الله بعين البصر والبصيرة، فكان دائرة عرفان وأسرار، مما آتاه الله من ميراث النوادر الأدبية وتعصيبات الفوائد العلمية، ذا فهم ثاقب وصدر سالم، يتوافر على اطلاع واسع وحفظ وافر، ولا يمكن لأي أحد أن يصفه إلا بأعلى الشيم والخصال الحميدة،

فهو الفقيه العلامة، المقيد لأوابد العلوم العقلية والنقلية رحمه الله، وهو لا يزال في نظري من الذين لا تفي بهم عبارة ولا تحويه إشارة، رحمه الله، وكانت وفاته رحمه الله عام 1991 للميلاد، وهو من مواليد 1917 ،

وفيها الشيخ الفقيه سيدي عبد القادر

(الطيب ابراهيم) [215]

---

[215] أ نظر ترجمته في كتاب (كتاب الأعلام بمن حل بوهران من الأعلام ص: 129 وما بعدها، وكتاب الأثر الزاهر في دكر النسب الطاهر ،ص: 334 وما بعدها،

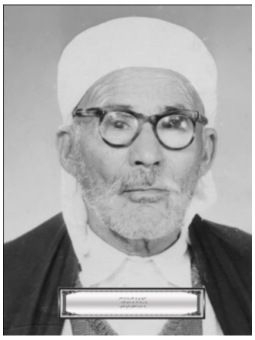

ولد عبد القادر ولد الحاج بن عبد الله ولد الطيب ولد مصطفى ولد سيدي الفريح، من مواليد عام 1898، قرأ القرآن على يد والده سيدي عبد القادر بالفريح، وأتمه على يد شيوخ من بني عمومته، الذي به يصبح قادرا على متابعة دروسه الدينية، التي كان متابعا لها ومواظبا على حضور حلقاتها حيث كان والده يمثل أحد أوجه نشاطها الديني والتعليمي، حتى نال بذلك ما يؤهله لتصدر الدرس والتحصيل، من حيث توفره على جميع جوانب الخبرة العلمية والتعليمية التي يمكن أن تؤثر في إدراك الطالب والفهم الحقيقي للدرس من حيث الشرح والتحليل، وهو من مواليد 1898 للميلاد،

*ـ وفيها السيد الحسين ولد سيدي عبد القادر
(الطيب ابراهيم) [216]

---

[216] أنظر كتاب (الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر) ص: 269 وما بعدها ،

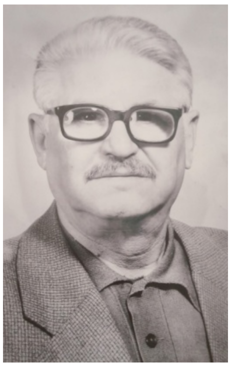

ولد الفقيه عبد القادر ولد عبد القادر ولد سيدي الحاج بن عبد الله ولد سيدي الطيب ولد مصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي، من حفظة كتاب الله، تلقى تعليمه الديني واللغوي على يد والده الشيخ عبد القادر، ثم على يد عمه الشيخ الطيب، ثم ابن عمه السيد الحبيب رحمه الله، انتقل إلى مدينة فاس بجامعة القرويين للدراسة، حيث قضى فيها مدة سنة دراسية كاملة، ثم عاد إلى بيت والده بأرض القعدة،

لقد كان رحمه الله وفيا في معاملته مع الناس، حاد الذكاء، نافذ الفطنة سريع الخاطر، ظريف النكتة، حلو النادرة، مملوءا بأخبار الأولين في تاريخ

وفقه وشريعة ودين، وبكثير من النوادر والقصص التي تمتع العقل والفكر والخاطر، وقد كان له الفضل في صوغها وإخراجها في صورة تليق بمقامها، لما فيها من أسلوب عربي أصيل، حتى أنك تضن أنها نتاج قريحته، لما يأتيك به من حشد طويل من حيث الأخبار والروايات، لآخذة بأسباب الإمتاع صريحا لا يجامل أحدا، قضى حياته رفقه أخيه السيد الحاج محمد رحمه الله، وقد رافقتها في سنين وبإمكاني أن أتحدث عنها الشيء الكثير، إلا أنني قد نعجز عن رسم

صورة صحيحة حقيقية لهما ، لما كان لهما من سيرة حسنة ورأي حصيف، وطبع كله أريحه وظرف، رحمهما الله، وهو من مواليد عام 1927 للميلاد،

وفيها السيد محمد ولد الشيخ عبد القادر
(الطيب ابراهيم) [217]

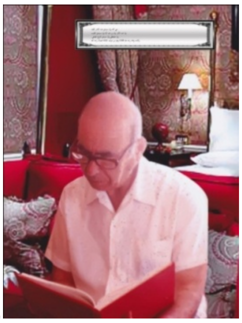

ولد عبد القادر ولد سيدي الحاج بن عبد الله ولد سيدي الطيب بالفريج ولد مصطفى ولد سيدي الفريج المهاجي، حافظا للقرآن الكريم ملما باللغة العربية وبالشريعة والفقه والسنة النبوية الشريفة وعلوم اللغة وآدابها، الفرنسية وقواعدها، محبوبا بين أهله وبني عمومته، من أفاضل الرجال، أولي النباهة، كثير المطالعة، ملما بالسياسة وخباياها، والفقه والشريعة وآدابها، ذا رواية واسعة، وأخبار وافية، يحسن سردها في فيض قريحة خصبة، وروح فكهة، ونفس شفافة غير معقدة، كثيرا ما تراه يعمد إلى صوغ الخبر من التاريخ أو السياسة صياغة يغلب عليها الحوار الفكري الثقافي من الذي لا تلمسه إلا عند الكبار ممن هم على دراية بالسياسة وعلومها، فهو ممن يرتاح له الخاطر للطائفه وطرائفه، وكانت تجمعني به خطرات غير فليلة في كثير من المشاركات العلمية الوجيهة، من التي كنا نحليها بكثير من النوادر وتعصيبات الفوائد اللغوية في كثير

---

[217] أ(أنظر جريدة الجمهورية في مقالة لنا تحت عنوان (ذكرى 12 سنة بعد رحيل الحاج محمد الطيب ابراهيم المهاجي ـ مسار وبصمات) المنشورة بتاريخ 30 جمادى الثانية من عام 1431 للهجرة، الموافق لعام 2010 للميلاد، وكتاب (الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر) ص: 282 وما بعدها،

من نوادرها المليحة، وأقاصيصها الممتعة، لقد كان رحمه الله ممن أثرت سعة حفظه للتاريخ ونوادره، ولمفردات الشاذ الغريب من اللغة وآدابها، لقد كنا نجله ونحترمه ونعترف بجوده وكرمه، ونشهد بمكانته الاجتماعية، ومنزلته العلمية الدينية، وهو من مواليد عام 1931 للميلاد،

وفيها السيد عبد الغني ـالمدعو « توفيق »
(الطيب ابراهيم)[218]

[218] أنظر كتاب(تاريخ امهاجة بين المدلول اللغوي والرسوخ الجغرافي والامتداد التاريخي) ص:319 وما بعدها،

ولد الفقيه سيدي عبد القادر ولد عبد القادر ولد بن عبد الله ولد الطيب ولد مصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي،

من أهل النباهة والمعرفة واليقظة، والصلابة في الأحكام، والجرأة في الإقدام، حافظا للقرآن الكريم، درس اللغة والفقه والشريعة على يد والده الشيخ عبد القادر وابن عمه الشيخ الحبيب بن الشيخ الطيب، انتقل إلى معهد بن باديس بقسنطينة لكنه لم يعمر به طويلا، ثم التحق بجامعة الزيتونة بتونس عام 1955 لنفس الغرض، وظل بها مدة سنة واحدة، ليلتحق بجيش التحرير الوطني عام 1956 حتى عام 1962، كان إطارا ساميا في الدولة الجزائرية الحديثة حتى عام 1967 مـ، اعتزل السلطة واعتنق السياسة في مفهومها الاستقلالي، تولى مهام عديدة في حزب جبهة التحرير الوطني حتى اليوم من عام ،1997[219]

وهو من مواليد عام 1932 بقرية أولاد سيدي الفريح من أرض القعدة،ولي مع هذا الرجل مواقف تاريخية أصيلة، في أيام ظلت تجمعنا في كثير من أوقاتها خطرات فكرية ثقافية سياسية اجتماعية، حتى بات الجميع يتقرب من مقاصدها لكثرة منافعها وشدة آثارها، لقد كنا فيها على الدوام قريبين من بعضنا البعض المبادئ تجمعنا والمواقف تحدونا، لما كنت أحمله عنه منذ الصغر من الانطباعات التي كنت أراها كلها خلالا حميدة فيه، وصفات طيبة، أهما حبه للوطن وأهله، واعتزازه بالعروبة والإسلام، حتى أنه كان حفظه الله ورعاه من ذوي الوجوه

[219] أنظر كتاب (الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر) ص265 وما بعدها،

المشرقة التي تفيض شبابا في حيوية ونشاط، ما ملأ صدره حماسة طواقة للمقاومة والجهاد، وقد قضى فيه العمر المديد جهادا في سبيل الله لرفع الظلم عن الوطن ورد الحق إلى أهله، ولأخذ بثأر الآباء والأجداد أو الموت دونه،
وهو لا يزال عالي الهمة ماضي العزيمة، قوي الشكيمة، حفظه الله ورعاه وألبسه لباس الخير والبركة، وسأرجع الحديث عن هذا الرجل الذي لا أزال أملك عنه الكثير من سعة الحديث عن خصاله الحميدة ومواقفه النبيلة بكثير من عمق التفكير وبلاغة التعبير إلى حديث آخر أروي لكم فيه أكثر مما رويت، والله الموفق،

وفيها الشيخ الطيب المهاجي رحمه الله

(زدور محمد ابراهيم) [220]

[220] أنظر كتاب (تاريخ امهاجة بين المدلول اللغوي والرسوخ الجغرافي والامتداد التاريخي) ص:179 وما بعدها، وكتاب الإعلام بمن حل بوهران من الأعلام ،

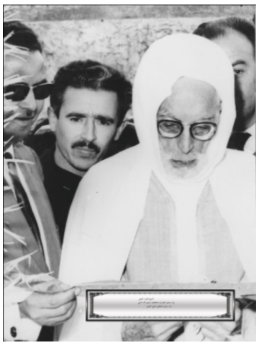ولد سيدي الميلود ولد مصطفى ولد سيدي محمد السني ولد سيدي المصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي رحمه الله، الذي اختار مدينة وهران لأسباب كانت عنده بمثابة مشاهد ومبررات في اختياره لها قصد نشر ثقافته العلمية وآفاقه الدينية، عملا بنصيحة الإمام مالك رحمه الله للشافعي عند مفارقته إياه بقوله: (لا تسكن الريف يذهب علمك) وفعلا سكن حاضرة وهران[221]، ونظرا لما كان له من مادة علمية عالية السند من التي شهد له بها مشايخ الذكر والعلم، وسعة العلم وعمق التفكير وجودة التحليل وبلاغة التعبير، من التي كان عليها رحمه الله أشد تحكما واطلاعا حتى بات فيها علما من أعلام الحركة الإصلاحية علما وجاها بأرض وهران والجزائر بعامة،

لقد كان رحمه الله من أعظم أسر آل امحاجة العلمية قدرا ، وأعلاها شأنا، وأبعدها شهرة، وأبلغها أثرا على سيرته العلمية والتعليمية، بالجزائر وبأرض وهران بخاصة، التي وجد فيها أهلا من بني عمومته كانوا له موضع سند وعطف وإكرام، وهو بعد في أولية أيامه لها، مجازفا مغامرا طلبا للدرس والتحصيل، وليس له من العمل ما ييسر له على أن يستعين بما يفيد منه من مال سعيا وراء ما ينشد، ولكنه وبفضل الله وتلك الإرادة القوية التي كان يتمتع بها استطاع أن يكون

221 أنظر كتابه (أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر)، ص: 82 وما بعدها،

لنفسه بيتا تحقق له فيها ما أراد من العمل على نشر العلم ودراسة علوم اللغة والشريعة والدين بنشاط وحماسة، وبرع فيها براعة فائقة، حتى كان من أعلامها المتقدمين، وازداد تمسكا بحبه لها وإخلاصه لوطنه حتى وفاته رحمه الله من عام 1969 للميلاد،

وقد ترك من الكتب والآثار كبير عددا، ومن أشهرها كتاب (أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر) ومنظومة في النحو والصرف، التي جاءت عنده على غرار ابن آجروم في كتابه الأجرومية، وكتاب مناسك الحج،

وفيها السيد محمد (زدور محمد ابراهيم)

ابن الشيخ الطيب المهاجي رحمه الله ولد سيدي الميلود ولد مصطفى ولد سيدي محمد السني ولد سيدي المصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي رحمه الله، تتلمذ على يد والده سنوات، أخذ عنه الكثير من العلوم الأولية من فقه ولغة وشريعة ودين، غير أنه لم يبلغ علوم والده رحمه الله من التي كانت له على أساس من طبيعة تكوينه الخاص العالية السند التي بات فيها أحد كبار أئمة الفقه وعلم الكلام واللغة والآداب بحاضرة وهران والجزائر بعامة،

وقد ورث الشيخ الحاج محمد عن والده رحمه الله جل صفاته الحميدة دينا خلقا وأخلاقا، حتى بات يحمل فيها الكثير من صفاتها الإيجابية في التعبير عن كثير من المواقف الفردية منها والوطنية، من التي انفرد عبر مسيرته في الحياة، حتى باتت من السمات والخصائص التي اعترف له بفضله ومكانته السياسية والاجتماعية، التي زادته عمق الوطنية والثقة بالنفس،

لقد تولى القضاء في سنوات حتى كان فيه من أفاضل الناس وصفا، منعوتا بكثير من علو الهمة والنزاهة والطهر، ثم تخلى عنه طواعية لأن نسكه وتقواه

أبت عليه مواصلة عمله في القضاء، نظرا لما وجد فيه من أمور لا تنسجم وخلقه القويم، وقد سألته يوما عن سبب ذلك، فأجابني على عجل في مختصر من القول، قائلا لي يا ابن العم لقد وجدت النفس فيه متعبة، لما اتسم به جانبه من آثار بعيدة كل البعد، عن طابع الحق والصراحة وعدم الوضوح والميل إلى تصوير

الواقع ونقله إلى السامع غير مسند ولا مبني على المشاهدة أو الدليل الواضح البين، هكذا كان الأمر عندي ليس إلا،

وهو رجل صريح لا يزال في حديثه يعبر عن الواقع الذي عاشه في شبابه من غير تحرج أو تردد، معبرا عنه بكثير من نماذج الأخبار والحكايات والروايات والأقوال، ملما بكثير من ثقافات عصره، وحديثه معك في أي باب نأتي عليه لا يكاد يخلو معه من فائدة تذكر، لما فيه من دلالات مليئة بألفاظ ومعاني في حجة وبيان، حتى تجد لكل منها جمالها، ولكل منها روعتها، رحمه الله، لقد رافق السيد الحاج محمد والده منذ طفولته،دون أن ينفك عنه يوما حتى وفاته رحمه الله من عام 19.. للميلاد،

وفيها السيد الحاج احمد اشريف (زدور محمد ابراهيم) [222]

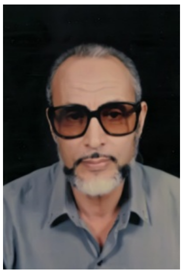

ابن الشيخ الطيب المهاجي رحمه الله ولد سيدي الميلود الميلود ولد مصطفى ولد سيدي محمد السني ولد سيدي المصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي رحمه الله، الذي نشأ نشأةً طيبة صالحة في معية والده الشيخ الطيب المهاجي رحمه الله، المليئة بموضوعات الوعظ والإرشاد والدرس الديني، وبعد حفظه للقرآن الكريم على يد شيخ فاضل من بني عمومته من الذين كانوا يتمتعون بكثير من وسائل التربية والتأدب القرآني، من حيث تكوين شخصية الطفل على الطريقة القديمة للكتاتيب القرآنية، الشيء الذي هيأت له فرصة الالتحاق بحلقات

222 أنظر كتاب (الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر) ص262 وما بعدها،

دروس والده بالمسجد العتيق بالمدينة الجديدة من أرض وهران، إلى جانبه طلبة الدرس والتحصيل، بعد أن لمس فيه رحمه الله سمات الذكاء والنجابة، ولكنه وما إن استبان له الدرس واستكملت قواعده عنده أو كادت، جاءت الثورة التحريرية الكبرى من عام 1954 للميلاد، وتغير الحال وتعددت نوازعها الوجدانية المختلفة، في كثير من أبعادها الاجتماعية والثقافية، وامتدت بها الآجال وتطاولت الآماد، وتباينت الأفكار والآراء، واختلف المنافقون حولها بين مشكك منافق، ومندس خائن كذاب، حتى بات الكل يعيش طبيعتها في مفاخرات ومناظرات ووصف للانتصارات، من التي لا زالت الثورة تحققها من منطقة إلى أخرى من أرض الوطن، وأخذت الدعوة إليها نهارا جهارا، تدعو إلي وحدة الصف وجمع الكلمة والدعوة إلى الجهاد والمقاومة ضد الاستعمار الفرنسي المحتل الغاصب يومئذ[223]، حتى كانت أشد وطأة في الجبال والأرياف والمدن، حينها أغلقت المساجد والكتاتيب القرآنية، وهاجرها العلماء والشيوخ الفقهاء، وطلبة العلم وحفظة كتاب الله ومريديه،

ونظرا لما كان عليه السيد أحمد الشريف من خلق قويم وفعال حميدة، فيها من التعاليم الدينية، ما فيها من المثل العليا من التي اكتسبها عن والده وأهل بيته رحمه الله ، كل ذلك وغيرها كثير جعل منه ذاك الرجل الكريم الوجيه، وصاحب يد ممدودة للخير، شهد له بعلو المقام والمنزلة الرفيعة، حتى أنه كان موضع رضى الجميع من أهل بيته وبني عمومته والناس عامة، نظرا لما كان يتمتع به رحمه الله من سماحة خلق ورجاحة عقل، وظل حاله هكذا يعيش حياة رجل مؤمن، صالح

223 أنظر كتاب (تاريخ الجزائر الثقافي الديني السياسي والاجتماعي، مصدر سابق،

صادق في إيمانه، يخاف الله ويخشاه في كثير من معاملاته مع الناس، إلى وفاته رحمه الله من عام 20 للميلاد وهو من مواليد 1938 رحمه الله،

وفيها الشيخ الفقيه سيدي عبد القادر (زدور محمد ابراهيم) [224]

ولد سيدي الميلود ولد مصطفى ولد سيدي محمد السني ولد سيدي المصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي رحمه الله الذي شهدت له مشايخ العلم بوهران بغزارة علمه ووفرة أحكامه، وقد أثنى على دروسه الشيخ الطيب المهاجي ثناء جميلا بقوله: لقد كان الطلبة يتسابقون على درسه حتى بت أخالف أوقاته لئلا أحرج أحدا ممن يحبونه،

لقد كان رحمه الله لا ينقطع للبحث والدرس طوال حياه، حتى كانت له أبرز ما في تاريخ حياته، وقد سمعت الناس يتحدثون بحرارة وإعجاب كونه كان يقضي جل أوقاته بين الكتب والدفاتر لكن الأجل عجل عليه فمات وهو ابن الخمسين عاما، وهو علم من أعلام أسرة من آل امهاجة توارت الفضل كابرا عن كابر بعد مرض ألم به رحمه الله،

---

[224] أنظر كتاب (أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر)، وكتاب(تاريخ امهاجة بين المدلول اللغوي والرسوخ الجغرافي والامتداد التاريخي) ص:179 وما بعدها،

حتى أنه كان يلقب بمالك زمانه، كونه الغائص في بحر علومه، المطلع على نفائس درره من التي جاء بها تدوين مالك في "موطئه" لأحكام الشريعة والسنة النبوية الشريفة،

وفيها الشيخ سيدي الميلود بالعربي
(محمد ابراهيم) [225]

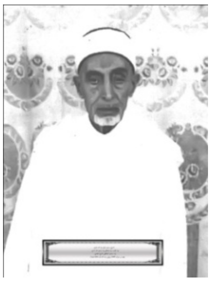

ولد محمد الصغير ولد الطيب ولد مصطفى ولد سيدي محمد السني ولد سيدي المصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي، الذي كان من الذين لعبوا دورا كبيرا في نشر الوعي الثقافي الديني والاجتماعي، والدفاع عن اللغة العربية، بحكم مكانته التي كان فيها يومئذ ممثلا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمدينة وهران، وقد أدت به وطنيته وحماسه غداة الثورة التحريرية الكبرى من عام 1954 للميلاد، إلى النفي تارة وإلى السجن تارة أخرى بعيدا عن وهران ، ليعود إليها بعد الاستقلال خاطبا وواعظا ومدرسا في إحدى مساجدها الكبرى التي ظل بها قائما حتى وفاته رحمه الله من عام 2001 ،

وفيها الشيخ سيدي محمد بالعربي
(زدور محمد ابراهيم) [226]

[225] أنظر كتاب الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر، ص: 288 ، وكتاب الأعلام بمن حل بوهران من الأعلام ص: 161 وما بعدها،

[226] أنظر كتاب (الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر) ص: 282 وما بعدها،

ولد الحبيب ولد المولود ولد مصطفى ولد سيدي محمد السني ولد مصطفى ولد سيدي الفريح،

الذي كان معتمدا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمدينة سيدي بلعباس، التي ظل بها مذكورا في كثير من دروسه الفقهية والدينية واللغوية وإمامته لصلاة الجمعة والأعياد ، في نحو من ثلاثين عاما أو يزيد،

لقد نشأ وترعرع ودرس العلو اللغوية والدينية على جماعة من العلماء أكبرهم وأعظمهم الشيخ الطيب المهاجي والسيخ سيدي عبد القادر بالفريح، تأثر منذ طفولته بحركة الإصلاح الوطنية لجمعية العلماء يومئذ، حتى كان فيها من أهل العلم والأدب، سجن عدة مرات لحماسته وروحه الوطنية والدفاع عن اللغة العربية دينا وتعليما، علما وعملا، يفخر بها ويدافع عنها سرا وعلانية، ويغضب للنيل منها، حتى بات في محيطه وعند الاستعمار الفرنسي شيئا مذكورا، وما لأحد اليوم أن يجهل مكانة هذا الإمام وتاريخه الثوري غداة الثورة التحريرية الكبرى من عام 1954 للميلاد، ومنزلته العلمية الدينية في مدينة سيدي بالعباس، ولي معه رحمه الله صورة تذكارية تجمعني وإياهم بإحدى مناظر مرتفعات جبال تسالة من أرض سيدي بالعباس، حتى أنه كان رحمه الله تربطني به علاقة الوالد لوله حتى أنه

كان يسعد بلقاء ويستمع لكلماتي بشيء من التقدير والاحترام رحمه الله وطيب ثراه،

وفيها الشيخ سيدي محمد الشيباني والد كاتب هذه الحروف (قدور ابراهيم) [227]

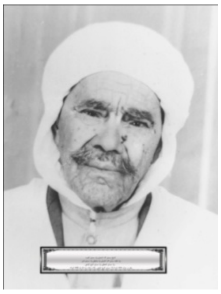

ولد سيدي الحبيب ولد الفقيه سيدي محمد الشيباني ولد مصطفى ولد سيدي قدور ولد سيدي المصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي، الملم بكثير من الحوادث التاريخية والوقائع، المطلع على حقائق الأنساب كثير الإلمام بتاريخها، فهو في بابه غاية الحافظ لأسراره،

حتى أن الشيخ الطيب المهاجي رحمه الله كان يأتي على ذكره في كثير من جلساته العلمية بقوله، لقد كان هذا الرجل فينا أعظم بني عمومتنا حظا في خدمتها أدبا، وأجلها أثرا في الحفاظ على تاريخها حسبا ونسبا، لما أتاه الله سبحانه وتعالى من سلامة الفطرة وصفاء الطبع وجودة السليقة، المتحلي بمحاسن الشمائل العربية الإسلامية فيها خلقا وأخلاقا، ومن الحاملين لكتاب الله، المطلعين عل كثير من أسرار بيانه، وأسباب نزوله، ويقول عنه رحمه الله إنه كان في بابه كثير النقع لمن يسمعه أو يجلس إليه، ثبتُ الفائدة في حقائق كثيرة من أمور دينه ودنياه، وأمور أخرى من التي لا زالت تتداولها الألسن وتتناقلها الأفواه عن كثير من بيوتات أرض القعدة، من التي لا تستطيع تمحيصها إلا وهو فيها جدير بالرفض

[227] أنظر كتاب الأثر الزاهر في دكر النسب الطاهر، ص: 283 وما بعدها، مصدر سابق،

أو القبول، حتى أنه يعطيك من الشواهد ما توسع بها مداركك بهذه الظاهرة أو تلك، وكل ذلك وغيره كثير يأتيك به من باب حرصه على فائدة القارئ الكريم ليس إلا ، وقد ورث هذه المزايا كلها من رجالات أجازوه معظم ما كانوا عليه من علم في صحة رواية وأخيار، كونه كان موضع كلفة ومظهر ذكاء ونشاط في أيام شبابه، رحمه الله،

وفيها الشيخ سي محمد (الصحبي)

(عدة ابراهيم) [228]

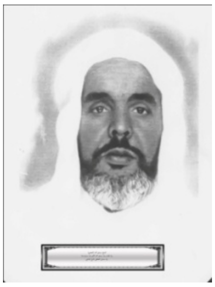

ولد الطيب ولد سيدي محمد الكبير ولد سيدي عدة ولد سيدي المصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي،

---

[228] أنظر كتاب (كتاب الأعلام بمن حل بوهران من الأعلام ص: 69 وما بعدها، وكتاب الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر،

لقد كان رحمه الله ممن لهم جليل القدر، وعظيم المنزلة، وجميل الأثر، في خدمة الدين واللغة العربية وآدابها، لما كانت تمثله الجزائر يومئذ بالنسبة للبلاد العربية والإسلامية، من جهل للغة العربية، بحيث لا يكاد الواحد منهم النطق بلغة الضاد، فكان هذا الشيخ وغيره كثير ممن تطوعوا صادقين مخلصين في الدعوة إلى تعليم اللغة العربية في شبه مدارس حرة تابعة لأناس يحملون الغيرة عليها ما يحملون من الوطنين، إضافة إلى ما كانت عليه مساجدها وكتاتيبها القرآنية التي فيها تعلم الكتابة والقراءة، وتدرج في مساجدها الدينية، آخذا على شيوخها دروسا مهمة في الفقه وعلوم اللغة، وثقافاتها العربية الإسلامية، حتى بات في طريقها قائما في أروقة المساجد وحلقات الدرس شيخا فاضلا وإماما قائما في إحدى مساجدها بالصلوات الخمس وأيام الجمعة، والأعياد، لكنه لم يعمر بها طويلا، حتى وصلت به وشاية من أن دروسه باتت تدعو إلى التحريض ضدها أكثر منها تربية ودينا، فاعتقلته سجينا لسنوات، ثم أفرجت منفيا في قرية من قرى وهران النائية حتى غداة استقلال الجزائر من عام 1954 للميلاد، حيث عادت إليه حريته وأمنه واستقراره، وكانت وفاته رحمه الله عام 1966 م وهو من مواليد عام 1885 للميلاد

وفيها الشيخ الفقيه سيدي المصطفى
(قدور ابراهيم)

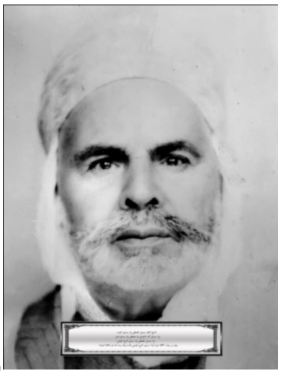

ولد سيدي الحبيب ولد سيدي محمد الشيباني ولد مصطفى ولد سيدي قدور ولد سيدي المصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي، شقيق والدي رحمه الله، الحائز من علوم الفقه واللغة السهم المصيب، تفقه على يد الشيخ الطيب المهاجي رحمه الله، حيث رزق على يديه حظا كافيا من هذه العلوم، وآخرون ممن كانوا له على درجة من كمال العلم وعلوم المعرفة في الأخذ والعطاء سندا للشيخ رحمه الله، تصدر بعد سنوات من الدرس والتحصيل بوهران، لتحفيظ القرآن الكريم بقريته بأولاد سيدي الفريح المهاجي[229] من أرض القعدة، نحوا من أربعين عاما أو يزيد، تخرج على يديه جمع كبير من حفظة كتاب الله، وقد ظل بها قائما حتى وفاته رحمه الله من عام 1984، وهو من مواليد عام 1887 للميلاد، رحمه الله،

وفيها الفقيه سيدي المصطفى -
(قدور ابراهيم) [230]

[229] أنظر كتاب الأثر الزاهر في دكر النسب الطاهر ص: 286 وما بعدها،

[230] المصدر نفسه، ص: 287،

ولد الحبيب ولد عبد القادر ولد مصطفى ولد سيدي قدور ولد مصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي، من مواليد عام 1915 بقرية أولاد سيدي الفريح المهاجي، حافظا للقرآن الكريم ملما بالسير والتراجم وأقوال الصحابة والتابعين، كثير التلاوة للقرآن الكريم شديد الذكر به، مقدما في علم العبادة ، غاية في الفضل،

لقد كان رحمه الله أعفَّ نفسًا وأشرف خلقاً، وأرفع آدابا وأخلاقا، طيب القلب سريع الغضب، حتى أن كل ما يكنه في قلبه يأتي به لسانه من غير تحفظ، رحمه الله،

وفيها الشيخ سيدي عبد القادر (المعروف ب : (اللقاش) (قدور ابراهيم)[231]

[231] أنظر كاتب (تاريخ امهاجة بين المدلول اللغوي ووالرسوخ الجغرافي والامتداد التاريخي) ص: 213 وما بعدها وقد لحقته هذه التسمية كونه كان يتوافر عل حكمة ظهر بها واشتهر، يعالج بها كل من أسابه مس أو أحاط به ريح، وهو على درجة كبيرة من مخافة الله، رحمه الله،

ولد سيدي الحبيب ولد عبد القادر ولد مصطفى ولد سيدي قدور ولد مصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي،

الذي كان صادق الاعتقاد، مقصودا في قضاء الحاجات، منشرح الصدر، كريما عطوفا رحيما على الفقراء والمساكين، ولهم عنده فواضل كثيرة، لا يعرف الظلم ولا الجور، وثيق الصلة بأهله وبني عمومته، جليل القدر عندهم، رفيع المنزلة محترما مهابا عند أهل عصره، يكبرونه ويقدمونه، وهو ممن ظهرت على يديه مخايل الأسرار في حكمة بالغة، كثيرا ما ينالها عجب من رغبة الناس في بركة دعاء، وعمل صالح، مجالسا لأهل الذكر، سالكا للطريق المستقيم، حاملا لكتاب الله، نشأ ودرس وتأدب بقريته بأرض القعدة على يد شيوخها من أهله وبني عمومته، مدة حياته، ولم يختلف لغيرها من أماكن العلم رحمه الله،

وفيها الفقيه سي بن افريحة
(قدور ابراهيم)

ولد سيدي الحبيب ولد عبد القادر ولد مصطفى ولد سيدي قدور ولد مصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي، الذي كان رحمهم الله،

دقيق الأحوال، شديد الانعزال في ورع وتقي، قد تولى تحفيظ القرآن في كثير من بيوتاته وكتاتيبه القرآنية، قام فيها أحسن قيام مدة عقد من الزمن أو يزيد، حتى كان فيها كبير فضل وآداب، جليل قدر وموضع إحسان وإكرام، وهو من مواليد 1913م بقرية أولاد سيدي الفريح المهاجي، حافظا للقرآن الكريم ملما برواياته وقراءاته،رحمه الله،

وفيها الشيخ الفقيه سيدي عبد القادر
(قدور ابراهيم)

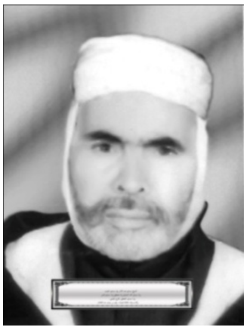

ولد سيدي الحبيب ولد سيدي محمد الشيباني ولد مصطفى ولد سيدي قدور ولد سيدي المصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي، شقيق والدي رحمه الله، الذي كان من أهل القرآن ومن الذي تلقى علومه على أهل الدراية والصفاء، أمثال الشيخ الطيب المهاجي رحمه الله، والشيخ أبو بكر بن العربي التجيني الميضاوي الذي كان اختصاصه علوم القرآن واللغة العربية، وقد ترك فيها آثارا كبيرة تمثلت عنه في كثير من التقاييد والحواشي من التي كان يذيل بها الكثير من المصنفات من التي كانت عنده محل درس وعناية،

لقد عاش هذا الشيخ[232] رحمه الله حياة شريفة عظيمة المنزلة، وبكامل أسبابها، في علو همة ومضاء عزيمة، مثل عصره أحسن تمثيل من حيث الأخلاق الحميد والأحوال الصحيحة، يروقك كلامه ويعجبك حديثه، لا يعرف المدح من أجل المدح، ولا يجاري أحد بغير ما فيه، وهو الأمر الذي أكبره عند العامة والخاصة من أكابر أهل الفضل وحسن السيرة والخلق، حتى أنه كان يقول للمسيء أسأت وللمذنب أخطأت، وكأنك بعيد عن كل عاطفة وإحساس، لا يخشى أحدا في قول الحق،

تولى التعليم في إحدى مساجد وهران القرآنية التي انتهج فيها تدريسا وتلقينا بطريقته الخاصة وقد نالت إعجابا عند مريديها، التي أنهى حياته بها، وهو من مواليد عام 1909 للميلاد،

وفيها الشيخ سي لحسن
(زدور ابراهيم)

[232] أنظر كتاب (تاريخ امهاجة بين المدلول اللغوي والرسوخ الجغرافي والامتداد التاريخي) ص:245 وما بعدها، طبع ديوان المطبوعات الجامعية ـ المطبعة الجهوية بوهران، 1422 هـ 2002 للميلاد،

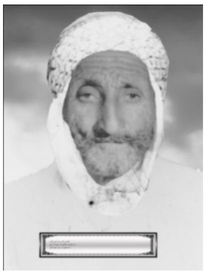

ولد سيدي الحبيب الكبير ولد المولود ولد مصطفى ولد سيدي محمد السني ولد مصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي، الشيخ الفاضل والرجل الطيب، لقد كان مولده بقريته التي بها نشأ وترعرع وشب، والتي بها حفظ القرآن الكريم وتلق علومه الأولية بها، وفي نحو العشرين من عمره التحق بوهران لإتمام تعليمه على يد الشيخ الطيب المهاجي، حتى بات به عينا من أعيان جيله،

ولا أعرف عنه الكثير من الأخبار إلا أنه كان شيخا فاضلا وقورا يعيش أيامه في مبادئ روحية، وقواعد أخلاقية، رحمه الله،

وفيها الشهيد القاسم الوطني، والأديب الشاعر

(زدور محمد ابراهيم)

ولد الشيخ الطيب المهاجي رحمه الله ولد المولود ولد مصطفى ولد سيدي محمد السني ولد مصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي،

من مواليد وهران عام 1923، حفظ القرآن على يد والده وهو في سن العاشرة، درس العلوم اللغوية والفقهية وعلم الأصول على والده إلى جانب دراسته للغة الفرنسية، التحق بجامعة الزيتونة بتونس حيث تحصل على شهادة التطويع فيها وهي أعلى شهادة تمنح للطالب يومئذ، ثم التحق بكلية العلوم بجمهورية مصر العربية بالقاهرة، أنهى دراسته بها عام 1953 حيث تحصل على شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها، يحسن عدة لغات أجنبية، أديبا وباحثا، له مشاركة في الصحافة العربية والمجلات الأدبية، وهو من العناصر الثورية المساهمة في تفجير ثورة أول نوفمبر الكبرى من عام 1954، شارك في تحرير كلمة أول نوفمبر للثورة الجزائرية التي أذيعت من صوت العرب من القاهرة إيذانا باندلاعها، دخل الجزائر في مهمة من قبل زعمائها فوقع في الأسر وقتل عام 1954 بعد إعلان الثورة الجزائرية بأيام، كان رحمه الله آية في الذكاء والحفظ والنباهة، حافظا أديبا حاذقا يعلم العربية وقواعدها والفرنسية وآدابها والشعر، ناهيك عن السياسة وعلومها وهو على خلق عال من الورع والتقى، حليما وقورا رحمه الله وأحله جنات الخلد[233]- ،

---

[233] أنظر في ترجمته كتاب (زدور محمد ابراهيم القاسم ، الوطني والأديب الشاعر، طبع دار الغرب للنشر والتوزيع 2003 ،

وفيها السيد الحبيب بن[234]- ابراهيم
(عدة ابراهيم) [235]

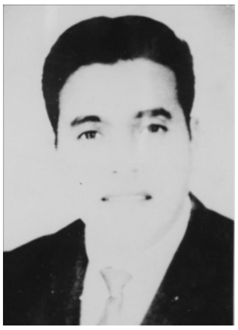

ولد محمد ولد عبد القادر ولد عده ولد بن مصطفى ب ولد سيدي الفريح المهاجي، قرأ القرآن على العديد من شيوخ القرية وأتمه على يد الفقيه الشيخ مصطفى ولد سيدي الحبيب المهاجي،
درس الفقه والنحو والشريعة في مدينة بلعباس على يد شيوخها ثم على يد الشيخ بن سحنون بمدينة سفيزف وأخيرا عند الشيخ الطيب المهاجي بوهران، إلى أن أصبح من أهل الحفظ والمعرفة بالفقه وعلم النحو والشريعة، التحق بسلك التعليم غداة الاستقلال عام 1962م بمدارسها الحديثة و ظل معلما مربيا حتى عام 1991 حيث حصل على التقاعد منهيا خدمته العملية والعلمية فيها، دمث الأخلاق حلو المعاشرة حسن اللقاء، مهتم الآن بالقراءة والمطالعة في كتب اللغة والشريعة والآثار حتى اليوم من عام 1997م وهو من مواليد عام 1929م بقرية أولاد سيدي الفريح،

وفيها السيد ابراهيم ولد سيدي قدور
(قدور ابراهيم)

---

[235] أنظر كتاب الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر) ص: 338 ، طبع ديوان المطبوعات الجامعية، وهران1418 هـ 1998 م

ولد سيدي قدور ولد سيدي جلول ولد سيدي محمد الشيباني ولد مصطفى ولد قدور ولد مصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي، الذي كان رحمه الله رجل عمل وجهاد، وقد أحاطت به ظروف كثيرة أثناء الثورة التحريرية الكبرى من عام 1954 للميلاد، التي كانت عنده أشد امتحانا في هجر ومعاناة ، وقد لب دعوتها في حياة شاقة، وأيام عويصة، ومعيشة خشنة، حتى تمكن عن طريق زعيم من زعمائها أن يوفر له أسباب الالتحاق بأرض المغرب كونه أصبح مطاردا من طرف الاستعمار ولا يمكنه أن يؤدي واجبه في ظل ظروف قاهرة تحيط بت من كل جانب، ولي له من مخرج إلا خرج الوطن، فكان له ذلك بعد جهد شاق حيث قلدته منصبا يليق بمقامه رحمه الله، لما كان عليه من ثقافة عالية، في نباهة وحزم وعزم وجمال سيرة وطهارة خلق، ما جعل قادتها يسندون إليه مهمة استقبال الوافدين من أرض الوطن، وأشرف على وقائعها الاجتماعية والسياسية طيلة زمان الثورة، بمدينة وجدة المغربية، التي كانت تضم قاعدة خلفية للثورة الجزائرية يومئذ، حتى غداة الاستقلال من عام 1962 للميلاد ليعود بعدها لأرض الوطن رفقة الحكومة الجزائرية المؤقتة، لينأى بنفسه عن كل مسؤولية أو تكليف التي كانت عنده حق من حقوقه الوطنية، ليكون لنفسه تجارة حرة استطاع أن يحافظ بها على جليل قدره وعظيم منزلته في قومه إلى حد بعيد، وهو من مواليد عام ....

وفيها السيد محمد المعروف بـ : (ـ المرابط ـ)

(قدور ابراهيم) [236]

ولد سيدي محمد ولد سيدي جلول ولد سيدي محمد الشيباني ولد مصطفى ولد سيدي قدور ولد مصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي،

لقد ترك لنا ما نذكره به رحمه الله، إذ أنه كان يجمعنا كل يوم غداة خروجنا من مكان الحفظ والدرس، وفي أعلى ربوة من القرية نلتقي عندها، حيث نجده كل يوم يأتينا بحديث شائق وممتع، من الذي يقع في نفوسنا أحسن وقع، ويثير في قلوبنا عواطف الحب والحزن والرفق معا، لما فيه من جمال ومتعة، حتى أنه لا يكاد يكلفنا خياله الممتع وسرده الجميل لهذه الحكاية أو تلك أكثر مما لا نطيق، فهو في حديثه يصور لنا المجاهد والمقاتل في سبيل ووفاءهما أجمل تصوير، حتى أنه يصب الشجاعة في نفوسنا في غير ضعف ولا وهن، وأخرى تكون عنده في أروع تصوير في قتال أو الاقتتال، وأخرى وهي الأقوى والأشد فينا حزنا وحيرة عندما يمدح أحياءها ويرثي أمواتها، في كلام أروع أسلوبا وأقرب منه إلى الواقع، بحديث لا يجهد نفسه فيه ولا يجهدك،

وينتهي ليلنا معه ونحن في غاية السعادة، وتذهب الأيام والأيام لتشرق بنا مرة وتغرب أخرى، ونحن نعيش معه حكايات لا تلبث أن تستحيل رمادا تذروها الرياح، فما أشد صبيتنا غرورا، في حبها للبطل والمجاهد والمقاتل، وثقتها بما لا

---

236 أنظر ترجمته في كتاب الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر) ص: 338،

ينبغي أن تثق به، واطمئنانها إلى ما لا ينبغي أن تطمئن إليه، فكل ما كان يعجبه منا ويرضيه رحمه الله أننا نذكره بخير، ونثني عليه بكثير من السرور والإعجاب،

فهذا هو السيد المجاهد محمد المعروف بـ (المرابط،) الذي تعلمنا منه السباحة والرماية وركوب الخيل، لقد زرع في نفوسنا رحمه الله حبه لهذه الرياضة، التي كان لنا فيها معلما ومربيا، جزاه الله عنا خيرا، وها نحن نذكره اليوم بكثير من ماض بات فينا دفينا بكامل آثاره ومآثره، وحاضر نحن فيه من خير قليل، وشر كثير، وبخاصة في هذه الأيام التي تعيشها الأمة العربية وجميع الدول المتحضرة في جميع أنحاء العالم من دون استثناء، معاناة لأوبئة ما أنزل الله بها من سلطان، تنتشر بصورة مباشرة وغير مباشرة، وكأنك بها نوع من القضاء والقدر الذي كتبه الله على هذه الأمة حيث لا مناص لها، فالناس صاروا اتجاهه كالبقر والمعز والأغنام في المجزرة، ولن ينفع مع هذا الوباء لا الحجر الصحي ولا الاحتياطات المتمثلة في كثير من العناية بالنظافة وغسل اليدين، وقد بات الكل يحذر عواقبها الوخيمة، حفظنا الله من شرها ووقانا شرها، والله المستعان،

وقد كتب الله لهذا الرجل أن يلتحق بالثورة التحريرية في سنواتها الأولى من عام 1957 إلى جانب إخوانه من المجاهدين الأحرار من الذين نذروا أنفسهم للجهاد في سبيل الله والوطن، وقد خاض فيها معارك عدة، حتى سقط جريحا في ميدان الشرف بإحدى المعارك، ليحكم عليه بسنوات من السجن الذي ظل فيه أسيرا ليطلق صراحه غداة الاستقلال من عام 1962 للميلاد،

وهو من حفظة كتاب الله، مخلصا وطنيا خفيف الطبع رقيق الشعور خصب الخيال (راوية حكواتي لا ينافس مكانته أحد) وهو من مواليد عام 1929مـ. رحمه الله،

وفيها السيد الحاج محمد (العروف ب : (لسوري)

(الصحراوي ابراهيم)

ولد مصطفى ولد عبد القادر ولد بن افريحة ولد الصحراوي ولد مصطفى ولد سيدي الفريج المهاجي،

لقد عرف عن هذا الرجل رحمه الله أنه ومنذ صغره كان يتمتع بكثير من الباقة والرشاقة، خفيف الروح، واثقا بنفسه أشد الثقة، راضيا عنها كل الرضا، وكأنه هو الرجل كل الرجل، يتقدم شباب قومه عند كل طلب وكأنه خلق لهم قبل أن يخلق لنفسه، فصيح اللسان، قوي البيان، حتى أنه ملأ نفوس قومه إعجابا تقديرا واحترما، لما كان له من الرشد والحلم وحسن البلاء، ما مكنه أن يحمل صفات الشباب التي تدفعه إلى أن يمثل الواجب الوطني وهو في سن مبكرة أقوى التمثل، ما جعله لا يكتفي بالمخاطرة والمغامرة التي ظل يتعرض لها من طرف أعوان الاستعمار في نشره للوعي الثقافي والدعوة للواجب الوطني الذي ما من شأنه التخلص من هذا المستعمر الغاصب، واضعا نفسه تحت أوامر قيادة حزب الشعب الذي انتمى إليه في سنين من حيث النضال والمقاومة من التي أصبح يدعو إليه الوطن من أقصاه إلى أقصاه لإخراج الاستعمار الفرنسي يومئذ، وقد أدى فيه واجبه أحسن الأداء، وأجهد نفسه فيه من غير تحفظ ولا خوف، وبات يسير فيه من غير تستر نهارا جهارا، حتى تعرض للسجن من عام 1941 للميلاد وحكم عليه في جماعة من بني عمومته بسنوات من السجن، وبعد

خروجه من السجن أصبح أكثر خطرا عليه من ذي قبل، وبقي على حاله في اتصال دائم مع الحركات الوطنية التي ظلت تنشط على أرض الوطن، حتى غداة اندلاع الثورة التحريرية الكبرى من عام 1954 للميلاد، لينظم إليها في نشاط خالد لا زال يشهد له به فيما قام بت من عمل في كثير من البيئات الاجتماعية التي لم تنفذ إلى الثورة، أو الحاضرة التي لم تؤثر فيها، وظل على حاله طيلة سنواتها يستجيب لدعوة داعيها مسرعا في غير كسل ولا تلبد،

وسأعود بحوله تعالى وحسن عونه إلى هذا الموضوع وبكثير مما أعلم منه، في بقايا منقوصة، وآثار لا زال زمانها يلح عليَّ حفظ منها ما أحفظ، وأجمع منها ما أضاع، في كتاب جامع لا يتغير إن صح رأيك، أو صدق ظني عن هذه الظاهرة أو تلك،

وهو من أهل القرآن الكريم وخاصته، ومن أشرف بيوتات آل امهاجة وأكرمها، وهو منها في أرفع مكانة وأجلها،

وفيها الشيخ أحمد ولد الفقيه سيدي المصطفى

(قدور ابراهيم) [237]

[237] أنظر ترجمته في كتاب الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر) ص:263 ، طبع ديوان المطبوعات الجامعية، وهران 1418 هـ 1998 مـ ،

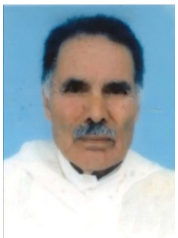

ولد الفقه سيدي المصطفى ولد سيدي الحبيب ولد سيدي محمد الشيباني ولد مصطفى ولد سيدي قدور ولد مصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي،

وهو ابن عم كريم، نشأ بيننا منعوتا بكثير من فضائل الخير وحب الأهل والأقارب، له نفس طيبة سمحة، حيث كان فينا محبوبا، بحكم أنه كان أول كريم للأسرة، وأول حافظ للقرآن الكريم، وأول درس علوم اللغة والدين في سنوات على يد الشيخ الطيب المهاجي رحمه الله، بعد حفظه للقرآن الكريم وعلى يد جده سيدي الحبيب بن سيدي محمد الشيباني بالفريح المهاجي رحمه الله، الذي كان كبير الأسرة من بني العمومة، جودا وكرما جاها وعلما، وذلك بما كان له من التأثير القوي فيهم حجة وبيانا،

لقد كان رحمه الله موقع القبول والرضا عند الجميع، التحق بالتعليم غداة الاستقلال من عام 1962 للميلاد في مدارسها الحديثة ، تولى إدارة تسييرها سنوات، إلى وفاته رحمه الله من عام وهو من مواليد 1929 للميلاد رحمه الله،

*- وفيها الشيخ - احمد ولد عبد القادر
(قدور ابراهيم) [238] -

[238] أنظر كتاب الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر) ص: 284، طبع ديوان المطبوعات الجامعية، وهران 1418 هـ 1998 مـ ،

ولد عبد القادر ولد الحبيب ولد عبد القادر ولد مصطفى ولد سيدي قدور ولد مصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي،

من مواليد 1925 بقرية أولاد سيدي الفريح المهاجي، عاش فيها ثقافته البدوية الأصيلة بمركباتها وخصالها، حفظ القرآن على يد شيوخها الأفاضل، وكثير من علوم الشريعة والدين والعربية وآدابها ، انتقل بعدها إلى وهران حيث الشيخ الطيب المهاجي رحمه الله لتتمة ما أخذه من أوليات علومه عليه وواظب عنده سنوات، ونظرا لظروف الاستعمار الفرنسي القاصية يومئذ، التي بات يعاني منها الكثير وبخاصة منهم طلبة العلم وحفظة كتاب الله، من ضغوط نفسية واجتماعية من التي بات فيها الجميع غير قادر على استمرار الحياة، مما اضطره إلى الانخراط في صفوف النضال الثوري الذي بات يزداد قوة سرا وعلانية، إلى أن أعلنت الثورة اندلاعها من عام 1954 للميلاد عبر الوطن كله، فكان فيها سباقا بحكم نضاله البعيد، وبعد أن أخذت الثورة تمدد خيوطها وتتشاكل أصولها وفروعها، وظهر للعيان هدفها وغاياتها، وقد أخذ الكل فيها مكانه في الجهاد والنضال، ليقع هذا الشيخ الفضل السيد محمد المعروف بـ (أحمد) أسيرا بعد أن اكتشف أمره بما كان يقوم به من عمل ثوري، حيث قيد إلى السجن وحكم عليه بسنوات،

قضى فيها ما تبقى من عمر الثورة حتى غداة الاستقلال من عام 1962 للميلاد، حيث أطلق صراحه[239]،

ـ وفيها السيد محمد ولد سيدي عبد القادر
(قدور ابراهيم)

[239] أنظر (كتاب الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر) ص: 284، طبع ديوان المطبوعات الجامعية، وهران 1418 هـ 1998 مـ ،

ولد الشيخ سيدي عبد القادر ـ شقيق والدي ـ ولد الحبيب ولد سيدي محمد الشيباني ولد مصطفى ولد سيدي قدور ولد مصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي،

قرأ القرآن على يد والده رحمه الله وواظب على قراءته بعد الهجرة إلى وهران، حتى تمكن من حفظه حفظا جيدا، له إلمام واسع باللغة الفرنسية وآدابها، اشتغل في أعمال إدارية متنوعة ومتعددة، فتحت له مجالات معارفية كثيرة، منها الحماية المدنية، التي تدرج فيها في مسؤوليات متعددة، حني بات فيها أستاذا مطبقا لمفاهيمها الطبية وآلاتها وأدواتها المادية، حتى خرج منها منهيا خدمته برتبة ضابط سامي،

سليم العقيدة، خاض الحياة الدنيا مبكرا ، وتعلم منها حقائقها وأمورا كثيرة، حتى أخذ منها نصيبه الأكبر، وفقا لميوله ورغباته وكل ما كان منها يتلاءم وقدراته الفكرية والثقافية، حتى بات بها كبير نظر، وهو من مواليد عام 1938 للميلاد، بأرض القعدة من بادية امهاجة،

وفيها السيد عبد القادر ولد الشيخ سيدي محمد الصحبي (عدة ابراهيم) [240]

---

[240] أنظر (كتاب الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر) ص: 296،

ولد سيدي محمد الصحبي ولد الطيب ولد محمد الكبير ولد عده ولد مصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي،

نشأ في بيت تفوح أرجاؤه بعطر العلم وأرج الأدب والفقه واللغة، فشب بها ميالا للثقافة العربية وآدابها، في تعلمها وإتقانها، كان له ذلك على يد والده الشيخ سيدي محمد الصحبي رحمه الله، فغذاه بما كان يراه مناسبا له، غداة طفولته وأيام شبابه، وهيأ له ما يعتقد أنه نافع مفيد، فحفظه القرآن، وعلمه من الدروس ما كان في أيامه من علوم لغوية ودينية، ولكن القدر أبا غير ذالك، لأسباب شاء له القدر بها أن يغادر وهران في رحلة ألّلعودة إلى بلاد المهجر، حيث استقر به المقام هناك في تجارة حرة نزيهة ومربحة، وأصبح عليه من الصعوبة بمكان أن يعود أهله وموطنه أو مكان مولده إلا في المناسبات المختلفة أو الظروف التي تحتاج إليه، وهو في غاية من الخلق القويم والسلوك الحسن، وهو من مواليد عام 1943 للميلاد،

وفيها السيد أحمد ولد الفقيه سي بن افريحة
(قدور ابراهيم) [241]

[241] أنظر (كتاب الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر) ص: 264 ،

ولد سيدي بن افريحة ولد سيدي الحبيب ـ الكبير ـ ولد عبد القادر ولد مصطفى ولد سيدي قدور ولد مصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي،
قرأ القرآن على يد والده رحمه الله، وأتمه اجتهادا وتلاوة، وهو من أهل الفضل والطهارة، كثير العناية بأهله، شديد الحرص في أمور دينه ودنياه، ذا خلق كريم ونبل وطهارة، أنهى عمله في سنوات بإحدى مؤسسات
الجزائر الكبرى الوطنية، ليلتحق بإحدى مساجد وهران كإمام قائم على أداء الصلوات الخمس والتراويح، حيث ظل فيه يؤم الناس حتى أصابه ابتلاء لا يستقيم للعاقل حديثه، ولا للعقل سماعه، وقد رضي بذلك أيما رضا بم دس إلى محضره من يناله بالمكروه، ولكن الله أخذ بيده وعوضه بأحسن مكان، وهو من مواليد عام 1945 مـ بقرية أولاد سيدي الفريح من أرض القعدة من بادية امهاجة.

وفيها السيد أحمد بالفريح المهاجي (الفريح ابراهيم) [242]

[242] أنظر كتاب الأثر الزاهر في دكر النسب الطاهر،ص: 53 وما بعدها،

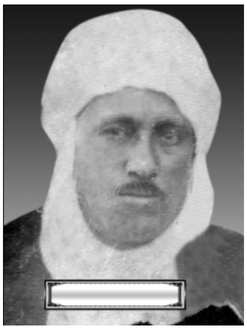

بن ابراهيم بن أحمد بن مصطفى بن الطيب بن مصطفى بن الفريح بن مصطفى بن سيدي الفريح المهاجي، من أهل القرآن الكريم حفظا ودراية، وصاحب خط جميل، وصوت جهور،

التحق بجبهة التحرير الوطني عام 1954 م وتولى مسؤوليات عديدة إلى أن أصبح أكبر مخططا لها، ألقي عليه القبض عام 1960م ونظرا لما كان يتمتع به هذا الرجل من شخصية قوية ذات مكانة في الأوساط السياسية والحربية لجبهة التحرير الوطني، قامت فرنسا بتسليط أنواع من التعذيب عليه وبعد أن يئست من عدم استنطاقه أي كلمة عن الثورة الجزائرية يومئذ، فأحرقته هو وجماعة من رفاقه وسط ساحة من ساحات وهران الكبرى في أخريات عام 1960 م أمام مشهد من جموع المواطنين، ولازالت هذه الصورة حية خالدة

في ذاكرة أبناء وهران رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه، ولم أشأ التعبير عن الوحشية في الأساليب لأن الحادثة تعبر عن نفسها للقارئ الكريم،

وفيها الشيخ سيدي الحاج محمد مكنوس

(الطيب ابراهيم) [243]

ولد سيدي محمد مكنوس ولد سيدي الحاج محمد ولد سيدي الحاج بن عبد الله ولد سيدي الطيب بالفريج ولد سيدي المصطفى ولد سيدي الفريج المهاجي، لقد كان رحمه الله ذا موهبه حفظ وإدراك، تلقى تربيته وتعليمه الأوَّلِي على يد والده الشيخ سيدي محمد مكنوس رحمه الله بمدينة سيق، حيث أخذ عنه أسباب نمو الحركة الإصلاحية التي شهدها الوطن يومئذ عبر التراب الوطني، المتمثلة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كان على رأس هيئتها العلمية والتعليمية الشيخ العربي التبسي رحمه الله، وأستاذا دائما بها في سنوات، وهو بعد طالب علم في مدرستها الشهيرة بمدينة سيق، ما جعله يتأثر تأثيرا كبيرا بكثير من مفاهيمها وأفكارها، كنصرة اللغة العربية وآدابها، والعمل على نشر ثقافتها التعليمية الدينية والوطنية، حتى كان فيها بحق أكبر وأعظم دعاتها، في الدعوة إلى نشر ثقافتها الداعية إلى الجهاد ومقاومة الاستعمار الفرنسي يومئذ،

وذلك لما أعطاه الله سبحانه وتعالى من الوقع حسن، والقدرة على التعبير من التي لا زالت تتضح عنده بقليل من التأمل والنظر، في اتزان لفظي، وتوسع في التعبير عن كثير من توجهاتها المادية والمعنوية بدرجة لا مزيد عليها،

لكن القدر لم يمهله لإتمام تعليمه بسبب غلق الاستعمار الفرنسي لهذه المدرسة وغيرها كثير، وملاحقة شيوخها وطلابها، مستحدثة بذلك قوانين وتشريعات ما

---

[243] أنظر (كتاب الأثر الزاهر في دكر النسب الطاهر)، ص: 270 .

أنزل الله بها من سلطان، خشية انتشار نشاطها التعليمي التربوي والثقافي الذي باتت فيه على درجة كبيرة من نثر الوعي الثقافي والاجتماعي،
وقد توجه حينها رحمه الله كغيره من أبناء الوطن للبحث عن الحياة بكامل أبعادها الاجتماعية والانسانية من التي باتت موضع البحث عند المجميع دون جدوى، في جو مليء بالغبن والقهر والتهجير والتشريد والاقتال حتى غداة الاستقلال من عام 1962 للميلاد
ومن ثقافته ورصيده العلمي رحمه الله أنه كان يحسن اللغتين (العربية والفرنسية) قراءة وكتابة، وهو من مواليد 1916 للميلاد بأرض القعدة من أولاد سيدي الفريح المهاجي،

وهناك فئة قليلة من حملة كتاب الله
من التي لم نتمكن عرض صورها في هذا الباب،
*ـ وفيها السيد قدور (عدة ابراهيم)

ولد سيدي الطاهر ولد الفقيه سيدي الميلود (بن ابراهيم) ولد محمد الكبير ولد عدة ولد مصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي، حاملا لكتاب الله، وهو ممن انتقل إلى مدينة سيدي بالعباس غداة اندلاع الثورة التحريرية الكبرى من عام 1954 للميلاد، وأقام بها

سنوات، اشتغل بالتجارة وتعلم أصولها حتى بات بها خبيرا، وهو إلى اليوم يعيش على أرضها سعيدا كريما،

* وفيها **السيد الطيب بالعربي**[244](زدور ابراهيم)

ولد الطيب ولد محمد ولد مصطفى ولد محمد السني ولد مصطفى ولد سيدي الفريج، من حملة كتاب الله، يعتمد في مورد رزقه على تجارة حرة، وهو أمر له جوانبه الحسنة في كثير من أمور الحياة الدنيا، تغلب عليه البساطة في كل شيء، حتى نال بها رضا عامة الناس، كثير الزيارة للأهل والأقارب،

*- وفيها **الفقيه سيدي عبد القادر**[245] (عدة ابراهيم)

ولد الشيخ الطيب ولد مصطفى ولد الفريج ولد مصطفى ولد سيدي الفريج المهاجي، من أهل القرية وأبنائها الفضلاء، قرأ القرآن على يد والده الشيخ الطيب وجماعة من بني عمومته، انتقل إلى مراكش بالمغرب الأقصى لقراءة القرآن، فحفظه حفظا جيدا وأتقنه بقراءاته وعلومه حتى أصبح شيخا بارعا وفقيها جليلا في قراءة القرآن وحفظه، عالما بكثير من معانيه، حسن الضبط لرواياته، ثقة في نقلها محترما عند الخاصة والعامة من أهله وبني عمومته قوى الحفظ حسن الخبر، ملما بالأثر شديد الإيمان كثير الإحسان طيب المعاشرة، ذا حكمة بليغة ورأي سديد، ثاقب النظر من مواليد عام 1908، وكانت وفاته رحمه الله عام 1942 للميلاد،

*ـ وفيها **السيد - قادة** [246]ـ(عدة ابراهيم)

ولد سيدي محمد المعروف بـ شعيب ولد الفقيه سيدي الميلود ولد محمد الكبير ولد عده ولد مصطفى ولد سيدي الفريج المهاجي، من مواليد عام 1923،للميلاد، حفظ القرآن على يد جده لأبيه حفظا جيدا وهو في غاية من الذكاء، اشتغل بالبلدية سنوات حتى بات فيها سجلا لا تغيب عنه حاجته لطلب أي كان، له صوت جهور جميل، حتى أنه

---

[244] أنظر (كتاب الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر) ص: 294

[245] أنظر (كتاب الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر) ص: 284،

[246] أنظر (كتاب الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر) ص: 284،

لا يكاد يعلو عليه صوت في قراءة القرآن، له إلمام باللغة الفرنسية وقواعدها، تولى عدة وظائف في الدولة الجزائرية الحديثة،

وهو رجل منقبض عن الناس، قليل الكلام، حديثه تأملات، لا يروي إلا الصحيح ولا يثبت الحق إلا بالحق، ولا يزال على هذا الحال حتى وفاته رحمه الله من عام 1997 للميلاد،

*- وفيها **السيد الطاهر**[247] **(قدور ابراهيم)**

شقيق صاحب هذا التأليف، ولد سيدي محمد الشيباني ولد سيدي الحبيب ولد سيدي محمد ولد مصطفى ولد سيدي قدور ولد مصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي، وهو من مواليد عام 1935، حافظا لكتاب الله،

*وفيها **السيد محمد محمد بن عودة**[248] **(الفريح ابراهيم)**

ولد بن عودة ولد الطيب ولد مصطفى ولد سيدي الفريح ولد مصطفى ولد سيدي الفريح المهاجي

من مواليد عام 1939 حفظ القرآن على يد الشيخ الفقيه سيدي المصطفى وآخرون من أهل القرية بأولاد سيدي الفريح المهاجي، قوي الحفظ حسن الصوت يغلب عليه الحياء في صدق وصراحة ، قضى جل حياته معلما للقرآن الكريم، شديد الاستمرار في التمسك بقيم بداوته الأصيلة، وثقافاتها العربية الإسلامية في كثير من أبعادها الدينية والروحية، ولا يزال على عهد سلفه الصالح تقيا نقيا طاهرا،

*- وفيها **السيد البشير**[249] **(قدور ابراهيم)**

---

[247] أنظر (كتاب الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر) ص: 300، طبع ديوان المطبوعات الجامعية، وهران 1418 هـ 1998 مـ ،

[248] أنظر (كتاب الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر) ص: 286 ، طبع ديوان المطبوعات الجامعية، وهران 1418 هـ 1998 مـ ،

[249] أنظر (كتاب الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر) ص: 264 ،

شقيق كاتب هذه السطور- ولد سيدي محمد الشيباني ولد الحبيب ولد سيدي محمد الشيباني ولد مصطفى ولد قدور ولد مصطفى ولد سيدي الفريج المهاجي،

حفظ القرآن الكريم على يد عمنا الشيخ الفقيه سيدي المصطفى بن سيدي الحبيب رحمه الله، وهو في التاسعة من العمر، ذا ذكاء حاد، وحفظ جيد، درس اللغة الفرنسية وتحصل على شهادة عالية فيها، التحق بالثورة الجزائرية التحريرية الكبرى حتى غداة الاستقلال من عام 1962، تولى عدة مسؤوليات في الأمن الوطني حتى خرج منهيا خدمته الوطنية برتبة نقيب، وهو من مواليد1940 للميلاد،

* دوار اشناتفه

وهو بيت من بيوتات أرض القعدة من بادية امهاجة شرفها الله سبحانه وتعالى بشيخ فاضل حاز السبق في كثير من علوم زمانه، ما جعلها تأخذ اسمه علما لها وهو :

* الشيخ سيدي الحاج بوشنتوف المعروف بـ (ادريس بوشنتوف)

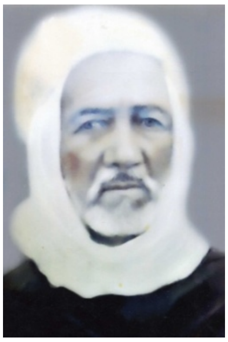

بن ادريس ولد عبد القادر ولد محمد الصغير[250] رحمه الله، الذي أنشأ بها مسجدا تجاوز فيه حدود القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، إلى تدريس الكثير من المعارف الدينية واللغوية التي بها اشتهر بخليل بن إسحاق الحامل لواء مذهب مالك في زمانه بمصر كونه كان من أهل العلم والمعرفة والدراية، التي كان فيها صدرا عند علماء أرض القعدة، من الذين اشتهروا بجلال قدرهم وعظيم عملهم ،

وقد كان هذا الشيخ رحمه الله عزيز النفس، قوي الإرادة، يكسب قوته من أرض تملها وراثة عن والده رحمه الله، أبيا متأصلا في خلق أهل العلم، متواضعا بعلميته التي بات الناس يكونون لها احتراما كبيرا، من التي ظل يميل بها في أعماق نفسه إلى أن يكون بها كسلفه الصالح في جميع خصالها التي لا زال يرى فيها نفسه متبعا لأوامر الله ورسوله،

لقد استطاع هذا الشيخ رحمه من خلال ما أعطاه الله من مركز ديني الذي بات فيه قائما بأرض القعدة من قرية السوايحية، أن يثبت فيها درسه الديني على مذهب مالك الذي كانت الجزائر والشمال الأفريقي بعامة موطنا له يومئذ، الذي

[250] (أنظر جريدة الجمهورية في مقالة لي تحت عنوان (الشيخ بوشنتوف ادريس، خصال رفيعة واستقامة وتقوى) للدكتور قدور ابراهيم عمار المهاجي المنشورة بتاريخ 10 رمضان من عام 1424 للهجرة، الموافق لعام 2003 للميلاد

كان فيه عالي السند في كثير من الشاهد القرآني والسنة النبوية الشريفة، وقد وصفه أحد مشايخ عصره بقوله: (..كان المقتدي به في كثير من العلوم الدينية واللغوية، ومعارف أخرة كثيرة، فقيها أصوليا، جمع فأوعى، وقد بلغ من منقولها ومعقولها الغاية القصوى ..)

ونظرا لما كانت تتمتع به أرض القعدة من تربة ملائمة صالحة لنمو هذا التوجه الإلهي الذي لا زالت فيه ماثلة لعهودها القديمة، بفضل ما كان لها من شيوخ أفاضل، وطلبة علم من الذي كانوا يتوافدون عليها من مختلف المدن والقرى، ومن كل مكان من أرض الوطن،

*دوار البغاديد [251]:

وهي قرية تنسب إلى أحد مؤسسيها الأوائل المعروف بسيدي (بغداد بن عبد القادر) الذي كان على سمو منزلة وملكة أدبية، محترما عند جمهور علماء أرض القعدة، في كثير من علوم اللغة والدين، ومن فقهائها رحمهم الله،

* الشيخ الفاضل (العالم بن عبد القادر)

[251] 251 أنظر ص: 297 وما بعدها من هذا التأليف،

عبد القادر بن العربي المعروف بـ (الشارف) [252] الذي هو من بيت جلالةٍ وعِتْرَةٍ أصالة، عده أهل زمانه من كبراء أهل العلم آدابا وفضلا ، وأحد الصالحين المصلحين من الذين خصتهم أرض القعدة بمفاخر أيامها، وهو بها في علوم الحديث والتفسير والإفتاء جدير، وبكل ما يرضي الله سبحانه وتعالى، انقطع في أخريات أيامه للذكر ومطالعة كتب التراث في لغة وأداب، فقها شريعة ودين،

وحسبك من واسع علمه رحمه الله أن أهل القعدة أحاطوه بكثير من التقدير والاحترام، لما كان له من مشاركة واستئذان عند الصغير والكبير، وقد عاشرت زمانه في سنين، ما جعلني في سيرته بسبق يذكر، وقد أتتني على البديهة بما يتقبله المروي عنه ويبديه، وهو حق لي عنه لا ينكر، ولا أجده رحمه الله إلا كغيره من العلماء ممن لم تخلد مآثرهم، وتدون وثائقهم، ما جعل ذكرهم اليوم لم يتجاوز الآذان، وهو ممن كان له الدور الوظيفي للمعرفة الدينية والتعليمية، على

[252] كلام صاحب كتاب (المرآة الجليلة للشيخ الجلالي بن عبد الحكم) عن هذا الشيخ رحمه الله، وغيره كثير ممن ورد ذكرهم في معرض حديثه عن التعريف بكثير من رجالات عصره، هو كلام عام وانطباع خاص، لا يكاد يفي بالغرض المطلوب،

أساس ما كان له من مردود تعليمي منتج ومثمر، خدم به محيطه في كثير من أبعاده، وهو من مواليد عام 1891 للميلاد، رحمه الله،

* الشيخ عبد الرحمان

العالم بن عبد القادر عبد القادر بن العربي من مواليد عام 1935 للميلاد بدوار البغاديد من أرض القعدة، حاملا لكتاب الله، وليس له في غيره النظر والله أعلم، وليس لي من سجل أيام هذا الرجل المعروف بـ (الشيخ عبد الرحمن) أطال الله عمره، إلا النزر القليل مما لا يؤهلني للحديث عن جوانب أخرى من حياته، إلى أنني أقول إنه بحق من أسرة كريمة لشيخ فاضل رحمه الله، جودا علما وفضلا، ومن بيوتاتها، ـ العالم بن عبد القادر، وبلحاوي، والفهامة، والله أعلم،

* الشيخ العالم بن عبد القادر المنور

الحامل لكتاب الله، الملم بعلوم اللغة وأصول الدين، وقد تعددت الروات في سيرته العلمية والتعليمية، والتي لم نقف لها على مرجعية وافية، أو توضيح سيرة ، حتى نتمكن من الحديث عن قابليته العلمية، أو ما كان عليه من توجيه تربوي في أساليب درس أو تحصيل، أو وعظ وإرشاد، من التي لا زالت عندي أشد غموضا[253]، رغم بعض الاجتهادات التي قادتني إلى التقرب بمن هو أوفر توسعا وإدراكا للرحم القريب من هذه الأسرة، إلى أنها انتهت بي إلى مبلغ الاختلاف الذي لا يخلو من غموض وتناقض، حول سيرة هذا الشيخ الذي نشأ وتبلور في حدود القالب الذي أوحت به طبيعة مجتمعه، بأرض القعدة، من حفظه للقرآن الكريم والتعلم بعلومه الدينية والروحية،

هكذا وصلتني أيامه في امتزاج بين الحقيقة وأصولها، والواقع الممتد إلى روايات مثقفة من التي أدركتها الذاكرة من أناس أدركوه أو أدركوا من أدركه، حيث لا يزال في النفس بقايا أسباب كامنة وراء سيرة هذا الشيخ رحمه الله، وغيره كثير، من الذين كانوا منبعا فياضا من منابع الثقافة العربية الإسلامية، بأرض القعدة من بادية امهاجة، المنبعثة من تراثها الحضاري القديم، حيث أنه لا زال الأمل يحدوني بأن أقف لهم يوما عن رواية أو خبر تعود بي إلى مصادرها القديمة، أو في صورة ملتقطات من بطون الكتب والمخطوطات من التي لا زالت

---

[253] أنظر ص: 344 وما بعدها من كتاب (المرآة الجليلة للشيخ الجلالي بن عبد الحكم)

تستثير دفائن الماضي البعيد والقريب، وهو من مواليد 1930، بدوار البغاديد من أرض القعدة، وكانت وفاته رحمه الله عام 2000 للميلاد،

*الشيخ العالم بن عبد القادر سي الطيب

بن العربي بن الحبيب بن الزين الصغير بن الزين الكبير بن بغداد بن محمد بن عبد السلام، من مواليد 1897 للميلاد بدوار البغاديد من أرض القعدة، الذي كان مطبوعا بطابع الثقافة العربية الإسلامية الدينية والعلمية، لكنني وجدت أن سيرته هي الأخرى لا يزال السؤال حولها مطروحا، من حيث طفولته الأولى وأيام شبابه، الذي بهما تتأصل السير، وتتم الفائدة من خلال طابعها العام الكامن وراءها، حتى يصبح الإنسان بها ذات خصائص تختلف باختلاف منهجها وأدواتها،

وكل ما وصلني عنه رحمه الله، كتابات لا تكاد تختصر أو توجز، لأسباب تتعلق إما بالتاريخ أو التمثل كذاك الحديث الذي يأتي في معرض شرح أو تفسير أو إيضاح، ولم تتوفر على أي مادة تعين الباحث والقارئ على معرفة هذا

الشخصية الدينية الفاضلة [254] ، كتلك الملاحظات العابرة التي وردت في كتاب الشيخ بن عبد الحكم في كتابه (المرآة الجلية) الذي هو عبارة عن صنيع عادة ما كان يتفضل به هذا الشيخ عن كثير من الشيوخ من الذين ورد ذكرهم في ملخص كتابه، وهو كلام يراه الباحثون من أهل العلم أنه لا يخلوا من وسائل الازدواج الفكري والثقافي على وجه من الوجوه، من التي تساق إليها الأخبار وتصاغ إليها الروايات، من التي لا تكاد تتوفر على صدق مادة تكون كافية لتثبيت ما جاء فيها من صواب،

وكم كنت حريصا في كثير من بحوثي وكتاباتي على صدق المصدر أو الرواية، والتفريق بين المعنى العلمي والشائع المتداول، وكذا من حيث الطابع العام الذي تتميز به الثقافة الشعبية من حيث مداها الإنساني، وبعدها الثقافي ، وكانت وفاته رحمه الله عام 1997 للميلاد،

*** قرية اسوايحية[255]**

وهي قرية تنتمي في جذورها إلى الولي الصالح، (سيدي احمد بالسايح) رحمه الله الذي كان من أوصل الناس لرحمه، وأحفظهم بقرابته، ولا زال الناس

يذكرونه بجميل ما اشتمل به من صلاح وفلاح، وبما له عند الله من مكانة في دينه ودنياه، في سر لا يستحسب من العجائب، وسبحان الله من ابتلي فيها من ذوي الفضل والإحسان،

---

[254] أنظر ص: 344 وما بعدها من كتاب (المرآة الجليلة للشيخ الجلالي بن عبد الحكم) حيث ذكر اسمه عرضا أثناء زيارة الشيخ بن عبد الحكم لهذه الأسرة الكريمة من أرض القعدة، في شكل انطباع ليس إلا،

[255] أنظر ص: 171 وما بعدها من هذا التأليف،

وقد أحاطوه بكثير من الأخبار والروايات، وأكرموا أيامه في شرف مجيد، وامتدت إليه الأيادي والأعناق في شيء من الدعاء الذي هو أقرب للتقوى عند الله جزاء، ومن بيوتاته، - أولاد بوكراع جلول السائح، - وأولاد هنين جلول السايح، - وأولاد بورزق جلول السايح، - وأولاد سعداوي جلول السايح، - وأولاد الواقف، - وأولاد لزهر،

*وفيها الشيخ هنين جلول

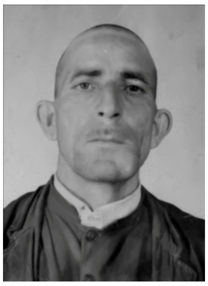

سايح عبد القادر ابن سيدي قدور، الذي تولى في سنين التعليم القرآني بالمسجد العتيق من قرية اسوايحية، متطوعا في سبيل الله لا يطلب أجرا من أحد، وهي صفات كانت له بدافع من التقرب إلى الله من غير تباهي ولا تفاخر من جهة، ومن حبه للقرآن الكريم الذي كان فيه أشد تأثيرا على الناس بحكم أخلاقيته القرآنية، التي باتت متغلغلة في أعماقه، في كثير من أبعاده الدينية والروحية، ولعل ذلك راجع إلى تأثره بشيخه الفاضل، (سيدي احمد الغالمي) رحمه الله الذي جمع القرآن على يديه بمسجده بدوار الكحايلية، جمعا مطبوعا بطابع الحفظ الجيد الذي يتلوه صاحبه عن ظهر قلب، حتى بات الناس فيه يكبرونه ويقدرونه مقدار ثقته بنفسه، حتى وفاته رحمه الله من عام 1978، وهو من مواليد عام 1927 للميلاد بأرض القعدة من دوار اسوايحية،

*وفيها الشيخ بن موسى محمد

ابن محمد الذي كان ممن أخذت به همته في التقرب من أهل القرآن وحفظته بدءا من قريته بـ : (اسوايحية) التي تفتحت فيها آفاقه بدافع من حبه للقرآن الكريم حتى بات فيها من حفظته، حفظا أهله للالتحاق بإحدى الكتاتيب القرآنية ممن اشتهرت بكثير من التعليم والتلقين يومئذ، من أرض المغرب من مدينة وجدة، غير أنه وجد نفسه فيها متفوقا على كثير من أقرانه المستجدين منهم والحفظة المقيمين، ما جعله يعمل على استدارك الكثير من أسراره من حيث ما اشتهر به شيوخه من القراءات، وأمور أخرى من التي تيسرت له الإلمام بها حفظا درسا وتحصيلا، حتى بات فيها شيخا فاضلا ملما بكثير من أسرار القرآن وعلومه، توفي رحمه الله عام 1997 وهو من مواليد 1914 للميلاد بقرية اسوايحية من أرض القعدة،

وفيها الشيخ لحول محمد

بن أحمد بن سيدي الحاج ولد سيدي قدور ولد أحمد، الذي أخذ تعليمه الديني والتربوي وحفظ القرآن الكريم على يد والده الشيخ الفقيه أحمد بن سيدي الحاج رحمه الله، على نمط ما أوحى إليها مجتمعه البدوي يومئذ الذي نشأ فيه، في ظل تماسك عائلي أصيل، بملء صفاته الحميدة التي كان فيها أشد أثرا، وأوسع نطاقا خلقا وأخلاقا، حيث لا زال خبره يشيع في الناس وتتناقله الأجيال، وبخاصة منهم أولائك الذين جمعوا على يديه حفظ القرآن الكريم في جامع كان له بقرية اسوايحية ،

وقد سار هذا الشيخ السيد لحول محمد على خطى والده رحمه الله، من حيث الخصال الحميدة وطابع ثقافته الاجتماعية، حتى وفاته رحمه الله من عام 2002 للميلاد وهو من مواليد عام 1917 بأرض القعدة من بقرية اسوايحية ،

*وفيها الشيخ بن موسى بشيخ

ابن عبد القادر، الذي نشأ وترعرع بقريته المعروفة بـ : السوايحية من أرض القعدة، التي أتم فيها حفظ القرآن الكريم في سن مبكر، على يد شيوخ كانوا له بالمسجد العتيق، كونه كان أشد أهل القرآن حفظا ونباهةَ بيئةٍ لأرض السوايحية التي تفوق فيها على عدد غير قليل من أقارنه من مريدي حملة كتاب الله يومئذ،

انتقل به والده رحمه الله إلى دوار الشوايخة، الذي ظفر فيه بحفظ القرآن الكريم، حيث لا زال يروى عنه كل ما وعى صدره عنه وأحاط به حفظه على يد شيخه الفاضل (سيدي عبد السلام المغربي) الذي شحذ ملكاته وصقل مواهبه القرآنية، حتى كان ذكره فيه بين الناس موضع إعجاب وتقدير، وهو من مواليد 1935 للميلاد، بقرية السوايحية من أرض القعدة،

***وفيها الشيخ محمد بن موسى**

بن محمد صغير بن عبد القادر ولد الحاج، الذي أخذ من الحياة في شرخ صباه وأيام شبابه بكل ما أخذه به أمثاله من شباب القرية، من تعلم للقراءة والكتابة وحفظ للقرآن الكريم على يد شيوخ القرية من الذين كانوا على قدر كبير من التقدير والاحترام لأهاليها وأناسيها من محبي أهل القرآن وتعليم علومه،

لقد أهله حفظه للقرآن الكريم الالتحاف بإحدى بيوتاته من أرض المغرب، بدوار ازمامرة بضواحي أحفير من عمالة وجدة، حيث كان فيه (الشيخ سيدي عبد السلام بن سيدي احمد سلماني رحمه الله)، الذي أشاد به على أنه كان يحسن تعدد الروايات بكثير من أسباب النازل الواحد من القرآن الكريم من حيث وجوه الاتفاق والاختلاف، وتيسير قراءته على الناس هكذا، وهو من مواليد 1939 بقرية السوايحية من أرض القعدة،

*وفيها الشيخ الواقف عزيز

ولد منقور بن محمد ولد الطيب ولد الحاج محي الدين، الذي هو الآخر أتم جمع القرآن بقرية اسوايحية بمسجدها العتيق، ولكنه ظل يؤثر النفس لإتمامه على يد شيوخ في علو قدر وسمو منزلة ، في حفظ وتواتر إسناد، قراءة وتلاوة، فانتقلت به رغبته إلى مدينة سعيدة، حيث الشيخ الحاج الميلود الزلازلي الذي كان أشد الناس حفظا للقرآن الكريم وأكثرهم تنويرا وتشديدا للرسم القرآني من حيث إخراج الحروف الحركات والتنوين والتشديد والسكون وما إلى ذلك،

ونظرا لما كان عليه هذا الشيخ الطموح من نصيب غير قليل من المثابرة والاجتهاد، استطاع من خلالها بطريقة أو بأخرى أن يتقرب من دور الثقافة والتربية والتكوين مستعينا بكل ما يفيده منها سعيا وراء ما ينشده من طلب العلم،

وبتوفيق من الله ثبت نفسه تثبيتا سائغا مقبولا عند الناس، كخطيب منافس لأهل المنابر ممن أخذوا تعليمهم في أماكن متخصصة لذلك، وهو الآن يقوم مقام الإمامة بمسجد بقرية (اسوايحية) التي هي مكان موالده من عام 1970 للميلاد من أرض القعدة، حيث لا يزال فيها طالب علم وإمام جمعة وللصلوات الخمس كذلك حتى اليوم من عام 2020 للميلاد،

*وفيها الشيخ هنين جلول

سايح أحمد بن حاج من دشرة الكوارة ـ السوايحية ـ بأرض القعدة، الذي لا زال يعد فيها من قلائل شيوخ عصره من أرض القعدة، ممن ضربوا نطاقهم في كثير من أماكن العلم والدرس والتحصيل، حيث نراه يخرج مبكرا بعد حفظه للقرآن الكريم بمسقط رأسه من دشرة الكوارة، في طلب العلم ومعرفة علومه، وقد توغل تأثيره في أعماق نفسه تدريجيا حسبما كانت تقتضيه طبيعة تفكيره يومئذ، ما جعله يختلف إليه من مدينة إلى أخرى حسب اختلاف ظروفه الاجتماعية والإنسانية التي ظلت تميل به إلى أخذ حاجته المتنوعة من علوم اللغة والشريعة وأصول الدين على النمط القديم الذي بلغ به أشده، بدءا بالشيخ سيدي الحاج ادريس بوشنتوف رحمه الله الذي كانت أيامه زاهرة بعلوم اللغة والدين بأرض القعدة من قرية السوايحية، في مسجد اتسع به علمه وجاهه وبعد به صيته، ثم على يد الشيخ الفاضل سيدي أحمد الغالمي رحمه الله بمدينة بوفاطيس من أرض وهران، لينتقل بعدها إلى حظيرة فاس الإسلامية من أرض المغرب الأقصى الذي كان عنده موضع إعجاب وتقدير لما وجد فيها من شيوخ كانوا له أنبه شأنا وأعلى قدرا وأيسر ذكرا من أن يعرف بهم معرف، ومن أشهرهم ذكرا عنده الشيخ محمد التازعوتي الذي كان علما من أعلام جامع القرويين من أرض فاس، التي كانت عنده خاتمة المطاف طلبا للعلم، حيث نال من هذه العالم التاريخية الدينية مكانته العلمية، وسمعته الحسنة الطيبة بين أهل العلم ومريديه،

التي بات فيها من أكثر الناس سيرا مع أهل العلم، في خطاب ديني، أو درس تربوي، والأقدر على التكيف للثقافة العربية الإسلامية العالية السند،

تولى الإمامة في إحدى مساجد الوطن بمدينة بوفاطيس من أرض وهران عن ثلاثة عقود من الزمن ما يزيد، حيث كان فيها الأكثر اتساعا مخاطبة للجمهور، درسا ووعظا وإرشادا، وهو من ميلاده من عام 1923 للميلاد،

*وفيها الشيخ بوكراع جلول

سايح قدور ابن محمد، الذي نشأ وترعرع وتعلم القراءة والكتابة وحفظ أوليات الصور من كتاب الله، بقريته المعروفة بـ: السوايحية من أرض القعدة، على يد شيوخ من أهل القرآن وحملته، من الذين رزقها الله بهم حظا كبيرا من رفعة المنزلة وذيوع الشهرة،

لقد كان هذا الشيخ رحمه الله فيها، من ذوي الأصالة وجودة السليقة، ما جعله يكون بين من ورثوا حفظ القرآن الكريم على يد شيخ مطبوع بالعفاف والطهر، وحتى ينال الإجازة في حفظ القرآن لا بد له من الانتقال إلى أماكنه البعيدة، حيث يدرك سره على يد شيوخ أكرمهم الله بشيء غير قليل من أسرار القرآن والسمعة الطيبة خلقا وأخلاقا،

ما جعل هذا الشيخ رحمه الله أكثر شغفا وأحسن وفاء في اقتفاء هذا الآثار بحثا عن فضل ممدود وإجادة حفظ، وقد أصاب من كل ذلك حظا وافرا بما أخذه

عبر مساجد كتاب الله في كثير من مواطنها، فمن مدينة مغنية بأرض تلمسان، إلى عين الأربعاء بأرض تموشنت، إلى مدينة سيدي بالعباس، كل هذه المعالم القرآنية وغيرها كثير ممن وقف عندها كانت له عونا في حفظ القرآن الكريم حفظا جيدا، جعل منه أن يكون معلما مربيا معروفا بالكفاءة القرآنية في شؤون العليم، حيث قضى فيه سنوات وفاء وإخلاصا وشدة الاعتداد بالنفس حتى انتقاله إلى جوار ربه رحمه الله من عام 1997، وهو من مواليد 1920 بالسوايحية من أرض القعدة،

*وفيها الشيخ لزهر حاج

ابن المنقور ابن محمد، في نسب يعلوا به إلى أرض آبائه وأجداده من وليها الصالح بقرية ـ السوليحية ـ بأرض القعدة، وهو ممن أخذ تعليمه الأولي بها على يد معلم كريم فاضل، الذي كان يتولى تعليم الصبية القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم بمسجدها العتيق يومئذ، المعروف بكفاءته التعليمية والتربوية ة، حتى عُدَّ فيها من القلة الأفذاذ، من الذين لم يتاجروا بتعليمهم للقرآن الكريم، ولم يتطلعوا إلى منافعهم الخاصة من وراء كل جهد تربوي تعليمي، ولم يعمل ذلك إلا براءة لذمته وإراحة لضميره، هكذا كانت لنا هذه الرواية عن هذا الشيخ رحمه الله زمن عهده التعليمي بهذه الديار من أرض السوايحية،

فعلى يد هذا الشيخ رحمه الله تلقى السيد لزهر حاج، الكثير من المحاسن والفضائل ونزاهة الخلق، من التي كانت كلها تنطوي عند شيخه رحمه الله على فوائد علم في توجيه وتربية ودين، ونظرا لما كان عليه السيد (لزهر حاج) من تفح عقلي أصيل الذي قارب فيه أهل الحفظ والدرس والتحصيل، من أقارنه وبني عمومته وأهل بيته، ما جعل يشد الرحال إلى أماكن أهل العلم من بيوتات الله، فاختار منها ما شاع ذكرها وذاعت شهرتها بين طلاب العلم ومريديه، في كثير من التداول من حيث الدرس الديني والتهذيب الخلقي، المتواجدة (باجزمير من ولاية آدرار من أرض الجزائر) وهي مدرسة دينية لا يقلل من شأنها ولا يهون من أمرها درسا وتحصيلا، محمودة المكارم، عظيمة القيمة، حتى تمكن من السعي والحصول على المبتغى، ليعود إلى قريته التي بها نشأ وتعلم وتأدب، في فضل من أهل القرآن، الذي أدرك أنها لا تزال في حاجة ماسة إلى مدرسة قرآنية، فاختارها مكانا لتوجيهي الديني والتربوي ليفتح بها لنفسه كتابا بطلب من اهلها، حيث لا زال به وإلى اليوم يتعهد أطفال القرية وصبيتها وشبابها، تعليم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، أعانه الله وسدد خطاه خدمة لكتاب الله، ليكون بذلك قد أدى ما علي من واجب لا زالت ترتبط به أيامه ارتباطا وثيقا، وهو بذلك يكون قد أفلح في تلبية حاجات أهل قريته التي بات فيها موضع حب واحترام وتقدير، وهو من مواليد 1974 للميلاد بوهران،

***دوار أولاد سيدي اعمر[256]**

[256] أنظر ص: 167 وما بعدها من هذا التأليف،

ومن البيوتات التي طالعتنا عن ذكر حالها بهذه الديار، مما أبقاها ناطقة في نسبة لشيخها الفاضل، الشريف الأرومة، العالم العارف بالله، سيدي اعمر لكحل رحمه الله،

وفيها من التسامي مما لا تقل أو تكثر، هجرة وتجاورا في غير مصاهرة ولا أبناء عمومة إلا ما قل، وبطول زمن التأمت بهم الحياة اندماجا في عادات وتقاليد، مع ساكنيها الأوائل، وهم قلة قليلة ، ونظرا لعدم تمكني من التقرب إلى مآثرها صعب علي تحديد الأقرب منها أصولا وفروعا، لوليها الصالح سيدي اعمر لكحل، الذي كان بحق من أقطاب آل امهاجة علما وجاها،

وهي قرية متنوعة الأعراف، لما اجتمع إليها من أناس في سالف أعوام، إدراكا ولحاقا، وراموا البقاء فيها نزولا واستقرارا، حتى بات الأمر فيها إلا كذلك محسوبا، وقد بلغ بها الاختلاط ألتجاوري أقصاه، وليس لنا في أمر تعدادهم خبر إلا ما شذ، وقد غلب علي بعضهم الغموض، وقلت روايتهم بين الناس، ولكنهم وبطول زمن أخذوا بعدهم الاجتماعي في صحبة وأولاد وأصهار وأتباع، والتأموا فيما بينهم في كيانات دفنوا فيها أصواتهم الحقيقية بعد فترة من الانقطاع والنضوب والضياع في غربة فقدوا فيها أحاسيسهم نحو أرض كانت لهم يوما يوم ميلاد ونشأة، وباتوا يجهلون الكثير من الحقائق من التي كانت تمثله عند الكثير من البيوتات القبلية منها والأسرية، غاية أخوية نظل أغراضها مقبولة بمفاهيمها الاجتماعية ،

ولكننا وبحكم عملنا العلمي ووجودنا على هذه الأرض التي عشنا أيامها في نشأ وتربية وتكوين، أننا لم نشهد لها ذكرا عند أهل القرآن من الذين كانوا على قدر كبير من التأثير والتأثر في الناس، وهذا ليس استنقاصا من قيمتها فيكفيها

فضلا شيخها الفاضل سيدي اعمر رحمه الله، ومن بيوتاته، الشيخ ماحي باهي اعمر، الذي ينتهي به نسبه إلى سيدي اعمر الولي الصالح،

وقد أخذت هذه البيوتات وبطول زمن بعدا بات شائعا فيها في أولاد وأصهار وأتباع، في كثير من التقارب والتماسك استحقت بها الكثير من الثناء والتقدير، وهي قرية كثر فيها الغريب، وغلب عليها الغموض، وقلت روايتها بين الناس، لولا ما كان عليه شيخها الناسك الورع الصالح رحمه الله،

وفيه السيد/ قدور ماحي باهي

ولد ماحي ولد باهي ولد اعمر ولد الحبيب، الذي كان من أفاضل الناس وعيا وإدراكا في حسن حال وسمو منزلة، ونظرا لما كان عليه والده الشيخ ماحي باهي رحمه الله من صفات مختلفة من الحياة، بعضها ديني ثقافي، وبعضها الآخر شخصي اجتماعي وإنساني، ما جعل ابنه السيد قدور أن يكتسب منه تطلعاته الوطنية وثقافته الاجتماعية، التي كانت له يومئذ في أدب من الحياة الاجتماعية التي رافقت أيامه الأولى في هذه القرية، وما إن راهق أو كاد انتقل به والده السيد ماحي باهي رحمه الله، إلى حاضرة وهران وهو بعد لا يزال شابا يانعا لا يعرف من الحياة إلا زينتها، ولا من الدنيا إلا ما كان له فيها من سلوك حسنة وأخلاق كريمة، وهو كما تراه في هيئة أنيقة متحليا بطربوش وربطة عنق، كان فيها مهيب الطلعة ما يجعلك تستخرج من ناظره الإكبار والإجلال،

ووسط هذا الجو الذي لا زال يعجبه ويروقه لما وجد فيها من رجالات علم وحضارة في فكر وثقافة، بعيدا عن البادية ومحيطها الاجتماعي المنغلق على نفسه بكثير من العادات والتقاليد، فأخذ يتقرب من أماكن العلم والثقافة ومجالس العلم والدرس والتربية والتكوين، حتى وهبه الله سبحانه وتعالى خلالها الطيبة ومزاياها الرفيعة، يأتي في مقدمة هؤلاء الشيوخ الكبار، ممن كانوا له أفقا في كثير من متاع الحياة، دينا ووطنية سلكا وأخلاقا، فيهم الشيخ الجموسي، والشيخ بوكرسي محمد السحنوني، والشيخ الطيب المهاجي رحمه الله وآخرون ممن كانوا يكونون الروح الدينية والثقافية والوطنية بأرض الجزائر ووهران بخاصة، من حيث ما كانوا عليه من عمل في الدعوة إلى النهضة الفكرية الدينية والثقافية والوطنية، ما جعله يدخل في علم ثقافاتهم ويتعلم مفاتيها على أيديهم، وبخاصة ما كان منها في مناهضة الاستعمار الفرنسي والدعوة إلى التخلص من كابوسه الذي لا زال يسلبهم أرضهم ووطنهم وحريتهم واستقلالهم،

ونظرا لما كان عليه المجتمع يومئذ، من تخلف تعليمي وجهل مطبق، وما تركه الاحتلال العثماني من ترصبات فكرية وثقافية، أو كتلك التي أتي بها الاستعمار الفرنسي من التي باتت هي الأخرى لا تخلو من تأثير اجتماعي كاد أن ينسينا الكثير من عاداتنا وتقاليدنا العربية الإسلامية البدوية الأصيلة،

ووسط كل ذلك لا يزال هذا الرجل السيد (قدور) محافظا على مكانته الاجتماعية طيلة تواجده على أرض وهران، إلى جانب رجالات وطنيين مخلصين من الذين كانوا أهل صلاح وفلاح وشجاعة وإقدام، لا يخافون في الله لومة لائم، لما تركوه من وقع جميل في المجتمع يومئذ، وتاريخا لا زال يلبسهم لباس الإخلاص للوطن في كثير مما قدموه من تربية وتكوين ووعي وإدراك ونشاط

إنساني، وكانت وفاته رحمه الله عام 1947 للميلاد وهو من مواليد عام 1904 رحمه الله،

وقد ترك السيد قدور رحمه الله، خلفة طيبة واصلت مسيرته في حسن تربية وتنشئة على أفضل وجه، ويأتي في مقدمتهم كبير أنجاله السيد عبد (الحميد) الذي نشأ في ظل والده نشأة صالحة لكنها لم تعمر معه طويلا ليحول بينهما القدر في فقدانه لوالده رحمه الله من عام 1949 للميلاد، وهو بعد طفلا يعيش لغة مكسورة، في حياة بريئة لم تكن له فيها الحرية في قبول ما يقبل ورفض ما يرفض، في غير صلابة عود ولا قوة جلد، ولا قدرة على بلوغ الشأو البعيد كما كان يريده له والده رحمه الله، لكنه وللبيت الذي نشأ فيه وبذر بذرته الأولى للحياة ، وللتربية التي عاش فيها، وللجو الذي لا زال يعاكسه أو يميه وفقا لقضاء الله وقدره، كل ذلك وغيره كثير كان له الأثر الكبير على حياته الثقافية والفكرية،

لقد واصل هذا الابن تعليمه لكنه على غير منهج والده، في مدارس فرنسية لا عهد للجزائر بها حيث كانت له كبديل لتلك الكتاتيب القرآنية التي كانت فيها الجزائر أمة عربية إسلامية واحدة موحدة،

وفيه السيد عبد الحميد ماحي باهي[257]،

257 أنظر (كتاب تاريخ امهاجة بين المدلول اللغوي والرسوخ الجغرافي والامتداد التاريخي) ص: 126 وما بعدها، طبع ديوان المطبوعات الجامعية، 1422 هـ 2002 مـ

ابن قدور بن ماحي بن باهي بن اعمر بن الحبيب، الذي ورث عن والده ثقافته الوطنية وتربيته الدينية، وقد حمله والده صغيرا تحفيظ القرآن الكريم بإحدى الكتاتيب القرآنية الشهيرة بشيخها الفاضل من أرض وهران بالحي العتيق المعروف بـ (المدينة الجديدة) الذي رزقه الله سر القرآن وبركته، حيث تربى فيه تربية دينية آخذا منه ثقافته العربية من نحو وصرف ولغة وأدب ودين، حتى بات للقرآن قارئا مجيدا، وللعربية طلق اللسان في نطق وسلامة بيان، وتلك كانت رغبة والده رحمه الله، بأن تكون له منزلة بكثير من العلوم العربية وقراءة القرآن والحديث النبوي الشريف، وقد بات فيها بحق وهو في سن لا تؤهله للإلمام بهذه المعارف، يتوافر على ثقافة شرعية غير قليلة، وعصرية لم يبلغ فيها استقلاله وحريته في التفكير بها أو التعبير عنها ،

ونظرا لهذه التربية الدينية التي باتت تتقارب فيها حياته الاجتماعية في وعي ووطنية، وإدراك ثقافي جعلت منه أن يشعر يوما بثقل المهمة التي باتت تشغل باله وجميع أبناء هذا الوطن من المخلصين الطيبين، باختلاف نظراتهم بين ميل للحياة كشباب قنع، وكره للاستعمار وهي أمور ظل يختزنها في نفسه مؤثرة في تفكيره، مستحضرا فيها تاريخ عظام رجالات هذا الوطن من الذين كانوا أكثر الناس سيرا مع أهل العلم والثقافة الوطنية، ، ما جعله يلبس عندهم من الشجاعة والانتصار لوطنه حتى ولو أوذي في سبيله، وقد مهد له ذلك السبيل إلى سعة اختيار وكثير تجارب حتى تكونت لديه قناعة في الانضمام إلى الثورة التحريرية

الكبرى من عام 1954 للميلاد حيث كان فيها حاملا لواء الجهاد والمقاومة طيلة سنواتها العجاف، وقد رزقه الله من الحياة وطول العمر حتى شهد يوم الحرية والاستقلال من عام1962 للميلاد،

ولكنه عاد من جديد باحثا عما يلائمه من الدرس والتحصيل ما يرضي به نهمه العقلي الشديد بعد أن منحته رتبته الجهادية وظائف متعددة، منها العمل في سلك القضاء لسنوات، ومنها العمل السياسي داخل حزب جبهة التحرير الوطني، التي كان يرى فيه صحة كل ما يؤمن به منهجا دينا ووطنا، حتى اكتوى بنيرانه نظرا لما يحمله من مبادئ وقيم عربية بدوية أصيلة، لا يهزها صراع ثقافي ولا تفاعل سياسي أو اجتماعي، وأنعم بجنانها كما كان لغيره ممن استساغها أو انتصر إليها، آخرها توليه رئاسة وزارة العدل من عام 1992 للميلاد غداة حكم السيد الرئيس بوضياف رحمه الله إلى حين، نتيجة إخلاصه الذي كان فيه الأكثر التزاما ووفاء بقوته ومروءته التي لا تجعل منه غير ذلك،

ولعلني لا أبالغ إن قلت أن له من الإلمام بكثير من الثقافة العربية الإسلامية، الوطنية منها والعالمية، بحكم ما يحمله من واسع معرفة واطلاع، لما له في كل منها من قراءات تختلف عنده بكثير من التحليل والتعليل جراء ما يحيط بهذه الظاهرة أو تلك من ظروف تاريخية أو اجتماعية أو سياسات مختلفة، ولا حاجة إلى القول بأن مثل هذا التعليل والتحليل ذهب زمانه أو كاد، نظرا لما أصبحت عليه الثقافة اليوم من الاهتمام بمطالب الحياة المادية الخالية من أي روح فكرية كانت أم أبعاد أخرى ممن يجرى الفكر مجراها،

وللحقيقة أقول فإن لي مع هذا الرجل الذي لا يخلو من وجاهة فكرية ووطنية، لقاء في تأليف كنت في جمع مادته ساعتها محايدا أمينا، رغم أنني ورجالات كانوا لنا سندا وأنصارا لكثير من عوالمه السياسية والوطنية من التي

كانت لنا فيها الكثير من التنافس والتحاسد وكثير من التملق في مجاملة زائدة وعلاقات اجتماعية زائفة ليس إلا،

ثم نائبا في مجلس الأمة الذي هو أعلى سلطة في الهرم السياسي للدولة الجزائرية الحديثة، وقد كان له ذلك في عهدتين زمنيتين متباعدتين، عاشها في طول مران وممارسة، وبكثير من منحاها الفكري والثقافية والاجتماعية، وقد قضى فيها من الحياة أصحها وأسلمها، متعه الله بالصحة وأطال عمره، وهو من مواليد 1940 للميلاد، وفيها أولاد بويكن باهي اعمر، وأولاد بالزوجي، وأولاد بالجنة، وأولاد حنيفي اعمر، وأولاد كاتب الهاشمي اعمر، وأولاد ضرباني بالجنة، وأولاد خطاط، وأولا لكحل بوهادي، الذي ينتهي إليه نسب الأستاذ الفاضل المعروف بـ :

(المختار لكحل بوهادي) رحمه الله،

عمر ولد بن اعمر صغير، من مواليد 1949 للميلاد بأرض القعدة، الذي ينتمي في نسبه حسبا ونسبا إلى الولي الصالح سيدي اعمر لكحل رحمه الله، وقد أتاه الله منذ طفولته من سلامة الفطرة، ما جعله يحصل على شهادة البكالوريا أو ما تسمى بشهادة (الثانوية العامة) بعد أن تدرج بمراحلتيها الابتدائي والمتوسط في سن مبكر، ونظرا لطموحه العلمي شد الرحال إلى فرنسا في ظروف جد قاصية، في مغامرة منه إلى مجهول مبهم غامض، وهو شاب لم يسبق له أن غاب يوما عن والديه، خاوي الجراب وليس له من

الزاد ما يؤهله لشق طريق لا يسلكه إلا من كان ذا مال أو جاه أو سابق معرفة، وتلك كانت مزيته رحمه الله التي تبعث على الإعجاب وتستوجب الثناء والتقدير،

وقد وفقه الله سبحانه وتعالى في أول خطوة كانت له بأرض المهجر، في عمل ليس من السهولة أن يقف عليه غيره، الذي استطاع أن يؤدي به واجبه في كثير من حاجاته اليومية، ليدرك ساعتها بأن الحياة بحق عبء على كاهل الإنسان ومحنة له، حيث وجدها تختلف في نواحي كثيرة من حيث العادات والتقاليد والدين[258]، عن مسقط رأسه ومولد نشأته الذي لا يزال يؤمن به كل الإيمان، يفخر به عند كل حديث، ويدافع عنه ويغضب للنيل منه أو الإساءة إليه، وقد كان منه ذلك بسبب تأثره الشديد بما كان عليه محيطه الاجتماعي المليء بالكرم والخلق القويم، والصدق والمودة،

إلى أن بات يحمل حياة رجل كامل الحقوق والواجبات في أرض المهجر، بعد أن تهيأت له كل الفرص المادية منها والمعنوية، ليلتحق بإحدى جامعاتها العلمية رغبة منه في الحصول على شهادة تكسبه قيمة علمية إلى قيمته وخطرا إلى خطره الأخلاقي الديني والاجتماعي، حيث التحق بكلية العلوم الاقتصادية بجامعة السوريون، فنال منها بعد سنوات من الدرس والتحصيل شهادتي اللساني والدكتوراه من الدرجة الثانية، وقد تعهده أحد أساتذته بجميل الرعاية والتشجيع، حيث شد على يده في التتبع والتفكير والإنتاج العلمي، حتى بات من الباحثين المجدين، يتنافس وكُتَّاب المقالات والبحوث والدراسات، ويتسابق مع أهل

[258] لقد كان لقائي معه أول مرة بوهران، بعد عودتي من أرض المشرق العربي حيث كنت ساعتها أمارس مهنة الأستاذية بجامعتها، حديثا تطرقنا فيه إلى كثير من معالم وهران الثقافية وخصائصها الاجتماعية، لنصل معا في النهاية إلى أن الحضارة الغربية معاكسة تماما للبداوة من التي كنا عليها في سنين بأرض القعدة، التي لم تتغير بعد في كثير من خصائصها،

الإنتاج الفكري العلمي المتطور، الذي بات يعيشه في ظل نهضة فكرية علمية ثقافية معاصرة في كثير من أبعادها، من التي نبغ فيها عدد كبير من أعاظم الكتاب والباحثين في كثير من العلوم الفكرية والثقافية[259] ، وبطول زمن في عمل وجد ومثابرة، بات له من المطبوع المتداول، العديد من البحوث والدراسات، منها قاموس للمصطلحات الاقتصادية الذي نال به السبق في هذا الميدان، وعددا غير قليل من البحوث ذات النظريات الاقتصادية الحديثة العلمية العالمية، من التي باتت بها أيامه مشرقة في ميادين العلم والفكر والتطور الثقافي والسياسي والاجتماعي،

وهو أحد أبناء القعدة الأفذاذ من الذين أضافوا إلى مجدها مجدا، وإلى فخرها فخرا، في العلم والمعرفة والثقافة والفكر والجاه، حتى اختاره الله سبحانه وتعالى لجواره في سن مبكر، من عام 2019 للميلاد رحمه الله وأحسن مثواه،

* دوار الحمايدة[260]

وهي أسرة من أسر أرض القعدة، من التي أخذت بعدها التاريخي، من شيخها الفاضل سيدي عبد الله الولي الصالح، غير أنها تفرعت على نفسها إلى فرعين كريمين، فرع يدعى بـ : (الحمايدة التحاته) وفرع يدعى بـ: (الحماية الفواقة) التي سارت سيرة جدها الفاضل سيدي عبد الله[261] رحمه الله وذلك بما أنشأته

[259] لقد كان رحمه الله أستاذا للعلوم الاقتصادية بإحدى المؤسسات التعليمية العليا بفرنسا، وقد ترك من الآثار كتبا ومعاجم باللغة الفرنسية ومؤلفات أخرى كثيرة كلها في مجال اختصاصه، كما خص أرض القعدة بمؤلف خاص بها ،

[260] أنظر ص: 341 وما بعدها من هذا التأليف،

[261] أنظر ص: 157 من هذا التأليف

لنفسها من بيت قرآني لتحفيظ القرآن الكريم الذي حافظت به على ما كان لها من خطى جدها رحمه الله الذي كان من أهل العلم والفضل والتقى،

وقد تقربت يوما إلي أحد من أحفاده رحمه الله، فمدني بهذا السجل العائلي الذي لا يناله خلاف ولا يتبعه شك، لما ورد فيه من الأسامي ما يقربهم إليه حسبا ونسبا، (فهو عدة بن عبد القادر ولد الهاشمي ولد عدة ولد الهاشمي ولد عبد الرحمن ولد محمد بن عبد الله، الذي تفرعت منه هذه الأسرة المعروفة بـ (الحمايدة بفرعيها) التي كان لها من التقارب ما جعلها تتوحد في لقب واحد لجدهم سيدي (عبد الله)،

ولعل هذا الانقسام الذي حصل لها، يعود في الأساس إلى الطبيعة العربية التي كانت تسعى إلى التوسع والانتشار من حيث تملكهم لهذه الأرض أو تلك من التي توافر لهم حياة كريمة في أرض خصبة في ماء وثمار وغلال، ليتخذوا منها دار أمل ورجاء، وغالبا ما يكون هذا التوسع والانتشار، إما بسبب إقصاء لأحد من أفرادها، أو لضيق المكان، أو من أشياء أخرى من التي موجبة للخلاف أو النزاع، وهي أمور كثيرة الوقوع في مثل هذه البيوتات ذات الأهل والأقارب وبني العمومة، وهم أناس عرفوا بكثير من الوقار لبعضهم البعض وللناس وبكثير من الطيبة والأخلاق يذكرون، ومن فروعها، - بن احمد، - الميلود بن احمد، - محمد بن احمد،

*دوار اسكارنة

وهي قرية لا زالت تجمعها أرض القعدة في كثير من أخبار وافدة، وروايات متناثرة هنا وهناك، من التي لا يجمعها دليل، ولا يمدها سند، ولا تتوافر على مادة تاريخية تمنحها خصوصيتها الاجتماعية، إلا ما كان منها عند القليل من عامتها ممن لا زالت تتوزعها عوامل كثيرة من التي أصابتها الأيام بكثير من

التحريف والتغيير، ولم أجد فيها من الكبير أو من الصغير، ما يمدني بأولياتها التاريخية، إلا ما كان لي من هذه المعلومات الأولية كهذه، من التي لا تكاد تستوجب النشر إلا من باب الذكر لها كأحد مكونات أرض القعدة ضمن أسرها وقراها،

وفيها من التسامي ما يدل على أنها تعود في أساسها إلى أب واحد ومن فروعها: ـ قليل بن قابو، ـ الفريح بن قابو، ـ بن عيسى بن قابو، وقد أصبح لها من الفروع من لا يزال يعيش على خطى أوائلها من حيث امتهانهم لزراعة الحبوب بشتى أنواعها وتربية المواشي، وفروق اجتماعية أخرى يصعب الخوض فيها لعدم تمكني من قراءتها قراءة نستدل بها على بداوتها من التي أعطتها أرض القعدة طابعها الاجتماعي،

* دوار ازوادره

وهي الأخرى قرية من قرى أرض القعدة، استوطنت أرضا على ناصية جبل مطل على كثير من البساتين والوديان والأنهر، مما يغلب على فجرها ضباب كثيف، ينتهي الامتداد به عند حدود أولاد سيدي الفريح المهاجي أرضا، ودوار الحمايدة مكانا، وهي أسرة تنتهي بها الرواية إلى أولاد القدادرة، حيث لا زالت هذه القرية تعيش أعماقها قربا وتواصلا، لما لهما من وجوه الشبه والتقارب،

وهي أسرة لا زالت تقل عددا إلى حين، نأت بنفسها عما تعارفت عليه قرى أرض القعدة من التفاخر والتنافس في العمل على تواجد كتاب أو بيت إلى جانب سكناها، يجمعها للصلاة أو لتعليم الصبية الكتابة والقراءة، الذي ما من

شأنه أن يقيد مآثرها، ويفخِّم شأنها بين الناس، ولعل ذلك راجع لأسباب نجهلها بحكم عاداتها وتقاليد التي هي بها أحق ،

ومن مكوناتها:ـ زيدور بقدور ـ وموصي ليس إلا[262]، ولا زالت هذه الأسرة تجمعها مظاهر كثيرة بقريتها الأم من أولاد القدادرة، التي لا زالت تتقارب معها في شتى المناسبات، مشاركة لها في أفراحها، مؤاسية لها في أحزانها وأتراحها، والله أعلم،

* دوار القدادرة[263]،

وهي قرية أخذت بعدها الاجتماعي من كبيرها السيد/ (بقدور)، الذي به تسمت بصدق ما كان عليه هذا الرجل من جاه ودين، على غرار من سكن هذه الديار من أرض القعدة وسار سيرة سلفها الصالح، في كثير من عادات وتقاليد وأعراف، وبما أسسته لنفسها من كتاتيب قرآني لتعليم صبيتها القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، حيث كانت هذه القرية كغيرها مما وجد تقرب بمسجدها، البعيد تاريخ أمجادها حفظا للقرآن الكريم وجمعا للصلوات الخمس، حتى بات لها من الخلفة الطيبة ما يحمل من الصفات الحميدة، وهو السيد/ الحبيب ـ (زعداني بقدور) بن العربي ولد محمد ولد بن عبد القادر ولد بقدور، الذي لا زلنا نجله ونقربه منا ودا ومحبة، لأخلاقه وآدابه التي بها تشابه مع جده رحمه الله المعروف بـ (اكبير الرأس) الذي عاشر عددا غير قليل من كبار آل امهاجة وعلمائها الأخيار، ما جعل هذا الاسم يتبعه في ظرف وفكاهة ليس إلا،

---

[262] وهي نسبة ألحقت بأحد أفرادها ممن التحق بهم،

[263] أنظر ص: 344 وما بعدها من هذا التأليف،

وقد ظلت هذه الخلقة الطيبة تقتفي آثار كبيرها المعروف بـ : (بقدور)، بكثير من حفظهم لكتاب الله، حتى أنهم باتوا من أهل القرآن شأنا، يجتمعون على آياته المحكمات، في موعظة وتشريع، وقد بات فيها من حفظة القرآن الكريم عددا محمودا، ومن فروعها: ـ أولا زغداني بن قدور، وأولاد زيدور بن قدور، وأولاد جريدي بن قدور، وأولاد بن قدور،

*دوار المخاشيش:

وهي إحدى القرى المكونات لأرض القعدة في كثير من أبعادها الاجتماعية من التي لا تنقطع دونها ولا تدرك، وقد جاءت الأقوال فيها على أبعد تأويل، محمولة تارة في كثير من سعة خبر، وغوامض أخرى مجهولة من التي ترمي بنا إلى كثير من الأعمال التي تكون التاريخ عادة، ولادة ووفاة، ومنها ما كان من باب وجود تداولها على سبيل الذكر، ومنها ما تهادته الآفاق حولها، في رضي جوار، واستيطان دار ودوار، وهي طبيعة اجتماعية يسلكها الناس في كل زمان ومكان، فالإنسان بوجه عام، يتأقلم مع غيره من الذي لا زال يقاسمه حياته في أخلاقية وعرفان، من التي يتيسر إدراكها لكل أحد من أفرادها، إلا ما شذ عن ذلك شذوذا،

وقد تقربت في غير ما مرة إلى من هو أحق بها شرفا ومكانة بغية الوصول إلى شيء ما يقربني من ذكر لمآثر ينابيعها الأولى، لكنه ابتعد عني في تسويف دون صد أو امتناع، عن تزويدي بأي شيء عنها يذكر، وبقي الحال عندي في الانتظار آملا أن يأتيني بخبر ما كان له في

دريس أو تلقين أو اكتساب أو ما ظلت تحمله له الأيام عنها في روايات وأخبار، حتى لا أستنطق منها عميق جذورها في غير دليل ولا بيان، إلى أن انقطع الأمل عندي بشيء من الرضي والاقتناع، بما ذكرت ودونت،

ومن طابع الحكمة عند أهل القرى أنهم يعيشون على كثير من روح التنافس والتباهي والتفاخر، فما تفعله هذه تجده عند الأخرى أبعد بكثير من حيث التفاعل الاجتماعي والتواصل الإنساني، وهو أمر طبيعي لا زال أهله يحملونه في أعماق نفوسهم كبقية من روح هذا التقارب في كثير من معاملة إنسانية ودين، ومن فروعها ـ أولاد بن عثمان بن اعمارة، ـ أولاد بن حمادي، ـ أولاد بن صولة،

*** دوار القواسم**

وهو من البيوتات من التي لم نجد لها امتدادا في أرض القعدة، إلا ما كان لها من أخبار عند كبيرها السيد (المنقور)[264] رحمه الله، الذي نال شهرة من حيث كفايته الشخصية من كرم ومروءة وخصال حميدة ، الذي هاجر قريته بعد وفاة والده السيد محمد الكبير من أرض القصر إلى أرض القعدة، التي رزقه الله بها من الذرية الصالحة، من التي كانت له يوما أصحابا وأتباعا، ما مكنه من الاستقرار بهذه الديار من أرض القعدة، التي كون لنفسه فيها كتابا لتعليم صبيته الكتابة والقراءة وتحفيظ القرآن الكريم الذي كان فيه شيخا فقيها حافظا رحمه الله، بعد أن سبق له التقرب من أحد ساكنيها الأوائل في مصاهرة كانت له في ذرية طيبة ومعاشرة حسنة،

***ـ وفيه الشيخ بخده**

---

[264] لقد كتبت لهذا الرجل الشهادة غداة الثورة التحريرية الكبرى من عام 1957 للميلاد،

صابر شويرف ولد المنقور ولد محمد الكبير ولد داود، من مواليد 1943 بالقعدة، حاملا لكتاب الله، الذي لم يتجاوز فيه حدود حفظه، وهو شيخ فاضل لا زال يعيش حدود ما أعطاه الله سبحانه وتعالي من ثقافة اجتماعية ذات طابع انساني شامل، من التي لا زال يصل بها نفسه مع أهل القرآن ومحيطه،

* وفيه من الحفظة لكتاب الله السيد صابر شويرف محمد ولد قدور من مواليد1937 للميلاد

* وفيه صابر شويرف منقور ولد محمد من مواليد 1951 للميلاد

وجميعهم إخوة ومن حملة كتاب الله، حيث لا يزالون يعيشون مضامين اجتماعية وبكثير من أخلاقية القرآن الكريم، الدينية والروحية، في سلامة فكر وحسن خلق،

* دوار الرمايسية

لقد كانت هذه القرية كغيرها من قرى أرض القعدة من التي أسهمت في تكوين الينابيع الأولى للثقافة العربية الإسلامية، عقيدة ودينا، بما أنشأته من (جامع) لتعليم الصبية الكتابة والقراءة وحفظ القرآن الكريم، حتى غدت عامرة بكثير من حفظة كتاب الله من أبنائها، وقد عاشت حياتها كأسرة واحدة موحدة يسودها التنشيط والتفاعل الاجتماعي في مختلف صوره ومظاهره، نتيجة ما هي

عليه من ملكة في الحفظ الذي كان لها استعدادا متواترا فطريا، ولها من الرجالات ممن كانوا صدرا في أعمال الخير، ويأتي في مقدمتهم السيد الفاضل الحاج البشير[265] بن عفان بن هارماس بن عبد القادر بن عواد رحمه الله، الذي عاش طيلة حياته مرافقا للعلماء محبا لأهله، سباقا للخير، عمارا لبيوتات الله، وفيها، عفان بن هارماس بن عبد القادر، وبن هارماس، ـ وحفان وبن هارماس،ـ والحادق بن هارماس،ـ وعسال بن هارماس، ـ وبن عبد الله بن هارماس، ولعل الكل من هذه الأسامي تعود في أصولها الأولى إلى مؤسسها السيد عواد الذي منحها أحقية هذه الألقاب والله أعلم، ومن مشايخها، *ـ بن عبد الله بن هرماس بن محمد بن عبد القادر من مواليد 1894 للميلاد، *ـ بن عبد الله بن هرماس بن ميلود بن محمد ولد مصطفى ولد محمد من مواليد 1869 للميلاد، *ـ بنرماس قدور ولد حمزة من مواليد 1921 للميلاد، *ـ بن عرماس بن عودة بن محمد من مواليد 1914 للميلاد، *ـ الحسين بن هرماس، *ـ حيتوف عبد القادر، ونظرا لجهلي بالكثير من سيرة شيوخها ، اتصلت ممن كانوا على صلة مباشرة بهؤلاء الشيوخ، وبالرغم ما أمدني به البعض منهم من عهد في تزويدي بأخبارهم أو ما يقربني من أعمالهم قدر الإمكان، لكن شيئا من ذلك لم يتحقق، وكلي أمل أن يكون لي ذلك قبل طبع هذا الكتاب، حتى يكون لهم ذكر عند الأجيال والله الموفق،

* دوار اضيايات

وهي قرية تتقاسم في إعمالها الكثير مع قرية الحمايدة التي لا تبعد عنها إلا بحدود ما تسمح به مسافة الجار لجاره، نظرا لما يجمعها بالكثير من أطرافها، وهي اقرب

---

[265] أنظر كتاب(الشيخ الطيب المهاجي وجهوده العلمية ص: 81 وما بعدها، طبع ديوان المطبوعات الجامعية وهران، 1418 هـ 1998 للميلاد،

إلى أسرة واحدة لا تتجزأ ، تعود في أساسها إلى جدهم سيدي عدة بن اضية رحمه الله، والذي تسمت به باسمه ومكانا، ومن مكوناتها،*ـ سي محمد بن اضيه *ـ سي بوزيان بن اضية، *ـ سي احمد با اضية، * ـ سي عده بن عبد الله بن اضيه، *ـ سي محمد بن عبد الله بن اضيه

وقد عاشت هذه القرية هادئة بعيدة عن كل شبهة تدينها أو عمل يشينها، كونها تتكون من أسرة ظل التآلف بينها ميسورا، لا تنافظ في الرأي لاي سبب كان، ثبتت به نفسها عند أهل القرآن الكريم، ببنائها كتابا لتعليم صبياها القراءة والكتابة، وأداء الصلاة كغيرها مما وجد من قرى أرض القعدة، الذي به استطاعت أن تنال مقاما اجتماعيا عزيزة النفس،

* دوار اللحاسنة:

وهي قرية من قرى أرض القعدة تباعدت بها ديارها بعد سنين من المحية في تقارب وتآلف ضمن أسر وبيوتات من التي ظلت تعيش معها قائمة في معاملة ودين، إلى أن أخذت بها الحياة تميل إلى التباعد والتنافر في كثير من عصبية ونزعات طائفية، ظلت تنمو عندها وبكثير من الحقد والتباغض ما اضطر كبيرها السيد/ نحال بوضربة ولد الحاج لحسن بن محمد ولد لحسن ولد عمر ولد بوضربة ، وهو من مواليد 1829 للميلاد، إلى النأي بنفسه وبنيه إلى مكان يجد فيه راحته وأمنه واستقراره، وقد تخلى عن أرض كانت لآبائه وأجداده ملكا في سنين، لا ينازعه عليها أحد، في موقع جغرافي ارتبط تاريخه به ارتباطا وثيقا، ليرحل عنها طواعية بيعا، ليبدلها بأرض باتت له ولبنيه ركيزة اجتماعية واصل بها كيانه الاجتماعي والإنساني، بلا قيود أو حدود، في أوسع حياة وأبسط عيش، وسط واقع بدوي أصل، يكاد يخلوا من كل غلظة أو تطرف وعنف، تسوده رابطة التآلف والتعايش، وقد قيض الله له من الأسباب ما جعله يشتري أرضا

ليقيم عليها دارا استطاع من خلالها التنفيس عن ضيق بات يعانيه بين أناس لم يشفع له عندهم، لا رابطة جوار ولا دين ولا معاملة، ومن بيوتاتها: ـ بن نوارة، ـ بوضربة بونوارة، ـ نحال بوضربة، ناصر بوضربة، ولكل واحد من هذه البيوتات لها من الخلف ما يمدد أصولها في حسب ونسب،

تنبيه

فإنه وللحقيقة أقول فإن اقتصاري على ذكري لهؤلاء الشيوخ لا يعني أن البحث عن البقية قد انقطع وولى العمل فيه، أو توقف لسبب أو لآخر، بل لا زال الأمل يحدوني وبكثير من العزيمة والإرادة، بأنه سيأتي يوم تفتح فيه أبوابه، ويرفع الغبن عن كثير ممن أصاب سيرتهم الغموض، وقلت رواية الناس لهم،

وقد سبق لي أن نبهت إلى ذلك مرارا في أبحاثي ومقالاتي وفي كثير من كتبي المطبوع والمنشور، وقلت : إن هذا العمل الذي أقدمه اليوم للقارئ الكريم عن أعلام هذه الديار من أرض القعدة، ما هو إلا جزء يسير من أعمال لا أزال أنا به قائم، بحثا عن موروثهم العلمي والتعليمي، من الذي لا أنشده لنفسي فحسب، بقدر ما أنشهده لقيمته التاريخية لهذه الديار، العظيمة الشأن الكبيرة المقام، التي كانت يوما تحمل غنيً واسعًا لمعارف كثيرة، فيها حفظ القرآن، وفيها أهل غريب اللغة العربية وآدابها، وفيها أهل علوم الشريعة وأصولها، وفيها كبار الأشراف من العلماء الأجلاء والشيوخ الكرام، حتى باتت في محيطها شيئا مذكورا،

وقد أحصيت فيها عددا غير قليل من مساجد دينية ثقافية تربوية، وكتاتيب قرآنية، ما يزيد عن العشرة أو أكثر من ذلك، ولا أظن أن أحدكم يجهل دور

هذا العدد الغير القليل من بيوتات الله، في نشر الوعي الثقافي الديني والاجتماعي بين الناس، والذي به أخذت القعدة أجمل انطباع عند أهل العلم ودور التربية والتكوين، وتركت أروع آثار في مثل هذا الموروث الثقافي وأهله،

وكلي أمل أن لا يبخل أحد علينا يوما، قدر ما يتوافر عليه من مادة تنسجم وحضور هذا العمل الذي لا زال ينشأ عنه نضوب مادة من التي لا زالت تسبب لنا ضعف هذا العمل أو ذاك، حتى يكون عملنا عملا علميا جادا في معالجة هذا الخبر أو الرواية أو ما شابهه، معالجة تعتمد على التوثيق والرؤيا والثبات، بعيدا عن تلك العواطف العجيبة، والاندفاعات الغريبة، والتأثيرات الاجتماعية ذات الخلاف والاختلاف من التي لا يضبطهم ضابط، من حيث ما هي عليه من حديث لا يزيد النص إلا ثقلا في الفهم، وركاكة في المعنى، كونه لا يستند لا إلى ضبط في صدق معلومات، ولا إلى نصائح من أهل العلم والمعرفة، باعتبار ما يرونه هم من أن الكل في بابه متعلم، والمتعلم في بابه طالب للعلم، ونسوا أن العلم نور ونور الله لا يهدى إلا لمن أكرمه الله به عزا وشرفا، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل،

المخطوطات

هذه مجموعة من الوثائق التاريخية من التي باتت تاريخا وحقيقة ثابتة لخير أمة تقدمت من شيوخ أفاضل وعلماء أجلاء ورجالاتها من الذين أعطوا قضايا عصرهم أبعادها الحقيقية في كثير من فنون العلم واللغة والشريعة والآداب، من

التي كانت لهم يومئذ من الأعمال الزاخرة بكثير من القيم الإنسانية الاجتماعية العلمية منها والدينية، من التي سأنطلق بها إلى غايتي في الجزء الثاني من هذا التأليف إن شاء الله ، انطلاق المهتدي إلى دروبه والعارف لما يريد منه بحثه والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل،

وهي كالآتي:

المجموعة (الأول) المسجلة تحت رقم: ك ، ت، م ، 1/ 36،

المجموعة (الثانية) المسجلة تحت رقم: ك، ت، ث ، 1/ 37

المجموعة (الثالثة) المسجلة تحت رقم: ك، ت، ث ، 1/ 38

المجموعة (الرابعة) المسجلة تحت رقم: ك، ت، ث ، 1/ 39

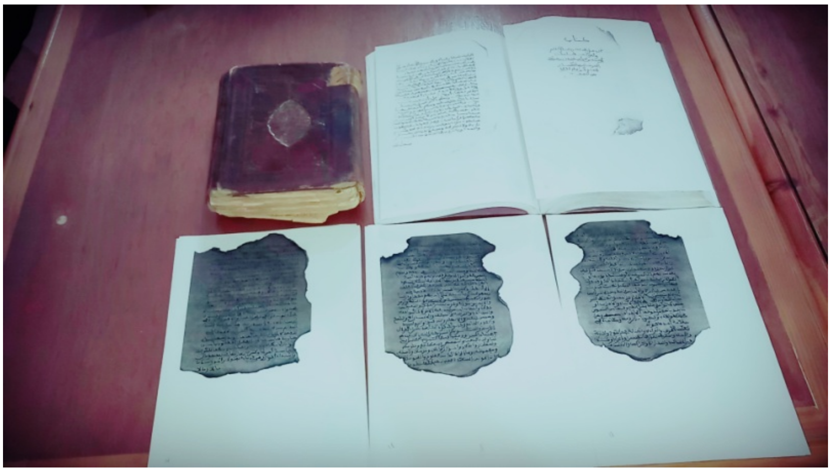

المجموعة (الخامسة) المسجلة تحت رقم: ك، ت، ث ، 1/ 40

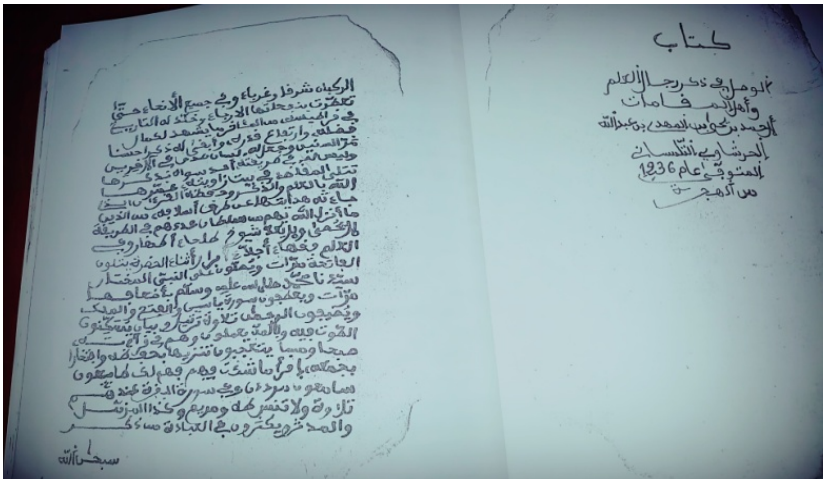

المجموعة (السادسة) المسجلة تحت رقم: ك، ت، ث ، 1/ 441

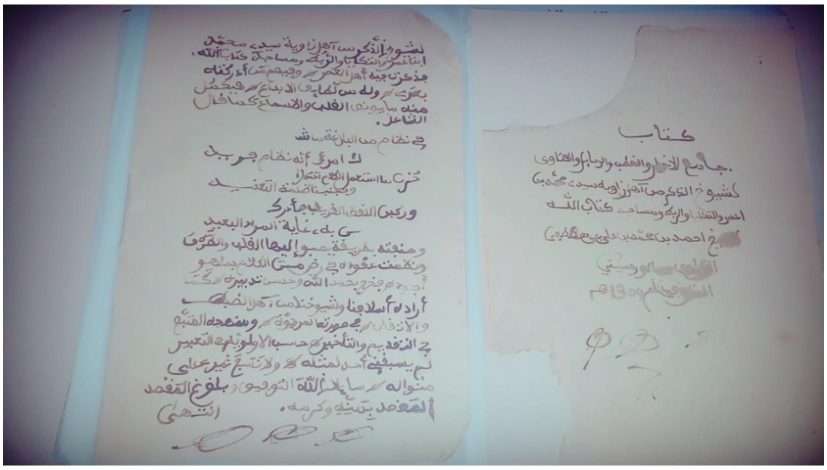

المجموعة (السابعة) المسجلة تحت رقم: ك، ت، ث ، 1/ 42

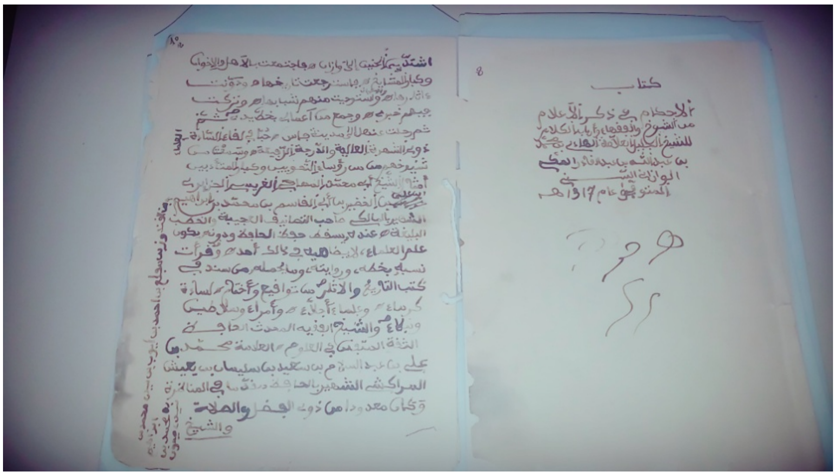

خاتمة الكتاب

لقد كان لي في هذا التأليف جملة أسباب، منها ما كان لي عن طريق ما امتلأ به سمعي وبصري، مسرة وإعجابا منذ طفولتي وأيام صباي عن هذه الديار التي شهدت يوم ميلادي، حيث ظلت هذه المسرة وهذا الإعجاب يمتد معي في سنين، إلى أن قيض الله لي العمر في أمال كبير لأسترجع ما جار به الزمن عليها، حتى اندفعت آثارها وعفَتْ أخبارها،

ومنها ما كان لي عن طريق المطالعة والقراءة والاستقصاء في كثير من أبعادها، التي وجدتها عبارة عن مسيرة عظيمة الشأن، في كثير من علو مقام وحسن سيرة، ما جعلني أعيد النظر في قراءة ثانية لحياتها الاجتماعية والثقافية، التي لا زالت تحمل طابع البداوة في كثير من عاداتها وتقاليدها، وليس فيها من الصراع الثقافي إلا قليل، في حين أن مسيرتها العلمية والثقافية تدل على أنها أكثر مناطق أرض الجزائر أهمية علما وجاها، لما هي عليه من بعد ثقافي وتواصل إنساني، في ثقة وضبط وإتقان، وآداب وتاريخ، وفقه ولغة ودين، ما جعلها تكون أكثر إشهارا، وأطول إعمارا، لمرحلة متقدمة من حياتها، وهي أمور خص الله بها أمما دون أخرى،

لقد جاء في الأثر أن التدوين عمر ثاني للزمن وأهله، فلا تزال النفس تواقة إلى كل جديد فيه أخبار الأولين ، عن طريق هذا المحفوظ أو ذاك بكامل ما يحمله من أعراف وعادات وتقاليد، وما يتضمنه من معارف وثقافات، من التي ظلت بها ثابتة الأعراف حسبا ونسبا، فلولاهم لما وصلت إلينا أخبار الأولين، ومثلهم في الشجاعة والكرم وحسن الضيافة ، مروية بكامل معانيها وألفاظها، في واقع حقيقي لا لبس فيه ولا إبهام،

ومنها ما كان لي عن طريق الغيرة عما تركه الأولون من بحوث ودراسات، من الذين نهضوا في البحث عن جذورهم الأولى في تراجم وسير وحسب ونسب، بعيدين عن طابع الافتعال والصنعة أو الأثر الشعبي،

ومهما يكن من أمر فإنني سأعمل جاهدا في جمع ما تبقى من مادة حول هذه البيوتات من أرض القعدة من التي لا تزال منثورة هنا وهناك في بطون المخطوط وكثير من الأوراق، وصدور أهل الأذواق الصافية الواعية، في البحث عن رجالات كانوا فيها أهل حفظ وفكر وثقافة وفي درس وتحصيل، لإخراجها إلى عالم النور من زوايا الإهمال والنسيان، آملا أن أقف لهم على أصول صحيحة، ومستندات موثقة، لإثبات تاريخ أغفل، وترجيح رواية على أخرى تناقضها، تقديما يليق بمكانتها العلمية، خالية من النزوات الفكرية، والأهواء النفسية،

وبذلك أستطيع القول إنني سأمر في جماعة من هؤلاء الشيوخ الفقهاء، والعلماء الإجلاء وحملة كتاب الله، في راحة من الاطمئنان النفسي كوني قد أعطيت كل واحد منهم حقه من حيث ما كان عليه من سيرة محمودة، وأعمال مرضية، بالرغم من قلة المصادر واضطرابها إلا أنها كانت في مجملها عونا لي في كثير من أبعادها الثقافية والاجتماعية، وقد كنت فيها والحمد لله أشد حرسا على توثيق الخبر أو الرواية، المدونة منه والمنقولة، حتى لا أتحمل يوما منة أحد على أحد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير من اهتدى، وقدوة من اقتدى به واقتدى، والرضي على آله البررة الكرام من أصحابه والتابعين إلى يوم الدين،

أ. الدكتور قدور ابراهيم عمار المهاجي

المؤسس لدار القرآن الكريم
ـ القعدة ـ

فهـرس الموضوعات

*ـ إلى القارئ الكريم 13 ، * تقديم، 17، *توطئة 25،*امهاجة في مدلولها اللغوي والرسوخ الجغرافي والامتداد التاريخي 39، *خاتمة المطاف 61، *مآثر اجتماعية 83، *استدراك 89، *من تاريخها الثوري 105، *كتاتيب قرآنية ومساجد دينية بعد تربوي وتواصل ثقافي127، *ـ بيوتات ذات آثار تربوي ديني ثقافي واجتماعي 139،*أضرحة في أبنية وقبب 163، *معالم تاريخية 179، * الوعدة في بعدها التاريخي والاجتماعي 195، *القعدة في دلالتها العلمية والتعليمية 217، *التوزيع القروي في تعدد نماذجه 227، * العرايبة 236، *المصاطفة 245، * أولاد سيدي الفريج المهاجي254، -*دوار اشناتفه 329، * دوار البغاديد 331، *ـ دوار اسوايحية 335، *ـدوار أولاد سيدي اعمر 346، *دوار الحمايدة 355، * دوار اسكارنة 356، *ـدوار ازوادره 357، * دوار القدادرة 358، *ـ دوار المخاشيش 359، *ـدوار القواسم 360، *ـ دوار الرمايسية 361، *ـ دوار اضيايات 362، *ـدوار الحساسنة 363،
تنبيه: 365، المخطوطات 367، خاتمة الكتاب:، 371، الفهرس 375، *مراجع الكتاب 376،

مراجع الكتاب

*كتاب تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في ذكر المشايخ الثقات والعلماء الأثبات،

*ـ كتاب الوصل في ذكر رجال العلم وأهل المقامات لأحمد بن يحي بن المهدي بن عبد الله الحرشاوي التلمساني المتوفى عام 1326 من الهجرة،

*ـ مقالتنا بمجلة العربي العدد 32 من عام 1968، للميلاد ـ العراق ـ بغداد ـ تحت عنوان: ازدواجية المصطلح اللغوي بين قيم التغالب والعصبية)

*-كتاب فليب حتِّي ، دار العلوم للطباعة والنشر القاهرة،

*ـ كتاب دراسة في طبيعة المجتمع العراقي للدكتور علي الوردي، بغداد

* ـ تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني، للأستاذ عبد الرزاق الهلالي، طبع مطبعة المثنى ـ بغداد،

*- تمام التسمية في طبقات الحنفية للشيخ عبد القادر بن أبي الوفاء محمد القرشي المصري المتوفى عام 770 من الهجرة ، طبعة الهند 1332، في مجلدين،

* ـ كتاب دولة الأدارسة ـ ملوك تلمسان وفاس وقرطبة، لإسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية،

*-كتاب تاريخ امهاجة بين المدلول اللغوي والرسوخ الجغرافي والامتداد التاريخي، للدكتور قدور ابراهيم عمار المهاجي، طبع ديوان المطبوعات الجامعية ، وهران، 2002 للميلاد،

*ـ كتاب (الشيخ الطيب المهاجي وجهوده العلمية، للدكتور قدور ابراهيم عمار المهاجي ديوان المطبوعات الجامعية ، المطبعة الجامعية وهران 1418 هـ 1998 للميلاد)

*ـ كتاب الأنوار السنية في نسب من بسلماسة من الأشراف المحمدية لأبي العباس العلوي ، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 1351 للهجرة ضمن مجموع،
* ـ كتاب الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية لمحمد بن علي السنوسي طبع مصر 1349 هـ،
*ـ كتاب (تاريخ الجزائر الثقافي الديني التاريخي السياسي والاجتماعي) للدكتور قدور ابراهيم عمار المهاجي ،
*ـ كتاب (القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم) للشيخ الطيب بن المختار الأغريسي المختاري،
*ـ كتاب (أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر للشيخ الطيب المهاجي، الشركة الجزائرية للطبع والأوراق، وهران،
*ـ كتاب الأحكام في ذكر الأعلام من الشيوخ والفقهاء وأرباب الكلام للشيخ الجليل العلامة الهادي بن محمد بن عبد الله بن عبد القادر المكي الوازاني السني المتوفى عام 1317،
*ـ كتاب الدرر السنية في أخبار السلالة الادريسية لمحمد بن علي السنوسي طبع مصر 1349 هـ،
* ـ كتاب السلسلة الوافية والياقوتة الصافية في أنساب أهل البيت المطهر، أهله بنص الكتاب، للإمام أحمد بن محمد العشماوي ثم المكي
*ـ كتاب (الأثر الزاهر في ذكر النسب الطاهر) للدكتور قدور ابراهيم عمار المهاجي ، طبع ديوان المطبوعات الجامعية ـ وهران ـ 1998 للميلاد
*ـ كتاب فتح الرحمان على عقد الجمان،
*ـ كتاب دولة الإسلام في الأندلس لمحمد عبد الله عنان القاهرة 1943 للميلاد طبع ديوان المطبوعات الجامعية ، وهران، 2002 للميلاد

*ـ كتاب (التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري) بجزأيه الأول والثاني، للدكتور أديب حرب، طبع دار الرائد للكتاب الجزائر، 1983 للميلاد،
*ـ جريدة الجمهورية في عدديها .../ ... بتاريخ 5 رجب من عام 1431 هـ الموافق لـ 19 جوان 2010 للميلاد، و ../... تحت عنوان (قصيدة شهداء الحرية) تابعة لمقال بمناسبة الذكرى الـ 54 لاستشهاد (زبانة) تحت عنوان ـ القعدة تتذكر بطلها ـ للدكتور قدور ابراهيم عمار المهاجي ،
*ـ كتاب (بقايا من عهود الزمن وجذور المحن، ديوان المطبوعات الجامعية وهران، 1428 هـ ، 2007 للميلاد،
*ـ كتاب (كتاب الأعلام بمن حل بوهران من الأعلام، للدكتور قدور ابراهيم عمار المهاجي طبع ديوان المطبوعات الجامعية ـ المطبعة الجهوية بوهران، 1430هـ 2009 للميلاد،
*ـ مجموعة رسائل جامعية علمية، تبحث في المجتمع العربي على وجه من الوجوه،
*ـ كتاب المجتمع العربي في بعده الثقافي والاجتماعي للدكتور محمد سلمان حسن، طبع دار المثنى ـ العراق ـ بغداد،
*ـ جريدة الجمهورية في مقالة لي تحت عنوان (الشيخ بوشنتوف ادريس ، خصال رفيعة واستقامة وتقوى) للدكتور قدور ابراهيم عمار المهاجي المنشورة بتاريخ 10 رمضان من عام 1424 للهجرة، الموافق لعام 2003 للميلاد،
*ـ كتاب (بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب) للدكتور محمود شكري الآلوسي، الجزء الأول ،
* ـ كتاب تهذيب الأنساب ونهاية الأعقاب لشيخ الشرف العبيدي،

*ـ كتاب جامع الأخبار والخطب والرسائل والفتاوى للشيخ أحمد بن محمد بن علي بن مصطفى التراري الوسيني،

*ـ كتاب (الدرة الوهاجة في نسب آل امهاجة،

*ـ باب المقاصد الحسنة للسيوطي،

*ـ كتاب (القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم) للشيخ الطيب بن المختار الأغريسي المختاري،

*ـ جريدة الجمهورية في مقالة لي تحت عنوان (الشيخ بوشنتوف ادريس، خصال رفيعة واستقامة وتقوى) للدكتور قدور ابراهيم عمار المهاجي المنشورة بتاريخ 10 رمضان من عام 1424 للهجرة، الموافق لعام 2003 للميلاد

*ـ كتاب عمدة الطالب في أنساب آل طالب، لابن عنبة المتوفى عام 887 للهجرة،

ملاحظة:

وبنهاية هذه السطور نكون قد أتينا على نهاية الجزء الأول من كتاب (الأثر الآفل وَالْكَفِيل الغَافِل بُعْدٌ ثقافي وتَوَاصُلٌ إنْسَانِي فِي حُلَى أَرْضِ الْقَعْدَة - من بادية امهاجة)، وسيليه الجزء الثاني بحوله تعالى وحسن عونه الذي هو عبارة عن امتداد لمادته التاريخية ونصوصه التعليمية، الدينية والثقافية والاجتماعية،

المؤلف

هذا الكتاب

إن حياة الإنسان في الدنيا هي حقيقة زمنية، يقضيها ثم يمر إلى عالم آخر، وحياة الناس في الدنيا مفيدة بالفعل والعمل، فإذا فعل هذا الإنسان وعمل ثم مر وانتهى فقد ترك ما يُذْكرُ به بعد حياته من أثر وفعل، وإن لم يفعل ولم يعمل كان نسيا منسيا، وهنا هو أصل التمايز بين الذِّكْرِ وعدمه، وأصحاب الذكر هو حال العاملين التاركين لآثارهم التي بها يُذكرون ويحيون،

فهم السابقون وبهم يقتدي اللاحقون، وبين السابق واللاحق صلة واحدة تربطهما، وهي صلة وفاء اللاحق في الحفاظ على أمانة السابق، فإذا تحقق هذا تحقق الأمل في الذكر والعمل لمسيرة التاريخ،

من هذا المنظور كانت هذه الصفحات تحاول أن ترسم صدق الوفاء للآباء والأجداد، على ما تركوه لنا من أعمال صالحات، من التي لا زالت تؤثر في النفس هواها واستقرارها، بسبب من اعتبارات اجتماعية من التي ستبقى خالدة في المجتمع ما بقي للمجتمع الإنساني وجود،

عمار المهاجي

الخط
نوع خط العناوين: DOCO TYPE THULUTH (18)
نوع خط النص: ARABIC TYPESTING (20)